الطوارق عبر العصور

تأليف

الشاوي اللاله البكاي أماهين

دراسة وتحقيق

د. إصلاح محمد البخاري حموده



بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

سورة التوبة



الطبعة الأولى

رقم الإيداع : 2007/300ف

دار الكتب الوطنية - بنغازي

الرقم الدولي الموحد

ردمك ISBN 978-9959-1-0175-4

الوكالة الوطنية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

هاتف : 9097074 - 9096379 - 9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني : nat-lib-libya@hotmail.com





بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخطأنَا رَبَّنَا وَلا تَحمِل عَلَينَا إِصراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِلنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَأعفُ عَنَّا وَأغفر لَنَا وَارحَمنَا أَنتَ مَوَلانَا فَأنصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ

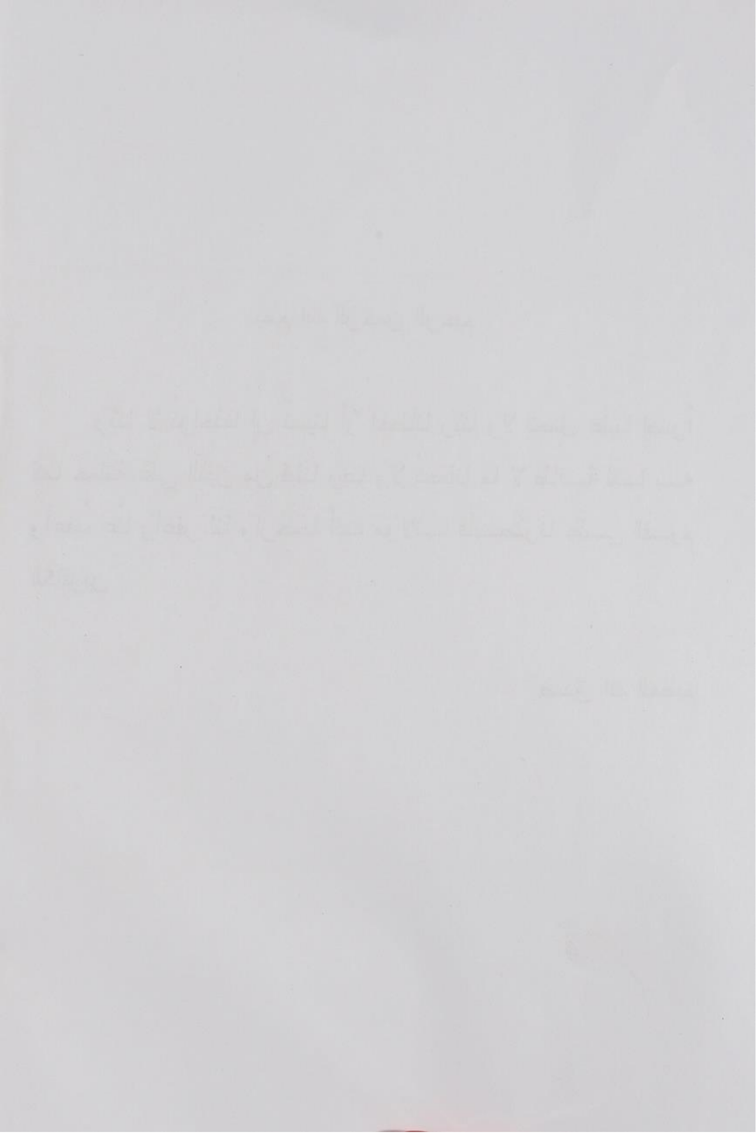
صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى أبناء مجتمع الطوارق

أهدى هذه الصفحات

من تاريخ أجدادهم وبطولاتهم





المقدمــة

الحمد لله الذي جعل العلماء مصابيح الهدى، أمناء الرسل علـى عبـاده، وشرف لغة العرب على سائر اللغات، وأرسل نبيا عربيا منزهـا عـن جميـع الريب، أفصح لسانا وأصدقهم كلاما وأبلغهم بيانا، وعلى آله وأصحابه وأزواجـه وآل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يـوم الدين.

وبعــد،،،

في الوقت الذي نثمن فيه جهود علمائنا الأفذاذ ودورهم الثقافي في نـشر العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي وتجسيداً لدورهم الفعال فـي بنـاء الحيـاة الثقافية والفكرية في أصقاع الأرض ونظرا لما أشعر به من حب عميـق نحـو علمائنا الذين بذلوا جهدا كبيرا في يوم من الأيام الماضية، وخلفوا تراثا علميا لا يستهان به الأمر الذي يحتم علينا أن لا نترك هذه الثروة تضيع سدا فكان لزامـا على كل مثقف أن يفي بحقهم ليضعهم في المرتبة التي يستحقونها أمام أقـرانهم وأنا كواحدة من المهتمين بالتراث وكحفيدة لأولئك الأجداد أشعر دائمـا بالأسـى والحيرة والمرارة على ذلك المجد الذي أضعناه بأيدينا وفرطنا فيه بإرادتنا حيـث فقد منه إلى الأبد ما فقد ولازال الباقي ينام بين دواليب المكتبات يعبث به العبـاد والأيادي غير الرحيمة، كان الشيء الوحيد الذي يخفف حدة شعوري ذلك الحلـم الذي كان يراودني دائما أن يكون لي الشرف العظيم بالانـضمام إلـى القافلـة السائرة من أجل بعث وإحياء تراث أمتي الضائع وإخراجه إلى النور وشـرعت في تحقيق مخطوط للعلامة الطارقي الشاوى اللاله البكـاى آمـاهين المعنـون **(الطوارق عبر العصور)** الذي يحمل داخل طياته معلومات قيمـة عـن مجتمـع الطوارق معلومات تتشنف لها الآذان وتتشوق لها القلوب، هذا الرجل المتواضـع الذي لاقي وجه ربه ولم يعلن عن عمله وكان بالإمكان أن يبقـي فـي الكتمـان والنسيان ولولا الصدفة التي منحتني هذا المخطوط عن طريق ابنه الأستاذ مـانى

الشاوى اللاله المأجور على عمله هذا وأتمني أن أكون في مستوي ثقته وأعمال جادة في إخراج هذا العمل في ثوب قشيب واستجلاء صفحات من تاريخ هذا البلد الكريم وجهود علمائه وأهله ودورهم الحضاري والثقافي في نشر الإسلام والعربية.

أن كتابة أي عالم تاريخ أمة من جميع جوانبها ليس بالأمر السهل فالعالم الذي يكتب تاريخ أمة يمثل محبرة الخيمة أو القبيلة فهو يكتب أرثا حضاريا وتراثا يحتاج إلى تحقيق وإخراجه إلى النور مسئولية ليست سهلة بل تعتبر عملاً شاقاً وخطيراً يحتاج إلى صبر وتروى من قبل المحقق من أجل كشف النقاب عن قيمة المخطوط الذي يبلغ أهمية في المجتمع حيث تقطن قبائل الطوارق رقعة واسعة من الصحراء الكبرى الممتدة من موريتانيا وبالتحديد في مدينتي ولاته والنعمة وإلى جمهورية مالى في كل من مدن تنبكت وجاو وجنى ومنطقة آزواد وليرة وكيدال وإلى جمهورية النيجر في مدنها أقدز وطاوه وكنى وزندر ومرادى والقيقمي مروراً بآيير وبوركينا فاسو نيجيريا وشمال تشاد وصولاً إلى جمهورية السودان وبالتحديد في الفاشر وجنوب غرب ليبيا في غدامس ودرج وغات ومرزق وأوباري وسبها وفي الجزائر تمنغست وجانت وتوات، تجمع جل الدراسات التي تم الإطلاع عليها أن أصول قبائل الطوارق ترجع إلى صنهاجة التي يصل عدد قبائلها إلى أزيد من سبعين قبيلة أشهرها جدالة ولمتونه ومسوفه، قدمت من اليمن والجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا ومنها إلى غرب أفريقيا وعبر هجرات متتالية وقد أدت هذه القبائل دوراً مهماً في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا بتأسيسهم لدولة المرابطين في الطرف الغربي من الصحراء الكبرى.

الطوارق عرب الصحراء يتخذون من الصحراء بيوتاً وآماناً وقد اتخذ الطوارق الصحراء مسكناً لهم منذ زمن طويل حيث يعيشون فيها على شكل

عشائر وقبائل متناثرة وهم قوم بدو يغلب عليهم الطابع البدوي كما أنهم يتكلمون لغة خاصة بهم وهي اللغة الطارقية واستعملوا الجمال لنقل أمتعتهم ويعتبرونها الوسيلة الوحيدة للتنقل عبر الصحراء القاسية ولهم معرفة ودراية في طب الأعشاب الصحراوية وبرعوا في معالجة معظم الأمراض وكما عرفوا بتربية الإبل والمواشي والرى وبعض الحرف مثل الحدادة البسيطة كصنع السيوف والرماح وبعض الأواني وصناعة الفضة ويمتازون بالشجاعة والإقدام والكرم والصفات الحميدة ويحبون الصحراء حباً ليس كمثله شيء لأنهم يعتبرونها مصدر الأمان ومصدر الرزق وكما يقومون بالزراعات البسيطة جداً حيث أن الطوارق شعب لا يحب الاستقرار في مكان واحد، وهم رحُل في اغلب الأحيان، وللطوارق عادات خاصة في الملبس تختلف عن سائر الناس في أرجاء المعمورة فقد عرف رجالهم بأنهم دائماً ملثمين وذلك بسبب العوامل المناخية للصحراء القاسية والطوارق شعب يحافظ على العادات والتقاليد التي يتوارثونها عن أجدادهم ولهم غيرة كبيرة على قبائلهم ويحترمون النساء ومتأنيين في كلامهم وبعيدون عن الحمق متمسكون قرآن الكريم والسنة النبوية ومتفننون في سباق المهارى، ولا يسعني الأن إلا أن أقدم هذا المخطوط المعنون **بالطوارق عبر العصور** الذي ألفه الشاوى اللاله البكاى أماهين وهو مخطوط ذو أهمية بالغة في التاريخ الحضاري الأفريقي فقد أفصح مؤلفه عن أسباب تأليفه والدوافع التي لأجلها قام بتصنيفه والتي لم يتمكن من مقاومتها ولم يكن بوسعه إلا الانقياد لها فكانت سببافي ميلاد هذا العمل العلمي الذي بين أيدينا وباستقراء المخطوط وجدت المؤلف قد جانب الصواب في تبويب وتنسيق مادة كتابه لاسيما وأن هذا الكتاب قد احتوى على مباحث شيقة وآراء دقيقة فيما يخص الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية الثقافية فجاءت مادة هذا المخطوط غير متناسقة ويعتريها نوع من الاضطراب الشكلي لأن المؤلف تجده يتحدث في صفحات عن

جانب من جوانب السياسة الطارقية ثم يحلق منها إلى الحديث عن الاقتصاد وهكذا، ولذا رأيت أن أعيد تبويب مادة هذا المخطوط وأن أخرجها للقارئ في ثوب قشيب وفق منهجية علمية وترتيب منطقي سليم مع احترامي التام لمتن النصوص والمحافظة عليها وعرضها كما أرادها مؤلفها وليلتمس لي العذر في جرأتي على إعادة تبويبه، وقد رأيت أن أرتب مادة هذا المخطوط وفق الفصول التي تعرض لها المصنف في مخطوطه فبدأت الحديث بمقدمة المؤلف والتعريف به وبالمخطوط ووصف نسخ المخطوط ومصادر الدراسة ومن ثم جمعت العناوين حسب التسلسل والتوافق في المواضيع فبدأت تحقيق النص بدول الصحراء الكبرى قبيل تدوين التاريخ وفي خلاله.

واختتمت ذلك بخلاصة ما سبق قوله على هذا الشعب العريق الأصيل، وأتمني أن أكون قد قدمت هذا العمل المتواضع على أحسن وأكمل وجه وأرجو من الله العون والتوفيق والمغفرة على التقصير.

د/ إصلاح محمد البخاري حمودة

طرابلس الغرب

التعريف بالمؤلف

هو الشاوى اللاله البكاى اماهين ولد عـام 1914م ينتمـي إلـى قبيلـة أفوغاس الذي يرجع نسبها إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهـراء رضوان الله عليهما، تربي تربية دينية فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والنحـو والحديث ثم درس في المدارس الإيطالية في ذلك الوقت، وتقلد عـدة مناصـب أهمها :

1- سكرتير مديرية افوغاس سنة 1945 - 1962م.
2- عين مديراً لقبيلة أفوغاس في غدامس سنة 1962 - 1971م.
3- عين مديراً لمديرية درج سنة 1970م.
4- يُعد أحد أعيان الطوارق البارزين في قبيلة أفوغاس غدامس، حيـث ساهم في تنظيم إدارة السجل المدني بغدامس وعين أميناً للـسجل المدني بأوباري سنة 1979 - 1984م.
5- يُعد أحد خبراء طرق القوافل في الصحراء.
6- يُعد أحد الرواة في تاريخ جهاد الليبيين حيث سجل له شـريط فـي مركز جهاد الليبيين.

مؤلفاتـه

1- مخطوط الطوارق عبر العصور (الذي نحن بصدد تحقيقه).
2- مخطوط معجم في لغة الطوارق التيفناغ اسمه غرفة مـن بحيـرة التيفناغ.

كمـا أن لـه عدة مقالات وكتابـات عن الطوارق دورهـم فـي الـصحراء الكبرى، وشارك في عدة ندوات أهمها مؤتمر الأدباء والكتاب الأول بطـرابلس 1968م.

التعريف بالمخطوط

مخطوط الطوارق عبر العصور للشاوى اللاله البكاى أماهين، هذا المخطوط ذو أهمية بالغة في تاريخ الأمة العربية فإنه يلقى الضوء على كثير من القضايا القيمة لمجتمع الطوارق. هذا المجتمع الصحراوي الذي يتميز بتاريخ عريق قديم وحديث بعاداته وتقاليده وجهاده ضد الاستعمار وانتصاراته ضد الأخرين ومساهمته في التاريخ الإسلامي الكبير ومساهمته في الفتوحات في مناطق المغرب العربي والأندلس ودوره في الجهاد في أفريقيا ومساهمته في الاقتصاد الصحراوى وسيطرته علي طرق القوافل لفترة طويلة، فإن هذا المؤلف قد ألقى الأضواء الكاشفة على الكثير من المواضيع الهامة لمجتمع الطوارق وهذا الذي زاد في إلحاحي في نشر - هذا العمل وإخراجه الى النور.

على الرغم من حداثة هذا المؤلف إلا أن كتابات الشيخ الشاوى اللاله البكاى اماهين لها قيمة تاريخية فقد واكب أحداث الطوارق والتقى بمجموعة من الرجال الذين رافقوا ثورة كاويسن وله معلومات كثيرة عن مجتمع الطوارق اكتسبها منذ الميلاد ومن الأصل وطول الحياة داخل نطاق مجتمع الطوارق الواسع، فقد اتاحت له تلك الميزات على إلمامه بمعرفة أحوال وعادات المجتمع الطارقي وطبقاته فخرج هذا المؤلف حصيلة لمجهوداته الكتابية عن الطوارق وإظهار حقيقة مجتمعهم وتصحيح المعتقدات الخاطئة التي اتهم الطوارق بها وكما بين مساهمة الطوارق الفعالة في إثراء اللغة العربية ونشر الدين الإسلامي وأن أغلب سكان الشمال الأفريقي لم يعرفوا ولم يطلعوا على جهاد أجدادهم في الصحراء الكبرى علماً وثقافة وسيفا.

وصف نسخ المخطوط

حسب علمنا لا توجد سوى نسختين من مخطوط الطوارق عبر العصور وهي محفوظة في بيت ابنه مانى الشاوى اللاله البكاى اماهين ضمن مجموعة من المقالات والأبحاث ومخطوطتان للشيخ الشاوى اللاله البكاى اماهين "الطوارق عبر العصور وحفنة في بحر التيفناغ".

النسخة الأولى رمزت لها بحرف (أ) هي نسخة المؤلف الأم والخط فيها في بعض الورقات غير واضح بسبب رعشة يد المؤلف وعدد أوراقها 210 ورقة تتراوح الأسطر في كل ورقة من 20-30 ألى 35 سطراً وفي كل سطر 13 كلمة ومسطرتها 29 × 19 ومكتوبة بخط مشرقي.

النسخة الثانية فقد رمزت لها بحرف (ب) وهي نسخة نسخت بخط بنات المؤلف وعدد أوراقها 207 وعدد السطور يتراوح ما بين 18، 23، 33، 35 فيما لا يزيد في بعض الصفحات عن 10 أو 12 سطر والكتابة في المتن مسترسلة دون تهوئة كافية ولا توقف إلا عند وضع العناوين وعدد الكلمات في كل سطر 13 إلى 14 كلمة ومسطرتها 29,7 × 21 بالخط المشرقي. وقد اعتمدت في التحقيق على النسخة (أ) لأنها تامة وواضحة وهي نسخة المؤلف الأم لذلك فان القارئ الكريم لن يلاحظ مقابلة بين هاتين النسختين بل اعتمدت عولى نسخة المؤلف وحدها .

مصادر الدراسة

اعتمد المؤلف على مجموعة من المصادر جلها معروفة وأهمها:

1- رحلة ابن بطوطة – ابن بطوطة.

2- مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون.

3- أبو بكر الصديق – محمد حسنين هيكل.

4- الأتراك والعثمانيين – عزيز سامح.

5- طرابلس الغرب – محمد ناجي.
6- ترحال في الصحراء الكبرى – جيمس ريتشاردسون.
7- من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى – عبد القادر جامى.
8- الحوليات الليبية – شارل فيرو.
9- تاريخ ليبيا من أقدم العصور – جون راين.
10-الصحراء الكبرى – جيمس ويلارد.
11-الكامل في التاريخ – ابن الأثير.
12-لوحات تاسيلى – هنرى لوث.
13-تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير – بوفيل.
14-الصراع التركي الفرنسي حول الصحراء الكبرى – عبد الرحمن تشايجى.
15-الطوارق عرب الصحراء الكبرى – محمد سعيد القشاط.
16-الرحلة والكشف الجغرافي – اتيليو مورى.
17-البيان المغرب – ابن عذارى المراكشي.
18-الجغرافيا والرحلات عند العرب أقدم الريادات للبحار الشرقية – نقولا زيادة.
19-شؤون الصحراء الأفريقية – أميل فيليكس غوتيه.
20-وثائق تجارية – بشير قاسم يوشع.
21-غدامس ملامح وصور – بشير قاسم يوشع.
22-رحلة عبر أفريقيا – غيرهارد رولفس.
23-القبائل في طرابلس الغرب – اغسطينى هنريكودي.
24-جلاء الكرب عن طرابلس الغرب– محمد بن عثمان الحشائشي.
25-رحلتان عبر ليبيا – فرديك هورغان.

26-معجم سكان ليبيا – خليفة التليسي.
27-مختار القاموس، الطاهر الزاوى.
28-مدخل الصحراء، لايون، ع. ف.
29-الطوارق بدو الصحراء – فريد ريكاسيكو.
30-الصحراء – فرانسيو فرنيوان كاردينو.
31-الطوارق دعاة ومحاربي الرمال – ادموند برنوس.
32-الصحراء الكبرى – فيرون ريمون.
33-نحو فزان – رودلفو جراتز يانتى.
34-عروبة الجزائر – عثمان السعدى.
35-كتاب الجغرافيا – ابن سعيد المغربي.
36-وصف أفريقيا – الحسن الوزان.

بداية التأليف ونهايته

بدأ الشاوى اللاله البكاى اماهين في تجميع مادة المخطوط في سنة 1967 إفرنجي وشرع في الكتابة في سنة 1994 إفرنجي وهو يناهز الثمانين من العمر.

وفاتـــــه

بعد هذه الرحلة الطويلة التي لم يعرف فيها الشاوى اللاله البكاى اماهين طريقا إلى الدعة والسكون بل استمر عطاؤه وبذله إلى أن وافاه الأجل المحتوم في مدينة غدامس 1997/07/20 إفرنجي عن عمر يناهز الثلاث وثمانون سنة. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ،اسكنه فسيح جناته وجزاه عن جهده في خدمة بلاده أفضل الجزاء وعوضنا فيه خيراً وثواباً.

الماخذ على هذا الكتاب :

ان من يطلع على مخطوط هذا الكتاب سيلاحظ ضعفا ظاهراً فى اللغة على مؤلفه سواء فى النحو او الاسلوب وقد حاولت الباحثة جاهدة إصلاح ماوقع فيه من اخطاء نحويه كتابيه وهو امر يجوز للمحقق فعله بينما تركت الاخطاء الاسلوبية شاهدة على ذلك.

مقدمة المؤلف

الطوارق عبر العصور

لاشك في أن كل إنسان يوجد على وجه هذه الأرض، يقوم بأي عمل مفيد أو غيرمفيد لا يخلو الحال من أن له دافع يدفعه نحو القيام بذلك العمل فمتي عجز عن صرف أحاسيسه، وكان في حالة لم يستطع معها إلغاء ما يشعر بـــه داخـــل نفسه استسلم واستجاب لها طوعاً أو كرها.

وهكذا كانت حالتي عندما أيقنت بأن مطالب الدوافع تـــزداد باســـتمرار وإلحاح شديد حتى أصبحت تحول بيني وبين الراحة في غالب الأحوال فرأيـــت أنه[1] أن لا مفر من استجابة [2] لمطالبها وغاياتها، وأنها لمطالب وغايات عسيرة التنفيذ حقاً فكانت هذه الدوافع تتمثل في ما كان يؤلمني مما أشعر به من ســـكوت النخبة المتعلمة من أبناء مجتمع الطوارق وإحجامهم عن الكتابة، ونشر ما يفيـــد قومهم على الأقل ولم أقل ما قد يفيد العالم الإنساني ككل الذي كنت على يقين من أنه لم يسبق أن أفادوه بشئ من هذا القبيل، ولذلك كان مجتمع الطـــوارق علـــى حالته الانعزالية حتى اليوم وهذا أمر لا يخلو من عيوب.

إضافة إلى خواطري التي لا تتركني هي الأخرى فكانت تحثنـــي علـــى الكتابة ونشر ما قد يجهله الناس عن الطوارق، وبالنظر أيضا لما شعرت به مـــن أنني بعد هذه السنة المتممة للثمانين عاما من عمري قد لا أستطيع معـــه القيـــام بشيء ممكن أن يوصف بالحديث عن مجتمع عريض كالمجتمع الطارقي علـــى اتساعه.

---

[1] الصواب :حذف أن.

(2) الصواب الاستجابة

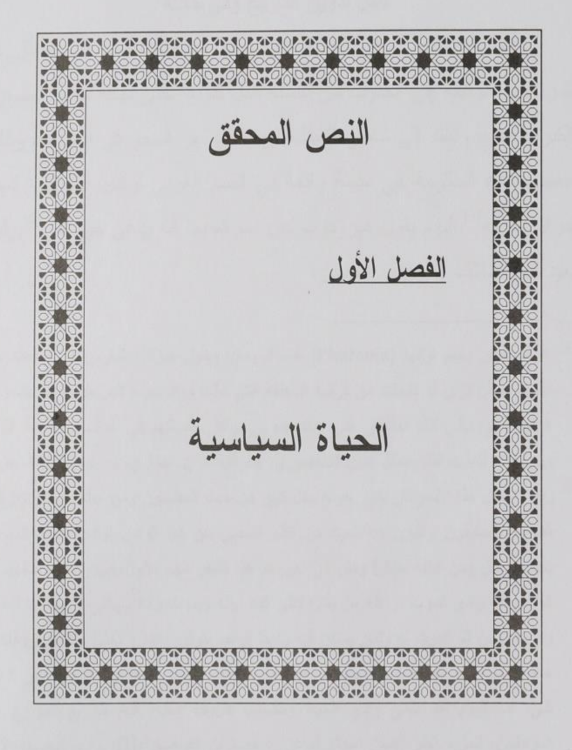
إذ لم تغب في هذا السن مضاعفات السنين الماضية فهناك ضعف البصر وارتجاف الأصابع وهم ذوى الدور الأساسي في معظم ما يتطلبه هذا الشأن ونزولاً عند رغبة كثير من الأصدقاء فاعتمدت على عون الله تعالى وتوفيقه ملتسما طريقي نحو التحدث عما له علاقة من قريب أو بعيد بهذا القوم على وجه الخصوص، ولما لم أتمكن من وجود أية مؤازرة غير ما تجمع عندي من معلومات مكتسبة منذ الميلاد ومن الأصل وطول الحياة داخل نطاق هذا المجتمع الواسع فقد أتاحت لي تلك الميزات أن كنت على إلمام واسع لمعرفة شؤونه وأحواله وعاداته في مختلف طبقاته مضيفا إليها مطالعتي ما وقفت عليه من مؤلفات المؤرخين.

وقد أتضح لي من خلالها الحقيقة والمعقول والاحتمال والخطأ أيضاً كما تبينت وجوه كانت محل خلاف وتباين آرائهم السديدة حول أصل هذا المجتمع وذلك عامل حفزني إلى سلوك نهج خاص حتى يجنبني الوقوع في منزلق أخطاء لم يسلم منها محدثاً ولا كاتباً أقحم نفسه في نقل الآراء والانحياز إلى فئة منها دون رؤية ودون أن يلمس الدلائل المؤيدة لها بشكل قاطع أو معقول على الأقل.

وإذا كان هذا الكتاب قد تناول الحديث عن الطوارق فإنه قد تحدث عنهم من واقع الأصل ومن المجتمع ذاته ومن القبائل نفسها، ولم يكن كتاباً باحثاً لدى مؤلفه ولم يضع بين أسطره كلمة واحدة متعلقة بالطوارق إلا وقد عرفها المؤلف منذ عشرات الأعوام وعن عشرات مسني هذا القوم وكباره.

الشاوى اللاله البكاى اماهين

غدامس 1-1-1994ف


النص المحقق
الفصل الأول
الحياة السياسية

دول الصحراء الكبرى
قبيل تدوين التاريخ وفي خلاله

مملكة فزانيا[1] فزان الحالية كان نفوذها وسلطانها يمتد من الشمال عند المرتفعات الواقعة إلى الجنوب من سلسلة جبل نفوسة حتى نهاية حدود الصحراء الكبرى جنوباً وتمتد إلى شاطئ الأطلس وضفاف نهر النيجر في الجنوب، وكانت عاصمة هذه الحكومة هي مدينة واقعة في القسم الغربي لوادي الآجال[2] تسمي جراما جرمة[3] اليوم يقول هيرودوت عن اسم شعبها أنه يدعى جرمانتي[1] وليس بعيد أنهم أسلاف الطوارق الحاليين.

---

(1) عرفت فزان باسم فزانيا (Phazania) عند الرومان ويقول هيزنش شقرس في دراسته حول الصحراء أن فزان قد اشتقت من فزانيا المنطقة التي كانت نواة لدولة الجرامنت وهي تشمل في المفهوم الروماني تلك المناطق التي تمتد جنوبي مراكز حامياتهم في غدامس والقرية الغربية وبو نجيم، للمزيد انظر جمال الدين الدناصوري، جغرافية فزان، بنغازي، دار ليبيا 1967، ص 1.

(2) وادى الأجال هذا الاسم كان يدور حوله جدل كبير من حيث المضمون ومن أطلقه ومتى كان ذلك، فقد كان السابقون يرددون هذا البيت من الأثر الشعبى عن هذا الوادي [وادي الأجال الذي من بحرية رمال ومن قبلية جبال] وكان في تعبيرهم هذا تشعر أنهم كانوا يعبرون في وصفهم لهذا الوادي أنه وادي الموت أي أنه من يأتيه يأتي إليه آجله ويموت وأنه سيخلى ثم يحل به الخراب والدمار ومن ثم الموت له ولمن يسكن فيه ولهذا تراهم يقولون عبارة (خلى ولا مازال) ذلك أن هذه التعابير أرى أنها تشاؤمية قيلت في وقت من الأوقات وبقيت عالقة في الأذهان وهي لا تمثل شئ، أما اليوم فقد سمى وادي الحياة وتحسنت ظروف الحياة فيه بتوزيع المزارع على المواطنين، للمزيد أنظر الأمين امحمد لماعزى، حضارات الصحـراء[2]، وادى الحيـاة الآجال سابقـا دراسـة وصفية قديما وحديثا، سبها، 2003ف، ص 8.

(3) جرمة سميت نسبة للمكان الذي شهد حضارات ما قبل الميلاد في فزان والتي تعتبر امتداد لحضارات ما قبل التاريخ في فزان خاصة والصحراء الكبرى عامة وسواء أن كان الناس الذين سكنوا هنا اسمهم جرمنت فكانت جرمة أن المكان كان بهذا الاسم قبلهم وكانوا هم جرمنت فإن جرمة باقية بهذا الاسم منذ 3000سنة مضت أو أكثر ولم نجد تعليل أخر يمكن الاستناد إليه عن سبب التسمية بهذا الاسم لمدينة جرمة الحديثة والقديمة وأما عن موقعها فله مكانا تاريخيا

مملكة أهقار وقد علمنا عن طريق روايات محلية وقصص شعبية كان الناس ينقلون أخبارها من بعضهم أن هذه المملكة أثناء بعض فترات من قيامها كانت تحكمها ملكة تدعى تين هينان[2] ولما جاءت بعثة أثرية إلى أهقار في سنة 1925 – 1926 وأجرت حفريات وجاءت بنتيجة استخراج هيكلها من مدفنها الواقع داخل قصرها في قرية أبلا.

وعلميا منذ أن نشأت كتابة التاريخ فهي تقع في مكان فسيح يمتد حتى الأطراف الجنوبية لجبال نفوسة وشرقا حتى منطقة الجفرة اليوم أما في الجنوب والغرب تقع شمال ما عرف بجبل زنككرا وإلى الشرق من الغريفه وغرب توش اليوم أما الشمال فإن السبخة والرمال لهما نصيب من الحد، للمزيد انظر المرجع السابق، ص 447.

(1) الجرمانتـــي : وهم سكان فزان وهم شعب بربري فقد اندثروا نتيجة الاختلاط لوجودهم في فزان مركز تقاطع طرق مواصلات الصحراء بكثير من الأجناس وخاصة بالجنس الأسود وصهروا وحل محلهم= =جنس مخلوط ما بين أقوام الشمال والجنوب وهو يكون أجداد الفزانيين والفزانيون في الوقت الحاضر لا يمتون إلى أي عنصر من العنصرين المذكورين ويظهر عليهم عدم التجانس وكثرة الأشكال وتشير المصادر أن أول ظهور للجرامنيت حوالي لقرن العاشر قبل الميلاد في منطقة فزان واستمرت حتى تم القضاء عليهم من قبل الرومان، تشير المصادر إلى أن أول ظهور للجرامنت كان حوالي القرن العاشر قبل الميـــلاد في منطقـــة فزان واستمرت هذه الدولة حتى تم القضاء عليها من قبل الرومان. للمزيد انظر محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبي، طرابلس دار المصراتي للطباعة والنشر 1969، ص 131، للمزيد انظر محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 131، الجنزال دودولفو، عبد السلام مصطفى، إعادة احتلال فزان، مركز جهاد الليبيين، ط 1، 1990م.

(2) تين هنان تعني ملكة الطوارق وهذه الملكة ذات صيت واحترام وقد قدمت من المغرب وكانت تحكم تافيلالت ثم جاءت إلى أبلسة في الجزائر وأسست مركزها هناك وسموا تين هينان (معناها الملكية) وتين عندها ثلاث بنات واحدة منها قبيلة اوليمدن، وواحدة كيل اغلال والأخيرة منها خرجت قبائل تيزى وزر، ولها خادمة تدعى (تكاما) ومن نسبها خرجت قبيلتان هما تك عالى – وايت لوايا، والجميع جدتهم تين هينان، وهكذا نزلت الملكة تين هينان منحدرة من بوابة الصحراء جهة الغرب متجهة إلى الجنوب نحو الأرض المنيعة التى أخبرتها عنها ملكة الجن. وهناك كما تنقب الرجال خشية الأرواح الشريرة، أمرت الملكة النساء باتخاذ قلادة تضم خمس حبات من العاج فى شكل جواهر كفيلة بدورها لردع الشياطيــن وخزى العيــن والحسد، للمزيد انظر عمر الانصاري، الرجال الزرق، دار الساقي، بيروت، ص 11 – 12.

فإن الأخبار القصصية الشعبية باتت من الأشياء المؤكدة وأن حكمها يمتد جنوباً حتى صحراء تمسنا[1] وغرباً حتى صحراء تنزوفت[2] وشمالاً يضم قرى تيديكلت وإلى الشرق الضفة الغربية لوادي اغرغر.

مملكة تادمكت[3] ذكر ابن حوقل أن كيل تنامك كيل تهامن أنهم كانوا يحكمون مناطق تادمكت الواقعة في جبال أضاغ إلى الشمال من مدينة قوقو قاو[4].

وكانت تادمكت مدينة عامرة وقد بلغ ازدهارها حداً متناهياً إلى أن أصبحت ملتقى التجار الوافدين إليها من الشمال ببضائع من غدامس وبعمارتها مما جعل التجار يطلقون عليها اسم السوق[5].

---

(1) تمسنه : تامسنا إقليم تابع لمملكة فاس يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقراق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا طول هذا الاقليم من الغرب إلى اشلرق ثمانون ميلا ومن الأطلس إلى المحيط نحو ستين ميلا وهو في الحقيقة زهرة هذه الناحية كلها، وكان فيه نحو أربعين مدينة وثلثمائة قصرا يسكنها عدد من قبائل البربر. للمزيد انظر حسن الوزان، ج 1، ص 194.

(2) تنزوفت : وادي يقع في الشرق على مسافة من جبال الاكاكاوس ويمر وأدى تنزوفت في منطقة تادرارت بجانب بئر تن الكوم في جنوب غات أو أسفل جبال تاسيلي التي توجد في الجهة الغربية من الوادي، ويتكون مجرى مياه تنزوفت من مياه الأمطار التي تهطل على جبال تاسيلي تجري على طول جبال تادرارت اكاكوس ومناطق وادي دير يحي الرملية الواسعة التي تقع شمال غات وبعد مرور الوادي من هذه المناطق يتعرج بعدئد نحو الجنوب الغربي حيث يلتقي بالوادي الآخر والوادي بطبيعة الحال يصل إلى هذه المنطقة عند هطول الأمطار الغزير وبحيث تعتمر ضواحى غات والبركت=

=للمزيد انظر نجمي ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999ف، ص 54.

(3) تادمكت – تادمكه على مسيرة بضعة أيام من وادي تلمس في منطقة ادرار الجبلية عند ايفوغاس أحد أسواق الصحراء الهامة وأطلق عليه اسم السوق ومازالت خرائبها تحمل هذا الاسم وكانت في القرن الحادى عشر تتبادل التجارة مع القيروان وغدامس في الشمال ومع السودان في الجنوب.

(4) جاو – قاو – كاو – كاغ وردت بعدة أسماء وتقع ضمن الحدود السياسية الحالية لدولة مالى وعلى الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل به وادي تلمس (Tilmsi) الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء وإلى الجنوب الشرقي من تنبكت بحوالي أربعمائة وخمسين كيلومتر. للمزيد انظر موسى السعدى، زهور البساتين، ورقة 108.

(5) السوق : سيمت في بعض المصادر التاريخية كل السوق أو تادمكة أو تادمكت وتقع إلى الشمال من جاو وتبعد عنها بحوالي أربعمائة وخمسين كيلومترا، أما أثارها الحالية فهي على مسافة حوالى خمسة وعشرين كيلو متر من مدينة كيدال الحديثة التي تقع ضمن الحدود السياسية

مملكة آير[1] إن هذه المملكة أول ما تأسست في مكان يدعى تين شمن قام بتأسيسها جماعة لمته من الطوارق وجماعة أخرى من الجوبر[2] واتخذوا تين شمن عاصمة لهم، وبعد مرور وقت قاموا ببناء مدينة أقدس بالقرب من تين شمن وبطبيعة الحال فقد هجرت العاصمة الأولى وأضحت عاصمة للملكة في مدينة أقدس حتى اليوم.

ولما تتمتع به هذه الحكومة من موقع مهم كانت تتصاعد دوما نحو الاقتصاد السليم الذي جعل يتجه إلى ارتفاع معيشة شعبها ارتفاعاً سريعاً وليس بالعجب أن وصلوا إلى هذه الدرجة من الرخاء إذ كان موقعهم تتقاطع عنده طريقين هامين للتجارة الأول من الشمال تنقل عبره بضائع البحر الأبيض المتوسط إلى ممالك الهوسا في الجنوب، أما الثاني فمن الغرب لنقل بضائع نهر النيجر الأعلى إلى برنو[3] وسودان اليوم ومصر في الشرق.

لجمهورية مالى الحالية، وقد وصل عقبة بن نافع إلى مدينة السوق حوالى عام 61هـ/680م، وهو الذي تم على يديه فتح تونس وبناء القيروان وفتح غدامس وودان وكنو ثم ولاته ومزانه وكانت مدينة السوق قبل فتح المسلمين تدين بالوثنية وعندما قدم إليها عقبة بن نافع حاول إصلاح حالها بأن بنى لها مساجد ومنارات الدين والعلم وبالتالي انتشر الإسلام في تلك الربوع، للمزيد انظر مجهول، خبر السوق، مكتبة المحققة، ورقة 1 - 2 - 3.

(1) الايير : هي اقدز واجاديس واغاديس وهي إحدى حواضر أفريقيا فيما وراء الصحراء تقع حايلا ضمن نطاق جمهورية النيجر إلى الشمال من العاصمة نيامي تبعد عنها بحوالي آلف كيلومتر وقال عنها حسن الوزان بأنها مدينة مسورة بناها الملوك المحدثون في تخوم ليبيا، للمزيد انظر حسن الوزان، وصف أفريقيا، ط 2، محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت الرباط - دار المغرب الإسلامي والشركة المغربية للناشرين المتحدين 1983م، ج 2، ص 172.

(2) غوبر هو أحد أقاليم الهوساية به أشجار وأزهار قدم أهله من بلد أزير بعد ان أخرجتهم قبائل الطوارق منها، وقد سكن أميرهم ابن سروم إعالى غوبر وشيد بها مباني وحصونا واتجه نحو كب وضمها إليه بعد أن حاصرها وهزمها مرتين ثم سجن أميرها ورجال دولته في مطامير انتقاما منهم، وقد ساعده في حملته على إقليم كب أمير زندر وسلطان كاشنه، وبعد وفاة أمير غوبر محمد بن سروم تولى= =سروم ابنه (ثوبا) أمر البلاد، للمزيد انظر عبد القادر بن مصطفى، الإمارات الهوسية، مخطوط، ورقة 14.

(3) برنو : ويقال بورنو يعود تاريخ قيام دولة برنو الى نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وقد بلغت أوج مجدها وقوتها خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، أما عن مساحتها فقد أفاد الحسن الوزان بأنها إقليم واسع يتاخم ملحة ونقارة غربا ومن الشرق تمتد على مسافة تصل إلى خمسمائة ميل وبعد بنحو مائة ميلا عن منبع النيجر، كما يتاخم جنوبا صحراء سات وشمالا الفلوات المقابلة لبرقة، للمزيد انظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 176.

ويقول بوفيل في حديثه ما يلي :

وحينما انتقل عرش السونجاي[1] إلى شخص خارج الأسرة المالكة وهو قائد يدعى محمد تورى[2] واتخذ لنفسه لقب أسكيا وكان زنجياً من جماعة السوننك[3] وعرفت الأسرة الحاكمة التي أنشاها بهذا اللقب أيضا فأصبح يعرف

---

(1) **سنغى: هي قبائل السنغى التي كانت تسكن على شواطىء نهر النيجر في الجزء الممتد من الانحناء إلى قرب المصب في الأراضى الواقعة شمال غربي دولة نيجيريا الاتحادية الحالية وشمال داهوامى (بنين حاليا) وتأسست مملكة السنغى في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد، وكانت عاصمتها آنذاك مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى إلى الجنوب من مدينة جاو التي صارت عاصمتها في عصورها المتأخرة، للمزيد انظر عبد القادر زباديه، مملكة سنغاى في عهد الاسيقيين 1493-1592م (الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب، 1989م)، ص 25.**

(2) **محمد تورى، الملقب محمد اسكيا بن أبي بكر التورى وينتسب إلى فوتى طورى، لأن والده من فوتى طورى وأمه من سنغى وأفاد الواقرني أن أصل أهله من صنهاجة من آل أسكيا وملكوا أراضي كثيرة= =من أهل السودان تولى عرش البلاد في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي عام 1493م لقب بأسكيا بعد انهزام سنى علي وتناهى الخبر إلى أسماع بنات سنى علي فقالوا : اسكيا وتعني في لغة السنغاى أي لا يكون ملكا فلقب بأسكيا الحاج محمد وحمل اللقب من جاء بعده لسدة الحكم عمل منذ توليه على السير ببلاده إلى مصاف العلا بتكوينه جيشا قويا اختار عناصره من قبائل الطوارق، كما استحدث إدارة لجباية الضرائب في جاو على الطريقة القديمة في توكيل رؤساء عشر إقليما كما قام برحلة للحج كانت مناسبة للتعريف ببلاده في بلدان المشرق العربي والحجاز، للمزيد انظر موسى أحمد السعدى، زهور البساتين، مخطوط ورقة 117، ونوح بن الطاهر بن أبي بكر، مخطوط حياة أسكيا الحاج محمد، ورقة 1، ومجهول، نبذة من تاريخ جنى، مخطوط ورقة 3.**

(3) **السوننك أو السراكولى أو مركا وهم الذين شكلوا تاريخيا عصبة مملكة غانه منذ عهدها الوثني وهم يتميزون بقوة جسمانية وعادات وتقاليد اجتماعية فريدة وقد انتشر نفوذهم في أجزاء واسعة من السودان الغربي، وامتدت مضاربهم من تنبكت حتى بلاد السنغال الحالية غربا وقد تمازج السوننك بالقبائل الوافدة على المنطقة من الشمال الأفريقي منذ القدم والدليل على ذلك أن قبائل الوولوف يطلقون عليهم اسم سيراكول تعني الرجال الحمر، وتضم مجموعة السوننك فروعا مختلفة اشتهرت بأسماء متنوعة تبعا لأسماء العشائر التي برزت من بينها أو بحسب تسمية جيرانهم لهم، للمزيد انظر ابراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانه الإسلامية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص 19.**

باسم أسكيا الأول وكان هذا الملك قد غزا بلاد الهوسا وممالكها من الغرب إلى الشرق ولكن وضع حكومة السونجاي أمام منازعات مع أعدائهم التقليديين الطوارق الذين يغيرون عليهم كما كان يفعل أبناء جلدتهم في غرب النيجر.

وكانت غاراتهم تبدو مشكلة عديمة الحل لتعذر القيام بأية عملية فعالة لقد تفاقمت مشكلة الطوارق باستيلاء أسكيا على بلاد الهوسا. يلاحظ بوفيل في كتابه قوله : فكما أن الجرمنتيون في أيام الرومان يمكن الإيقاع بهم في فزان فقط حيث تقوم منازلهم الدائمة فكذلك الطوارق يمكن الإغارة عليهم فقط في ديارهم الرائجة في الاير أو في الازين وبخاصة في بلدتهم اغادس أقدس[1] وبعد غزو هذا الملك الذي استولى على جميع ممالك الهوسا[2] تلقها هزيمة المملكة التي اسمها

---

[1] اجادس: تقع في شمال دولة النيجر وتبعد حوالى تسعمائة وخمسة وستين كيلومتراً من عاصمتها نيامي، وحدود موقعها المؤرخ مامول كارفجال على الغربي من إقليم جوبر بشمال دولة نيجيريا الاتحادية الراهنة كما قال عنها أحمد بابا بانها بلدة قريبة من بلاد السودان وهي معمورة من قبائل= =صنهاجة واشتهرت أجادس بأنها مركز هام من مراكز التجارة الصحراوية وملتقى للعديد من الطرق التجارية العابرة لصحراء الكبرى الواصلة بين مصر والشمال الأفريقي وبلاد السودان الغربي والأوسط وبسبب هذا الموقع الاستراتيجي الهام على مسار وملتقى الطرق وسكنها العديد من التجار الذين صاروا يشكلون غالبية سكانهـا وقد سجل الوزان تلك المعلومة بقوله : [... إن جميع سكانها (يعني اجادس) تقريبا من التجار الأجانب. واجادس مدينة عريقة في الإسلام وقد أسست في أوائل القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد وبها أعداد هائلة من أماكن العبادة مثل مسجد اسكيا الحاج محمد ومسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي، كما أن مساجدها مراكز علمية آمها العديد من الطلاب وقد اشتهرت اجادس بأنها موطنا لعدد من الفقهاء والعلماء الأفذاذ الذين كان لهم دور مهم في تجذير قواعد الثقافة العربية والإسلامية بتلك الربوع ومن بينهم العاقب بن عبد الله المسوفى، للمزيد انظر مارمول كارلجا، أفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرين، الرباط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984م، ج 3، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 353، الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 171-172.

[2] ممالك الهوسا : إقليم غوبر، إقليم صكتو، إقليم دورى، إقليم زنفرا، إقليم كشته، إقليم زندر، إقليم بوش، زكزك، كنو.

الطوارق في آل آير وبعدها أسكن أسكيا هناك جالية من السونجاي الذين استقروا على الأغلب في اغادس وحولها.

ولا يزال أقدس عاصمة يعتبر الطوارق فيها أنهم يلعبون دوراً سياسياً مهماً وفي بلاد آير كاملة[1].

كيف لا وأن أقدس نفسها كانت لفظة باللغة الطارقية تعني الأسرة ويطلقونها على ثلاثة حروف حسب لهجاتهم أقدس وأجدعن وأقدز.

---

(1) أن أقدس كانت لفظة باللغة الطارقية تعني الأسرة ويطلقونها على ثلاثة حروف حسب لهجاتهم أقدس، اجدس، اغاديس، اجاديس.

اســـم الطوارق

اسم الطوارق هو كيل تماهق ولذلك يسمون أنفسهم إموهاغ وبعد غزو العرب لشمال أفريقيا واتصالهم بهم، اخذوا يسمونهم باسم آخر وهو الطوارق – التوارق – التوارك[1].

وهذا هو الاسم الذي أطلقه العرب على الشعب الذي يقطن بين شمال أفريقيا وجنوبها، في أكبر صحراء على وجه الأرض، ضمن مجالات ممتدة من وسط رمال العرقين الكبير الشرقي والغربي شمالاً حول نهر النيجر ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى ودان شرقاً، يعيش هؤلاء في مختلف جهات هذه البلاد منذ قرون عديدة جداً، عجز الباحثون والمؤرخون على تحديد بدايتها. وغرقوا في متاهات بحر واسع من تقديرات وتخمينات دون الوصول إلى نتيجة حاسمة بصدد هذا الموضوع ولا عن أصلهم حتى اليوم[2].

---

[1] تعددت تسميات الطوارق فمنهم من يرى أن اسم الطوارق مشتق من ترك، فقد ذهب ابن خلدون أن سبب تسميتهم الطوارق إنهم تركوا دينهم المسيحية معتنقين الإسلام، وأن صنهاجة هم الملثمون القاطنون بالصحراء الجنوبية واتخذوا اللثام شعاراً لهم، وذهب بعضهم إلى ان الكلمة مكونة من مقطعين : طوا بمعنى شعب ورق اسم لمكان الطوارق شعب رق ويورد راي اخر أن كلمة الطوارق جمع لكلمة تارقي على أن العرب أطلقوا عليهم لفظ الطوارق نسبة لقبيلة (تارغا) وتكتب (تاركه) احدى قبائل السكان الأصليين الذين يسكنون الصحراء الممتدة من المحيط الاطلسي إلى غدامس كان ذلك في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي.
وهناك رأي آخر يقول ان تسمية الطوارق حديثة أما الاسم المتعارف عليه لهذه القبائل هو (إموهاغ) تطلق على طوارق ليبيا وفي النيجر يسمو اموجاغ) ومالى (إموشاغ) والاختلاف بسيط في بعض الحروف وهو الذي اعتمد عليه المؤلف الذي قال اسم الطوارق هو (كيل تماهق واموهاغ). للمزيد انظر عبد الرحمن بن خلدون، ج 6، ص 241، حسن الوزان، وصف أفريقيا، ج 2، ص 150 – 151، عبدالقادر جامى، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ص 162، عمر الانصاري الرجال الزرق، ص 39.

[2] يتواجـد موطـن الطوارق من الواحـات والوديـان التي تشـق جبـال تاسيلـي غات – جانـت – والهقـار – تمتغسـت وآييـر (أقدز) واضغاغ (كيدال) إى أن الجزء الأكبر من الطوارق يعيش في منطقـة السهـول والمراعي الفسيحـة التي تسمي باسم ازواغ الممتدة من أعالي نهر السنغال غربا إلى بحيرة تشاد= =شرقا ومن أطراف المناطق الرملية إلى غابات السافانا جنوباً، وينتشر الطوارق أيضا في الصحراء الكبرى ما بين حدود السودان مرورا بشمال

وفي ما كان الطوارق في بلادهم هذه يتمتعون بحريتهم وسيادتهم المطلقة لا يعترفون بأي دخيل يحد من تلك السيادة التاريخية، ولا بأي مانع يحول بينهم وبين تنقلهم وترحالهم متى شاؤا وحيثما شاؤا، الأمر الذي هيئا[1] لهم ظروف الحركة الدؤبة بين مختلف مناطقها، وارتادوا أسواقها دون حائل كان، وبذلك مدوا خطوطاً مستقيمة الاتجاه إلى أدق المقاصد بين الشمال والجنوب، والتي لا تزال معالمها ظاهرة تدل المسافر حتى الآن، ذلك في الوقت الذي لم يكن هؤلاء يعتمدون على وسائل الخيط والبوصلة، ولم يقع التفكير في صنعها بعد.

يمارس الطوارق خلال تلك الأحقاب أعمالاً عديدة لضمان عيشهم، كتربية المواشي ورعيها والتجارة والغزو والصيد، ويقوم الحرفيون منهم بأعمال الحدادة، وإجادة مصنوعاتها المختلفة كصناعة السيوف والرماح والخناجر والمدى، فهم على مهارة عالية في صياغة المعادن الثمينة كالذهب والفضة وصهرها، وإعداد الحلي على اختلاف أشكالها وأنواعها، كما يمارس المستقرون أعمالاً يدوية كالبناء وصنع أوانٍ خزفية على أنواعها كما يقومون بالنجارة، كما يقوم الطوارق بصناعة أوانٍ خشبية كالحفائر والأقداح على اختلاف أحجامها، والهواون والملاعق أية في الجودة والاتقان إلى جانب السروج والرواحل.

مالى وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرقي الجزائر، كما تنتشر مجموعات منهم بوركينا ونيجيريا ونستطيع أن نقول أن وسط الصحراء من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات إلى تمتغست بالجزائر وجانت وتيماسنسفن تيمياوين وبرج المختار على الحدود مع مالى إلى تنبكت بمالى إلى طاوة بالنيجر وانقيقمي على بحيرة تشاد وايشه في شرق تشاد وتناثر قبائل الطوارق في هذه الصحراء وتتفاوت بين الكثرة والقلة حسب تواجدها، للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، الطوارق شعب الصحراء الكبرى، مخطوط مكتبة المحققة، ورقة 4.

[1] **الصواب : هيأ.**

كمـــا أنهم يضيفون إلى أنشطتهم هذه "تجارة الملح" تلك التجارة التي لا تكلفهم رؤوس أمـــوال كبيرة حيث إتاحتها لهـــم طبيعـــة أرضهـــم ويقومـــون بنقلـــها إلـــى الأســـواق على ظـــهور جمالهـــم عنـــد منطقـــة امـــدغور[1] بالنسبـــــة لسلطنتي آزجـــر[2] وأهقار[3] وهما الإقليمين الشماليين، أما الجنوبيين الغربيين اضغاغ[4] وازواغ[5] الغربي والشرقي فهم ينقلوهـــا مـــن تاودني[6]، أمـــا جدالـــه ومسوفـــه في الغـــرب فينقلوها مـــن تغازا[1]، أمـــا

---

(1) هي منطقة مشهورة بوفرة الملح.

(2) آزجر : تقع الأزقر ضمن نطاق سهول ووديان وواحات جبال تاسيلي وتتربع على مساحة شاسعة تمتد من مدينة غدامس ومرزق إلى مدينتي جانت وأليزى في الجنوب الشرقي للجزائر وعاصمتها مدينة غات، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 166.

(3) أهقار : تشكل وادي اغرغو فاصلا طبيعيا بين سلطنة الهقار وسلطنة آزجر من الطرف الشرقي فهو يعتبر حداً معروفاً بين الإقليمين. فمن جهة الشمال فإنه يشمل صحراء تادميت وما يتصل بها من كثبان رملية واقعة شمالها وذلك باعتبار منطقة تيديكلت وهي منطقتان تابعتان للسلطنة. أما من جهة الجنوب الغربي فحدودها من جبال اضفاغ أو بما تعرف بادراران فوغاس، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 167.

(4) اضغاغ : يحد سلطنة اضغاغ من الشرق أراضي سلطنتي تاقرقرايت والهقار ومن الغرب إقليم ولاته بموريتانيا ومن الجنوب الغربي قرية يورم ومدينة تنبكت، المحققة.

(5) ازواغ : تقع في الجزء الشمالي الشرقي من بلاد السودان الغربي أي في الجزء الشمالي من النيجر وتضم كلا من منطقة ايير وتكدا واجاديس وكاواو وقد عرفت هذه المنطقة ازدهاراً ثقافياً وقد زارها ابن بطوطة واسماها اهير حيث وصلها برفقة قافلة غدامسية متجهة من جاو إلى غدامس، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت : دار صادر، (د-ت)، ص 152 و454.

(6) تادونى : مصدر من مصادر ملح السودان الغربي قال عنها عبد الرحمن التواتي : (.... قرية تودن وأقمت بها مدة فمرضت بها أياما.... لقبح عيشها وملحها) ولقيمة ملاحة تودن وكثرة ملحها أصدرت فيها فتوى، للمزيد انظر عبد الرحمن التواتي، فهرسة لأشياخه، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 31، أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط 34 بعناية فؤاد السيد، القاهرة: مطبعة السنن المحمدية 1958م، ص 460.

تامزقده[2] وجبل قرس[3] فيقومون بنقلها من مملحة بلما[4] بكاوار[5] في دورة سنوية لقربها النسبي بالرغم من ردائتها أمام ملح تاودني وملح امدغور.

---

[1] تغارا : من أكبر ملاحات السودان الغربي موقعها السابق بين المغرب الأقصى والسودان جل سكانها من قبيلة مسوفه وكان سكانها يعانون من سوء الجو فعادة ما تهب عليهم عواصف شديدة تحمل معها حصى اذا ما صادفت عين إنسان افقدته البصر، وكما اشتهرت مدينة تقاز بكثرة مناجم الملح ويربطها بتنبكت طريق تجاري وتصفها المصادر بأنها قرية لا خير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من الملح ويحفر عليه في الأرض فيوجد عنه الألواح ضخامة متراكبة نحتت ووضعت تحت الأرض، يحمـل الجمـل منه في ولاته بعشرة مثاقيل إلى ثمانية وبمدينة مالى بثلاثين مثقالا إلى عشريـن،= =للمزيد انظر ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 659، وحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 109، موسى السعدى، زهور البساتين، مخطوط، ورقة 270.

[2] تامزقدا : اشتقت اسمها من تقدا والتي هي المدن المهمة في غرب أفريقيا وتعني الربيع وعرفت هذه السلطنة من بين السلطنات التارقية بثرائها نظر لخصبة أراضيها الواسعة وتحكمها في طرق القوافل القادمة من إلى ليبيا ودار الهوسا إضافة لذلك ارتبطت بسكان بحيرة تشاد وكانم والتبو، للمزيد انظر مجهول، تراجم علماء بغرام، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 16.

[3] جبل قرس : يقع في سلطنة كيل أقرس تحدها سلطنة تمزقد ومن الغرب منحني نهر النيجر، كما تشترك إمارة ليون ومقرها كيتا شرق مدينة طاوه وهي تبدأ من محافظة طاوا جنوباً إلى حدود النيجر مع نيجيريا وتتوزع قبالئ واتخاذ هذه السلطنة في جميع سلطنات الطوارق وتعتبر الحد الفاصل بين الطوارق والزنوج من جهة الجنوب الأمر الذي جعل جل قبائلها تجدي لغة الهوسا إلى جانب اللغة الطارقية، للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، التوارك عرب الصحراء، ط 2، طرابلس، مركز دراسات شؤون الصحراء، 1989م، ص 46-47..

[4] بلما : عاصمة كوار وتشتهر بتجارة الملح.

[5] كوار. كاور : تقع هذه المنطقة على الحدود الليبية النيجيرية الحالية ومازالت تحمل التسمية نفسها حتى الآن، أما عاصمتها الراهنة هي مدينة بلما وهي ضمن حدود محافظة اجاديس بدولة النيجر وكانت من أهم مراكز التجارة الصحراوية على الطريق الذي يصل طرابلس الغرب بالسودان الغربي، للمزيد انظر امطير سعد غيث، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، 2005ف، ص 82.

ويستفيد الطوارق من دخل إضافي آخر له وزنه الثقيل بالنسبة للحياة الاقتصادية لبلادهم، يتمثل في اكرية[1] جمالهم لتجارة تلك البضائع للمسافرين عبر الصحراء لذى فهم[2] يمتلكون أعداداً هائلة من هذه الجمال[3]، وهي الوسيلة الأولى والوحيدة والتي لا غني عنها من وسائل النقل اللازمة لقطع تلك المسافة الواسعة وهذه الجمال هي التي استطاعوا بها ربما أوتوا من جلد وصبر أمكنهم من تذليل أكبر صحراء وترويضها إذا صح التعبير.

ولا شك في أن تجارة القوافل بين الشمال والجنوب كانت تعرضت خلال مسارها القديم إلى مضايقات ومشاكل حدت من حركتها التجارية بحرية كما تتطلبها هذه التجارة المعتمدة بالضرورة على اجتياز مثل هذه الصحراء، إذا تصل هذه المضايقات إلى درجة السلب والنهب، وهو ما تسببه أحياناً بعض خلافات ونزاعات سكان الصحراء أنفسهم.

وأضحى هذا ما يشغل بال الجميع إذ يسئ إلى حالة الأمن والاستقرار بصورة عامة وقد بات من المسلم به لدى تجار القوافل أن مثل هذه الأحوال قد تأخذ في اتجاهها هذا من سئ إلى أسوأ. وهذا بعينه ما جرهم إلى التفكير بصفة جدية في حل ثابت يجعلهم يطمئنون به على سلامة بضاعتهم والتقليل من مخاطر

---

(1) الصواب : تأجير.

(2) الصواب : فهم.

(3) **الجمال هي سفينة الصحراء. وقد اشتهرت تجارة القوافل بها وبالمزايا التي ينفرد به هذا الحيوان كانت وراء تحقيق انعطافة كبيرة في تاريخ التجارة القديمة وطرقها ومواردها وأصحابها وتأثيرها وتصل قدرة الجمل إلى تحمل العطش مدة خمسة إلى ستة أيام ويصل بعضها لعشرين يوماً فتسمى الإبل الجوازي وباستطاعتها أن تسير مسافة أربعة كيلومترات في الساعة ونتيجة لقطعها مسافات جداً عبر الصحراء عرفت بسفن الصحراء، للمزيد انظر رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، بغداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدارسات العربية، ص 9.**

ضياعها ويضمن في ذات الوقت وصولها إلى الأسواق المقصودة في الجنوب أو في الشمال على حد سواء.

وفي النهاية على ما يبدو قد اهتموا إلى أن كل حل كان بمعزل عن السكان الأصليين لهذه الأرض هو حل قصير العمر وغير جذري، ولذلك اتجه نظر التجار نحو الطوارق باعتبارهم المسيطرين على عموم جهات الصحراء الكبرى، وذلك لقصد إيجاد حل ثابت عن طريقهم ومن ثمة الارتباط معهم وموافقتهم على مرور القوافل التجارية فوق أرضهم للحصول على حمايتها وسلامة أمنها والسعي بالاتصال المباشر بالجهات الأخرى المقابلة لحل مشاكل هذه القوافل كلما صادفها أي عائق ويقف في وجه حركتها التجارية بحرية، وبطبيعة مجريات الأحوال فقد طرحت هذه النقاط. وتم قبولها من جانب الطوارق باعتبارها ذات شوكة ومقدرة على القيام بما يتطلبه الأمر على الوجه المرضى.

ولم يكن الطوارق ليترددوا لأول وهلة عن قبول هذا العرض الذي يحمل معنى الاستعانة بهم تدفعهم إليه شهامتهم كأمة صاحبة النفوذ الواسع في الصحراء الكبرى والمسيطرة عل طرق المواصلات بين الشمال والجنوب.

ويبدو أن التجار الغدامسيين المرتبطين تاريخياً وجغرافياً هم الذين سبقوا غيرهم للوصول مع هؤلاء لإقرار هذا الاتفاق وتلاهم سواهم من تجار المناطق الأخرى، ويبدو أن تجار غدامس من أوائل رواد تجارة القوافل بين الشمال والجنوب وأنهم لعبوا دوراً هاماً في تجارة القوافل التجارية مع السودان عبر الصحراء الكبرى، وأنهم تحملوا من جانبهم للطوارق بموجب هذا الاتفاق دفع مبالغ مضبوطة بريالات معينة كإتاوة عن كل جمل يعبر منطقة الصحراء من

الشمال إلى الجنوب وبالعكس، كما تحملوا دفع عوائد تقدم في صفة هدايا محترمة لا حد لها ولا نوع[1].

---

[1] يعتبر الطوارق حراس القوافل فقد ابرموا اتفاقاً مع أهل المدن التجارية على حمايتهم من المغامرين ويحافظون على قوافلهم عند ترحالهم إلى الجنوب مقابل ضريبية تدفع إلى الطوارق سنوياً، للمزيد انظر نور الدين الثنى، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين، طرابلس 2003ف، ص 80.

أصـــل الطوارق

اختلف الباحثون والمؤرخون عن تحديد أصل هؤلاء القوم، وكل منهم سلك مسلكاً مخالفاً كل الخلاف عن مسلك الآخر. وكل واحد من هؤلاء كانت له أساليبه الخاصة الغير الواضحة[1]. لما يتخللها من الغموض مما يجعل الأمر تحيط به الشكوك إلى جانب افتقارها للأدلة المقنعة حتى لا نرتاب فيما جاء فيها إذ يقول بعضهم : أن الطوارق فرع من صنهاجة، وصنهاجة وكتامة قبيلتين عربيتين[2].

ومنهم من يقول عن الملمثين قوله : وكان أول سيرهم من اليمن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فساروا إلى الشام وانتقلوا إلى مصر، ودخلوا

---

(1) الصواب ، التي كانت غير واضحة.

(2) يقول ابن خلدون عن الطوارق أنهم طبقة من صنهاجة وهم الملثمون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعد وفي المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها انتباذاً عن العمران واستئناساً بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر فنزلوا من ريف الحبشة جواراً وصاروا ما بين بلاد البربر والسودان حجزاً واتخذوا اللثام خطاماً تميزوا بشعاره بين الأمم وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كداله ولمتونه فمسوفه فوتريكه فزغاوه ثم لمطه أخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبيلة طرابلس وبرقة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 370 - 371.

وأفاد أيضا صاحب العبر وديوان المبتدأ والخبر أن الطوارق يصل عدد قبائلها إلى أزيد من سبعين قبيلة اشهرها جداله ولمتونه ومسوفة، قدمت من اليمن والجزيزرة العربية إلى شمال أفريقيا ومنها إلى غرب أفريقيا عبر هجرات متتالية. وقد أفاد أيضا أنهم بطون صنهاجة فكثير منهم ملكانه وانجفه وشرطه ولمتونه ومسوفه وكداله ومندله وبنووارت وبنويتين وأن بطونهم تنتهي إلى سيععين بطناً أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر ومواطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقية، للمزيد انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 202.

المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، فأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء فاستوطنوها إلى هذه الغاية[1].

ومنه من يقول : إن زناته وصنهاجة التي تفرع منها الطوارق هم قبيلة "جيتولى" القديمة" التي تسكن الجبال والتي انحدر منها الطوارق، مشيراً إلى أن في الزمن الذي حكم الفينيقيون البلاد العامرة على سواحل البحر الأبيض الجنوبية إلى سلسلة جبال الأطلس، كانت أقوام يسكنون الجبال المذكورة يطلق عليهم جيتولى قبائل صحراوية معروفة بالتوحش والسلب والنهب والتجاوز[2].

وكانوا يندفعون نحو الشمال لمهاجمة الشعوب المتمدنة في المستعمرات، كلما أحسوا فيهم ضعفاً، وعندما تستعيد قبائل الشمال قدرتها وقوتها يضطرون إلى التقهقر ويرجعون إلى الصحراء للعيش فيها.

تفرعت من هؤلاء "الجيتول" في القرون الوسطي، القبيلتان البربريتان الجسيمتان المعروفتان : زناته وصنهاجة، وقبائل الطوارق المختلفة الموجودة الآن[3].

ومنهم من قال : كان الإغريق يعرفون إحدى القبائل الليبية القديمة التي كانت تسكن فزان فزانيا باسم ماتش وحرّف الرومان هذا الاسم إلى "ماتسيان" ومن الواضح أن لفظ "ماتش" أو "ماشى" لا يعتبر بعيداً جداً من ناحية الاشتقاق من الاسم الحالي "اموشار"[4].

---

[1] **ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 203.**

[2] **عبد القادر الجامى، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الاسطى، طرابلس: دار المصراتي، 1974ف، ص 161.**

[3] **ذكر هذا في كتاب عبد القادر جامي، طرابلس الغرب، ص 162.**

[4] **نفس المصدر، ص 163.**

ومنهم من يقول : أنهم ينتسبون إلى القبيلة الليبية القديمة "اوبرياني" التي كانت تعيش بالإغارة على المناطق الجنوبية لبنغازي[1].

ويرى البعض الآخر : أنهم ينتسبون إلى عشيرة "ارزوقس" التي كانت توجد في هذه المناطق.

وفي هذا البحث بالذات وبصفة خاصة والذي تضاربت حوله الأقوال لابد وأن يجد المرء نفسه قد انتابه نوع من الحيرة والارتباك ذلك نحو هذه الآراء والأقوال المتباينة بهذا القدر.

ويصعب الاختيار بين ما يجوز الأخذ به بعين الاعتبار، وما لا يجوز، ونظراً لما يحيط بهذه الخلافات من شكوك في صحة أي منها، فإننا إذا وضعنا جانباً منها، وأردنا مثلاً الأخذ بقول من يرى أن صنهاجة وكتامة هما قبيلتان عربيتان وهما المستقرتان في شمال أفريقيا منذ أحقاب سحيقة لا تعرف أبداً، لوجدنا أن هذا الرأي في حاجة إلى دليل لقطع الشكوك المحتملة ولكن لم نجد معه أي شئ من هذا القبيل.

وإذا عرفنا من خلال الثقافات العربية أن يعرب بن قحطان، هو أول من تكلم بلسان العربية، ولهذا أطلق هذا المصطلح على الأقوام الذين يتكلمون به ويكتبون به ويقطنون داخل نطاقه الجغرافي المعلوم تبين لنا أن الانتساب إلى المجتمع العربي الفعلي الحقيقي يتوقف بأنحصاره في حدود المفهومين السالفي الذكر هما : اللغة العربية أصلاً وحيز الجزيرة العربية موطناً.

وللمرء أن يتساءل عما هي الأسباب[1] التي حدت بقبيلتي صنهاجة وكتامة إذا كانتا عربيتين فعلاً أن تتخليا عن لغتهما العربية مع أنها لغة كاملة من حيث وجوهها وأركانها.

---

(1) نفس المصدر السابق، ص 163 – 164.

ثم كيف استطاعتا أن تبتدعا لغة جديدة دون حاجة ماسة إليها ولا ضرورة قصوى، أو يستبدلانها بلغة أخرى كالبربرية مثلاً؟

وبالنظر إلى هذه الاضطرابات في أقوال السابقين من الكتاب، فإن طالب المعرفة بوصفها الذي ينبغي أن يرتكز على التأكد والوضوح، نقول لا مفر له من الإصابة بالحيرة الحادة، ولذلك كنا نرجح في نسب كل مجتمع قاعدة ثابتة هي باعتبار لغته التي يتكلمها أصلاً والحيز الجغرافي الذي تركه فيه أسلافه موطناً.

وحتى نقترب من الواقع بعض الشئ فلابد لنا من العودة إلى الخلف، لما سلف ذكره عن أقوام الساحل الشمالي حيث كان من الراجح في نظرنا هو احتمال انتقال جماعات من هؤلاء من الساحل الشمالي الأفريقي بأعداد ذات اعتبار ويبدو أنهم في مناعة تجعلهم قادرين على الصمود في وجه كل صعوبة محتملة، دل على ذلك بقائهم[2] على وجه الدوام وزمنهم التدريجي نحو الجنوب ثم انتشارهم الواسع في احتلالهم بلاد الصحراء بوجه عام وشامل.

في حين أخذ قسم منهم بالاستقرار في الأراضي المعروفة بفزان الحالية حيث إمكانات الاستقرار متوفرة هناك، الماء والتربة الصالحة، فانشئوا فيها واحات كثيرة نمت عبر عهود طويلة من الزمن، ومن تلك الإنشاءات هي مدينة "جرمه" التي أصبحت عاصمة، ومع الزمن توصل القوم مع الظروف التجارية المواتية لقوة متصاعدة التي ساعدت في تأسيس حكومة فهذه الأراضي بلغت من القوة ما اتاح لها بسط سلطانها ونفوذها على الجنوب إلى النيجر، ومن الغرب إلى الأطلسي.

---

(1) **الصواب : عن الأسباب.**

(2) **الصواب : بقاؤهم.**

وأطلق عليها اسم "جرامنتيون" ويبدو أن هذا الاسم جاء أصلاً من نفس اسم العاصمة "جرما"[(1)].

وقد كان قسم آخر من هؤلاء القوم بقي محافظاً على حياته البدوية كما كان على مر العهود وحتى اليوم وهم غالبية المنتقلين من الساحل والسهول الشمالية.

ومع مرور الوقت انتشر هؤلاء القوم زحفاً نحو الجنوب إلى حدود بلاد الزنوج الشمالية، وهؤلاء هم كيل تماهق " الطوارق".

واسم الطوارق عند هيرودوت "ناساموت" وقول أن "ناسامون" لهم أسماء مقدسة، يترددون فيها على قبور أجدادهم لأخذ شورتهم في أمور حياتهم الدنيا، وسؤالهم عن المستقبل، وعن تصفيف الشعر وتسريحه عند "ناسامون" هو كما وصفه حتى اليوم عند الطوارق.

يقول الخبراء أن الطوارق حاربوا إلى جانب الجرمنتين حروباً طويلة وغزوات كثيرة ضد الرومان، ويرجح تدهورهم وانحطاطهم إلى أيام الفتوحات الإسلامية التي طردتهم من فزان.

لقد كان هؤلاء الجرمنتيون يعملون في جيش "هنيبال" كجنود من المرتزقة وزحفوا معه إلى أبواب روما. ولكن الخبراء متفقون على أن العربي[(2)] عندما غزوا هذه المنطقة في القرن السابع والحادي عشر الميلادي دفعوا بأحفاد هؤلاء جنوباً إلى بطون الصحراء. وقد أصبحوا يدعون الآن بالطوارق[(3)].

---

(1) لا فرق بين جراما وجرامنتي.

(2) الصواب : العرب.

(3) أن ذلك ما يصح الاهتمام به في موضوع التحقيق الخاص بقبائل الطوارق عبر العصور ودراسة أصل الجذور الأولى لهم.

ومن بين الأشياء التي كان من المعتقد أن لها صلة وثيقة بعلاقة الطوارق بالجرمنتين هو أن في السنوات الأخيرة عثر على آبار مردومة عند ممر طرق المواصلات التجارية عبر الصحراء من الشمال إلى الجنوب. وصل عدد هذه الآبار أربعة عشر بئراً :

يقع واحد منها في طريق طرابلس – غدامس – عين صالح – تينبكتو– النيجر

ويقع ستة منها في طريق طرابلس – غدامس – غات – أقدس – كانوا – "السودان".

وتقع سبعة منها في طريق طرابلس – غدامس – جرما – بلما – كاوار – أقدس – برنو.

وقد وجدت هذه الآبار مردومة لا يعرف بها أحد من قبل، ولكن نقص مصادر كافية من الماء لجماعات الرحل والرعاة كان السبب في العثور عليها واكتشافها.

ويبدو أنها قد دمرت على أيدي الجرمنيتن تبعاً لسياستهم التدميرية للأرض كما عرف عنهم. أو كانت على أيدي الطوارق من بعدهم الذين خلفوهم وأخذوا يدمرون الأرض كأسلافهم عند الضرورة القصوى والحاجة القائمة.

فيما تصاحبنا رغبة شديدة في البحث عن الدلائل التي تقربنا من موضوع العلاقة السالف ذكرها ربما بين الأقوام الماضية والحاضرة مما دفعنا إلى التقاط كل ما له علاقة بالأمر حتى من النوع الذي يراه البعض غير ذى صلة بالموضوع.

من ذلك رأينا أنها ملاحظة ذات أهمية أو كدليل من بعض الوجوه لربط علاقة عرقية بين البربر أو الطوارق بالجرمنتين[1].

هو ذلك المظهر الواضح الذي شاهدناه في طريقة دفن الموتى المتشابه بصورة كلية والمنتشر بمواقع سكني الناس في الأزمنة العابرة القديمة في مناطق الصحراء من جنوب سلاسل مرتفعات جبل نفوسه مباشرة، وعمود جهات الصحراء إذ تشكل هذه القبور في مظهرها وحدة واحدة من حيث شكلها الهرمي الواحد، ومن حيث اتساع قاعدته السفلي. وهو مطابق لما نشاهده في جهات وادي الآجال وكافة قبور الجرمنتين في هذا الوادي وبالقرب من عاصمتهم جرما[2].

ومن هذا الباب أيضاً أتذكر قصة ذات علاقة وثيقة بهذا الموضوع وهي أن شخصان[3] ممن دفعهم فضولهم وفراغهم الصحراوي إلى أن يقدموا على فتح أحد هذه القبور والواقع في الصحراء جنوب شرقي غدامس على مسافة 150كيلومتراً. وفعلاً بدأ هؤلاء عملهم بإزالة الأحجار المكومة فوق القبر وواصلوا هذا العمل حتى انتهوا إلى تربة ناعمة، وفي خلالها عثروا على عظام بشرية كاملة ووجدوا بينهما ما يلي: الرأس وبه شعر طويل وكثيف وبشكل مسدول وغير مفتل ووجدوا قطعة نسيج في درجة كاملة من الذوبان. وقاموا بالتعامل معه برفق ولطف حتى عرفوا أنه نسيج كانوا يستعمله الطوارق حتى هذا الوقت.

---

[1] وذلك أحد الأدلة على أن الأقوام الماضية والحاضرة اليوم هم على تسلسل من الماضي إلى الحاضر.

[2] هذه المعلومات نتيجة رؤيتنا الخاصة الشخصية.

[3] الصواب : شخصين.

ويسمى "تابروق" أدركوا ذلك بما كان أصلاً موشي به من ألوان مختلفة أخرى. كما وجدوا خلال الأتربة بالقرب من العظام عدداً من الخرز الناصعة البياض لامعة بعض الشئ[1].

فالمستنتج من ذلك هو : أنه قبر امرأة وأنها ذات بشرة بيضاء بالقياس إلى صفة الشعر وطوله، وأما النسيج الذي لفت به كان يستعمله سكان هذه المنطقة حتى اليوم.

وهذا دليل على أن الطوارق أو بالاحري البربر [2] سكان هذه المنطقة أو الأراضي الصحراوية ذوو علاقة وثيقة بالجرمنتين لتطابق كثير من أحوالهم مثل البشرة البيضاء والشعر المسدول.

وعندما أشرنا إلى أن بين الطوارق الحاليين وبين الجرمنتين صلات تقرب بين الواقع ووجهة نظرنا في افتراضنا القائل بأن شعب الجرمنت هو نفس شعب الطوارق الحالي وأنهم هم أحفادهم اليوم.

---

[1] ذلك ما اخبرني به العاملون أنفسهم، المؤلف.

[2] اختلف المؤرخون في نسبهم فمنهم من رفعهم إلى حمير ومنهم من رفعهم إلى لمطه ومسوفه ومنهم من يرى أنهم هجين من العرب وما يسمى بالبربر، وأمام هذه الأراء مجتمعة فإنها تؤكد عروبتهم وقد أكد عدد من المؤرخين أن حمير عرب وقبائل لمتونه وجداله ومسوفه عرب والبربر عرب فهم يؤكدون= =عروبتهم والطوارق معروفون بأنهم محاربون من الطراز الأول ذو قوة وبأس إلا أنهم لا يظلمون وهم متساحمون إلى أبعد الحدود كرماء ولكن إذا ما وقع عليهم جور فإنهم مثل السيل الجارف ويبرهن على ذلك ما وقع بينهم وبين الحاج إدريس علي عندما أراد غزوهم، للمزيد انظر موسى بن أحمد السعدى، زهور البساتين، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة **10**.

هذا رأي الرحالة الألماني رولف امابات يرى ان كلمة طوارق نجمت من دمج عبارة عبارة (تركوا دينهم) وقد الصق بهم هذا الاسم تكرر ارتدادهم عن الدين الإسلامي وفي كتاب دوفيريه (طوارق الشمال) ويزعم الشيخ إبراهيم ولد سيدي ذو المكانة الجليلة أن لطوارق شرفاء إذ أنهم ينتسبون إلى الأدارسة وهذا يعني أنهم من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المؤلف.

وإنما نقول ذلك ونحن مستندين إلى هذه الأمور كأدلة من شأنها أنها ذات اهتمام عند ذوى التعليم العالي[1] في هذا الخصوص ومن ذلك أيضاً :

1- استخدام الجرمنت لغة البربر "تماهق" التي يتكلمها ويكتب بها الطوارق اليوم شاملة جميع المناطق التي تخضع لحكمهم في فزان والصحراء الواقعة إلى شمالها وجنوبها إلى نهر النيجر.

2- الأسماء الكثيرة التي تعرف بها الأماكن ذات الأهمية الاعتبارية في المنطقة فهذه القرى والمزارع التي تطلق عليها أسماء باللغة الطارقية الخالصة دليلاً قوياً على هذا الاحتمال[2].

وإلى القارئ نموذج من هذه الأسماء كمثال لا حصر وهي :

تين تيسمت : تين تيسمت : ذات الملح.

تاكنين : تاكين : التي خدموها.

تناظبور : تان اظبور.

وانزريك : وان زرى : اسم لمن يتدخل فيما لا يعنيه.

برقن : إبرجن : بين من الشعر "مركن".

تارون : تاروت : لها مدلولات ثلاث : شجرة معروفة – رئة من وظائفها التنسرع – القيلولة.

ابراك : لها مدلولين : أحواض مجمع الماء – حفر.

دبدب : ما ارتفع فوق سطح الأرض وقيس بصخري.

الزيغن : الزاغن : يقيمون ومستقرون.

---

[1] الجملة أن عند ذوى التعليم العالي جملة ناقصة وغير مستقيمة المعنى.

[2] هذه الأسماء بلغة الطوارق للقرى وللمزارع إلى أن الجرمنتين يستعملون لغة الطوارق المزدوجة باللاتينية حين استولى الرومان على جرما.

تمنهنت : تماناهت : رسوة – مرساة.

تمسان : تيموسان : حب الشباب.

تنهضان : تين هضان : ذات الحمير.

واد يبدرن : والديبدرن : الواصل فجأة.

اغفنجين : اغف نيجى : رأس مرتفع فوق سطح الأرض – مجري.

تنكروش : تيداكاوش : ذات القط.

وايزدن : وايطدن.

تاميرا : تميرا : مفتوحة – أو هي واسعة.

تيرغت : تارغت : الصفراء.

تيليسلت : تليسلست : الحرة – أو ساحة الأرض.

تيجيدا : تجيدا – أغواد رملية.

تينفجاج : تيهد افجاج : ذات خشبة من النخل.

تينغع : تيهد اغف : ذات الرأس.

تناظي : ارناظئ : ملئ – أو معبئة.

تاغمرت : تاغمرت – زاوية – أو مرفق.

تيرامت : تايد ادامو : ذات الفروع – أي يشرب منها بالكروع.

أما ما كان منها شمال وشمال غرب فزان فالآتي :

وارفلا : وارفلاَ : مرتكزة فوق أو في العلو.

تاغرمين : تيغرمين : قرى أو قصور.

سيناون : اسيهداون : أقدم واصعد المعروف أن البلد الأول هو "قصر لوطاني" وهو مقام على مرتفع جبلي فلابد من صعود القادم إلى ساكنه.

تفلفلت : تينلفلت : صفحة حجرية ومعلوم أن القرية مبنية على قمة حجرية ذات امتداد واسع وملحوظ.

جنتور : اجنتور : واد صغير أو شعبة.

تينبزن : تبن ابازن: ذات اندفاعات وهي عين جارية بمرج.

تفرفوا : تافرفرا : الأسماك المتوسطة الحجم – قسم من أقسام بلدة غراس.

تموجار : تيدمورجار : ذات البعير "الجمال".

انفوجاس : اندفوغاس : قبيلة من الطوارق معروفة بغدامس وغيرها.

تيارت : تايارت : مساحة حجرية محاطة بكثبان رملية.

تيفست : زريعة.

غمدان :إغمدان : ملقطة[1].

وما يتصل بهذا الموضوع يشير إلى بعض آراء العلماء فيما يتعلق بهذا البحث وما وصلوا إليه من بحوث داخل طبقات الأرض، وما كان فوقها من نقوش ورسوم وخطوط مما خلفه إنسان ما قبل التاريخ ونخص بالإشارة إلى بعض ما يتعلق بقارتنا الأفريقية كما جاء مبيناً في النظرية الثالثة وذلك اعتماداً على ما نشرته "دار مكتبة الحياة ببيروت" لمؤلف كتاب : من الساميين إلى العرب قوله : أبدأ العلماء في أصل الساميين آراء متناقضة حتى تركزت الآراء حول نظريات خمس.

1- النظرية الأولى جزر المتوسط.

2- النظرية الثانية شبه الجزيرة العربية[2].

---

[1] من مفردات اللغة الطوارقية.

[2] نسيبة الخازن، من الساميين إلى العرب، منشورات دار الحياة ، بيروت، ص 43.

3- النظرية الثالثة شمال أفريقيا منذ السنة 1887 قال نولدكى وهو المستشرق الأكبر في هذا البحث أنه يميل إلى الاعتقاد بأن أفريقيا موطن الساميين الأصلي، وذلك بسبب التشابه الكبير بين اللغة السامية والحامية.

وقد أخذ أخيراً لهذه النظرية العلامة بارتون.

يعتبر داروين أول من قال بنظرية نشوء الإنسان في أفريقيا ولم تقم أدلة ملموسة حين ذاك تثبت قوله غير أن الدكتور بكن عثر أخيراً في "تانجنيقة" بأفريقيا على جزء من بقايا أدمية متحجرة وهي تدل على أن الإنسان عاش قبل مئات الآلاف السنين في أفريقيا.

ومن رأي هذا العالم أن الحياة وجدت في أفريقيا قبل ذلك التاريخ بكثير أي نحو 40 مليون سنة خلت ومن شمال أفريقيا تسرب الإنسان إلى أواسط القارة وربما كانت هناك صلة بين الحياة في شمال أفريقيا عهد إذن وبين حياة مسائلة في جنوب أوروبا.

ويقول أن البحث أثبت وجود الحياة بأدلة قطعية في أفريقيا في ذلك التاريخ السحيق والأدلة الجديدة تعزز الأدلة الضعيفة التي عثر عليها من قبل وإن نظرية قدوم الساميين المختلطين بالحاميين من شمال أفريقيا تفسر اختلاط نسب سام بأبناء حام كما تذكر بعض المصادر.

ويكفى أن نذكر في هذا الصدد ما دلت عليه الرسوم التي اكتشفت في صخور الصحراء الكبرى حيث يظهر الإنسان وهو يقتضى[1] حيوانات لم يعد لها

---

[1] الصواب : يقتنى.

في عصرنا وجود يكفى أن نذكر[1] لنستنتج ما طرأ من اختلافات الإنسان وهو يقتضى حيث انقلبت التربة الخصبة إلى صحاري.

وجاء في محاضرة بشاردينى في المعهد الفرنسي للعلوم محاضر الجلسات مجلد 23 جلسة 23-11-1953 أن العلماء اعتقدوا حوالي سنة 1910 أن أوروبا مهد الإنسانية ثم اعتبرت آسيا ذاك المهد حوالي سنة 1930، أما الآن فقد بدأ لنا بوضوح يبهر الأنظار أن الحادث الكوني العظيم وهو ظهور الإنسان إنما وقع في أفريقيا ثم يقول الأب تيلار "ص 78-79 من كتاب تلدوميشيم" ويبدو أن الإنسان هاجر بعد ذلك باتجاه البحر المتوسط ووصل إلى المنطقة التي تلتقي بها القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأوروبا ومن هناك انتشر ووصل قوم في هجرتهم إلى سيبيريا ومنها إلى أمريكا.

وعليه فوجود الجرامنتيين في الصحراء الأفريقية الكبرى حيث تكونت لغتهم وبعض عناصر نظمهم الدينية والاجتماعية ثم توسعت نحو آسيا إلى الجنوب والشرق حيث تمتد الآن جزيرة العرب وصحراء سوريا مع حفظ أثار لغتهم وعوائدهم الأصلية البادية إلى الآن هذه هي نظرية الساميين التي يقول بها علماء كثيرون[2].

---

[1] يجب زيادة كلمة ذلك.

[2] نسيبة الخازن، المرجع السابق، ص 44.

أقوال المؤرخين والعلماء
حول سكان أفريقيا من البربر والطوارق

يقول المؤرخ الروماني – سالوست أن شمال أفريقيا أهله من "الفيتوليين" و"الليبيين"[1] ويقول ابن خلدون أن الطبقة الثانية من العرب[2] صنهاجة هم الملثمون.

ويواصل الحديث عنهم فيقول : وما كان لهم بالمغرب من الملك والدولة إلى هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالقفار والرمال الصحراوية في المجالات هناك والقفائف منذ دهور لا يعرف أولها[3].

ويقول عن صنهاجة الملثمين أنهم كانوا في الأزمنة القديمة قبل الإسلام يسكنون الصحراء الجنوبية ويعتمدون في معيشتهم على لحم الإبل ولبنها لبعدهم عن مناطق جبال التل المبنية الخصبة، وأنهم يتجنبون الاقتراب من القوم المتمدنون والاختلاط بهم ويعيشون على الانفراد ويتصفون بالشجاعة والخشونة وأنهم لم يرضخوا لحكم الأجنبي أبداً.

كما يقول ابن خلدون أيضاً : أن ملكهم "تلوتان" الذي توفي سنة 222 هجرية كان إذا رحل لغزو يصحبه مائة ألف هجان، ويقول أيضاً أن أشهر ملوكهم في القرن السادس الهجري هو "تقرسا" الذي كان يحكم الصحراء كلها، وبعد أن اختلت وحدتهم القومية تشتتوا وأصبح لكل قبيلة رئيس خاص بها[4].

---

[1] أن هذا ما سمحت به ظروف هذا المؤرخ، المؤلف.

[2] الصواب : عرب

[3] جعل ابن خلدون العرب أنهم طبقتين، وهل كان في العرب طبقات؟ المؤلف.

[4] فيما قاله محمد الحشائشي في كتابه في حاجة إلى تصحيح ونقص في هذا تأويل ابن خلدون للتوارق، المؤلف.

وتطرق الرحالة التونسي في كتاب رحلته عن الطوارق وهو الحشائشي ذاكراً نص ما قاله عنهم ابن خلدون قال العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون ما نصه : "على الأرياف ووجدوا بها المواد وهجروا منها واعتاضوا عنها بلبن الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناساً بالأفراد وتوجساً بالعز عن الغلبة بالقهر. فنزلوا من ريف الحبشة وسكنوا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجراً، واتخذوا اللثام خطاماً تمييزاً بشعارهم بين الأمم. وكثروا وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونه فوتريكة ففواكة فزغارة ثم لمطة أخوة صنهاجة ومحلهم ما بين البحر المحيط الغربي إلى بلدة غدامس قبلة طرابلس وبرقة.

وللمتونه فيهم بطون كثيرة منهم بنو ورتقطن وبنو رمال وبنو سولان وبنو أقاسم وسكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف وكان دينهم حينذاك المجوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا بتلك المجالات الشاسعة حتى كان الإسلام بعد فتح الأندلس. ويقول ابن خلدون : اسم[1] الطوارق عليهم العرب الفينيقيون الذين هربوا من وجه الإسكندر المقدوني، فهو رأي خاطئ[2] لأن وجود هذه القبائل قديم وثابت منذ أيام هيروتش وقبل الإسكندر بزمن طويل[3].

ويقول الطاهر الزاوي في كتابه "تاريخ الفتح العربي في ليبيا" في معرض حديثه عن البربر : وكانت مواطنهم من الإسكندرية إلى بحر الظلمات ومن البحر الشمالي إلى حدود السودان وهم في أفريقيا كما قال ابن خلدون من أزمنة لا يعرف أولها وما قبلها وكل ما قيل في دخولهم أفريقيا هو من قبيل التقريب وهو إلى التحقيق أقرب.

---

[1] الصواب : وأطلق.

[2] الصواب : وهذا الرأي لم يكن صحيحاً.

[3] أن الطوارق ليسوا فينيقيين بل سكان شمال وجنوب الصحراء أصلاً. المؤلف.

واصح ما قيل في أصولهم هو ما قاله ابن خلدون والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأن أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأن اسم أبيهم مازيغ، فلا يقعن فيوهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه[1].

ويقول الطاهر الزواوي : ومن أشهر قبائلهم في طرابلس قبيلة هوارة، وهي بطن من البرانس تنسب إلى هوار ابن اوريغ ابن برنس جد البرانس، ومن هوارة غريان ومصراته ومسلاته وهجريس ومسلاته وغريان وهجريس أبناء هوارة وكانت مواطنهم زمن الفتح حول طرابلس إلى ما يقرب سرت إلى قصر يمون من ناحية الجنوب إلى أن قال : ومنهم من رحل إلى بلاد السودان ومازالوا يقال لهم "هقار" فقلبت العجم واوها كافاً أعجمية تخرج بين الكاف والقاف العربيتين.

يقول الجغرافيين : استرابو – وبطليموس – والمؤرخون بيسبتى وسنتوس فقد كان هؤلاء الجرمنيون يعملون في جيش كجنود من المرتزقة، وزحفوا معه إلى أبواب روما. وعندما وطد الرومان أقدامهم في أفريقيا الشمالية فيما بعد – كانت غزوات هذا الشعب في طرابلس تحدث لهم الكثير من المتاعب ونظمت روما عدداً من الحملات التأديبية، لكن الجرمنيتين يضطرون إلى الانسحاب وإغلاق الآبار وراءهم، وهي سياسة تدمير الأرض التي عرفتها الصحراء فيما بعد. ولكنهم ضعفوا في القرن الأول الميلادي للسادة الجدد وغدوا يلعبون دوراً مهماً في حملات الرومان الصحراوية الثانية إلى أن أكدوا سيطرة الجرمنيتين على جميع أنحاء فزان وتاسيلي وهقار وامتد نفوذهم غرباً إلى الأطلسي وجنوباً إلى النيجر.

---

[1] أن ما جاء في هذا الكتاب عن البربر والطوارق هو المعول عليه وهو الصحيح. المؤلف.

ولا يعرف شئ عن المكان الذي جاء منه هذا الشعب، ولا عن المكان الذي مضوا إليه. ولكن الخبراء متفقون على أن العرب عندما غزوا هذه المنطقة في القرن السابع والحادي عشر الميلادي دفعوا بأحفاد هؤلاء الأقوام جنوباً إلى بطون الصحراء وقد أصبحوا يدعون الآن بالطوارق.

يقول رودلفوجراتزيانتي في كتابه "نحو فزان" في معرض حديثه عن هذه المنطقة تحت عنوان "معلومات تاريخية" قوله : لا شك أن أول أخبار عرفها الناس عن فزان هي تلك الأخبار التي رواها المؤرخ الشهير "هيرودتس" في القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد علمنا منها أن تلك الأراضي كانت تشتمل أيضاً في ذلك الوقت على مناطق خصبة غنية بالنخيل ولقد كانت هذه الأراضي نفسها يسكنها الجرمنيون وهم شعب كانت تحكمه حكومة مستقلة تتألف من الرجال الأبطال الأقوياء الشكيمة يرجع أصلهم إلى الجنس الأسود واختلطوا بعد ذلك بالعناصر الشمالية.

ولقد احتل الرومان فزان في سنة 19 قبل الميلاد على يد لوشيركونيليوس بالبو الصغير واحتفظوا بوضع أيديهم عليها حتى القرن الخامس بعد الميلاد، ولقد كانت عاصمة فزان هي مدينة "جرما" التي يطلق عليها اليوم اسم "جيرما" وهي واقعة في الوادي الغربي. ولم يستطع الوندال ولا البيزنطيون بسط سيطرتهم على هذه المنطقة إذ أن فزان بعد أن تركها الرومان عادت إلى الاستقلال وقد حكمها في أول الأمر وطنيون، ثم حكمها في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر آسر بربرية من بني الخطاب التابعين إلى قبائل "اوريغه" التي تسمي أيضاً هوارة وحوالي 1300م دخلها الشريف "منتصر بن محمد" من قبيلة أولاد محمد .... وهو من أصل مراكشي.

ولقد جاء في كتاب هنرى لوت "لوحات تاسيلي" قوله : أن الطوارق حاربوا إلى جانب الجرمنيين حروباً طويلة وغزوات كثيرة ضد الرومان حتى سقطت جرما.

ويظهر ذلك في أساليبهم الحربية التي يستعملها الطوارق حتى عهد قريب منها إخفاء مواقع المياه بردم الآبار حتى لا يستفيد منها من يقتفون آثار غزواتهم.

ويضيف قائلاً : ويجب علينا أن لا ننسى أن طوارق التاسيلي كانوا في وقت يلعبون دوراً كبيراً في التاريخ فقد كانوا عبر قرون سادة فزان بلا منازع وكان زعمائهم[1] يحكمون ويسيطرون على طريق القوافل العظيمة من طرابلس في الشمال إلى السودان في الجنوب وكانت عاصمتهم جرما... ويقول أنهم اشتركوا مع أجدادنا في فصائل الغال في معارك تربياً وكاناى وبحيرة تراسمين بل أن هنيبال كان يشتمل جيشه على فرقة من خيالة الطوارق.

ويرجع تدهورهم وانحطاطهم إلى أيام الفتوحات الإسلامية التي طردتهم من فزان : حارب الطوارق الرومانيون[2] في حملاتهم الأولى والثانية مما أوقف امتدادهم جنوباً مدة طويلة من الزمن، حتى جاءت الحملة التي تسمي فرقة اوقاستة الثالثة والتي وجدتهم منهوكي القوى بسبب الحملات الأولى الماضية مما دفعهم إلى الصحراء القاحلة والتي استطاعوا البقاء بها متبعدين[3] عن المدن التي احتلها الرومان مما جعل الجدد لم يستطيعوا بسط نفوذهم على مناطق الصحراء التي إخافتهم بسبب صعوباتها الطبيعية وشدة باس الطوارق وغاراتهم على المدن

---

[1] الصواب : زعماؤهم.

[2] الصواب : الرومانيين.

[3] الصواب : بعيدين

تارة وقطع طرق المواصلات أحياناً[1]. والمؤرخون العرب ينسبون جدالة إلى صنهاجة. ولكن ما نسب صنهاجة؟

أن أكثر مؤرخي المسلمين يعتبرون صنهاجة وكتامة قبيلتين عربيتين قدمتا إلى المغرب مع ملك حميرى يسمونه "افريقش" ولكن هذه الرواية التي انحدرت من هشام ابن الكلبي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق التاريخية خاصة وأن ابن خلدون كان قد فند مزاعم المؤرخين ومنهم هشام ابن الكلبي واعتبر كلامهم واهياً، ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة من أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقيا والبربر من بلاد المغرب.

وأن افريقش بن قيس ابن صيفي من أعاظم ملوكهم الأوائل وكان لعهد موسى أو ما قبله بقليل غزا أفريقيا في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع وظائفهم فقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم منه إلى أن قال فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة[2].

نشير هنا بحرفية ما قاله "غوتيه" عن الطوارق : وفي أعماق الصحراء من ناحية السودان يعيش قوم آخرون من البربر الذين لا ينتمون إلى تلك الفئتين الآنفتى الذكر وهؤلاء هم الملثمون الذين كانوا يضعون على وجوهم اللثام. وهو زى يفرقهم عن سائر الأمم. أقام الملمثون في المناطق المجدبة الممتدة وسط الصحراء حيث احتلوا أماكن مجاورة لريف الحبشة - السودان اليوم - وكذلك المنطقة الفاصلة بين بلاد البربر وبلاد الزنوج[3].

---

[1] **معلومات أخذت من كتاب لوحات تاسيلي هنرى لوت، ص 148.**

[2] **وإذ يقول غويته أن الطوارق لهم شخصيتهم الخاصة فإنه صادق في هذا القول، المؤلف.**

[3] **غوتيه، اميل فيليكس، ماضى شمال أفريقيا، تعريب هاشم الحسنى، طرابلس : مكتبة الفرجاني 1970م، ص 55.**

ويعتبر هؤلاء من كبار الجمالين الرحل. وهذا ما يميزهم عن غيرهم من سكان المغرب وقد اثروا الأماكن البعيدة عن التل والبلدان الخيرة لأنهم كانوا يعيشون على لبن النوق ولحم الإبل، ولكن هل هم من التبو أم من البرانس؟

ليست الإجابة على هذا السؤال بسهلة[1] لأن هناك فئتين من الملثمين[2] :

فالغربيون لمته ولمتونه أسسوا أسرة المرابطين ويمتون بصلة النسب إلى كتلة الزنافة في مراكش كما ذكروا قرابتهم مع صنهاجة القبائل، وبذلك يكونون[3] من البرانس. لكن الملثمين الشرقيين ينتمون إلى الهقار ومنهم قبيلة هوارة التي اشتهرت في مطلع الفتح العربي. ويقال أن الطوارق لهم شخصيتهم الخاصة ويتفقون مع التبو في ملبسهم إذ يرتدون المنسوجات القطنية السوداء والزرقاء الداكنة وهم مثلهم في وضع اللثام الذي يخفي أكثر الوجه ما عدا العينين ولا أحد يشبههم سوى التبو وهم يتكلمون لغة البربر ويكتبونها ولها حروف هجائية تسمي تيفناغ وهم يحملون دائماً خنجر اليد كما جاء في وصف كوبربيوس، وهم الفئة الباقية من قدماء الليبيين[4].

يقول الأستاذ عثمان السعدى في كتابه : "عروبة الجزائر" قوله : ومن المؤرخين اللغويين من يرد البربرية إلى أصول فينيقية مثل غوستان ليون الذي يقول أن لغة البربر العريقة في القدم يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية ويقول :

---

(1) الصواب : عن هذا السؤال سهلة.

(2) لقد كان غويته باحثا حقا فيما اتفق فيه وقتا غير قليل، المؤلف.

(3) الصواب : يكونوا.

(4) لقد كان في حديث عثمان انحيازا ظاهرا نحو الجنس العربي يأخذ قول غستاف مأخذ الصدق، المؤلف.

ومن الغريب إذا حللنا الأبجدية التي يستعملها الطوارق اكتشفنا الوجاهة في رأي ليون هذا[1].

جاء هذا في كتاب "الطوارق" للدكتور "محمد سعيد القشاط" قوله: فلغة الطوارق التي يسمونها "تماشاق" أو "تاماشك" هي إحدى اللهجات العربية التي قضى عليها الإسلام عندما وحد لغة العرب بلغة قريش التي أنزل الله بها القرآن. وهي اللهجة الوحيدة الأفريقية التي يوجد بها حرف الضاد سمة اللغة العربية.

أن الإسلام لم يأت للقضاء على أية قوم بل تركها قائمة ومتداولة بين متكلميها وأثبتها بقوله تعالي : "ومن أياته خلق السموات والأرض وأختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين"[2] وإن حرف الضاد لا يمثل سمة اللغة العربية وحدها بل تشاركها فيه لغة البربر والطوارق بشكل قوي جداً كالنطق به سليماً خالياً من أية لكنة بالإضافة إلى وجود صورته بين حروفهم الخاصة بهم "تيفيناغ"[3].

وبالنظر إلى ذلك فإن الحكم باختصاص لغة العرب بحرف الضاد أمر في حاجة إلى تصحيح – وقد أشار إلى الطوارق ابن سعيد المغربي في كتاب الجغرافيا "النسخة الخطية المحفوظة بباريس" باسم وجداله وهذا هو الاسم الذي أطلقه عليهم "محمد الحسن الوزاني" المعروف "بليون الأفريقي" المتوفى في أواسط القرن السادس عشر.

---

[1] قلنا : أن هذه الأخبار غير ذات اعتبار وأن حرف (الضاد) تشترك في ـــ اللغة البربرية أيضاً، المؤلف.

[2] سورة الروم الآية 20-21.

[3] محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء، ط 2، أبحاث ودراسات شؤون الصحراء، إيطاليا – كيدري، مطابع دينار 1984، ص 30 - 33.

ولعل اسم وجداله هذا ذلك الاسم الذي تعرف به حتى اليوم قبيلة منهم تدعى جدالة وهذا متقارب جداً.

يقول "انتوفيو فالفونتى" في وصفه للطوارق أنهم جنس راق وفرسان على درجة من النبل والشجاعة، وقال عنهم أنهم يعتمدون على اللبن والأزر واللحم في طعامهم[1].

واسم الطوارق عند هيرودت "ناسامون" ويقول أن ناسامون لهم أيام مقدسة يترددون فيها على قبور أجدادهم لأخذ مشورتهم في أمور حياتهم الدنيا أو سؤالهم عن المستقبل، وهذه الطريقة يوجد لها مثيل عند الطوارق بشكل من الأشكال وتسمي "ادينى" وكان وصفه عن تصفيف الشعر وتسريحه عند ناسامون لا يختلف عما هو عند الطوارق حتى الآن.

وأقر "شارل فيرو" في كتابه "الحوليات الليبية" قوله : ولكن حدث منذ أربع سنوات وأن نشب خلاف بين الزعماء الطوارق وأخذ ذلك الخلاف يتفاقم حيث أضر بالخصوص على حركة القوافل التجارية المتجه من مرزق وغدامس إلى الدواخل وأيضا بتلك الآتية منها. فقد رأي "الشيخ جبور" ابن عم الشيخ "محمد اخنوخن" قد حرمه فجأة من حقه وحق جماعته من عوائد مرور القوافل وأصر اخنوخن على موقفه.

أقول : أن من الخطأ القول بأن السبب في هذا الخلاف منشاؤه عوائد المرور. إذ كان كلا الشيخين يتلقى عوائد المرور من جهة خاصة معينة ينتمي إليها التجار ولا يتدخل أي أحد منهم في شئون عوائد الآخر.

ولكن السبب في الخلاف هو : تنافس كل من "ختاسان نجل جبور" وابن خاله ختاسان "اوفنايت امرسوسى" على رئاسة قبيلة "امنغساتن" وكان "اوفنايت"

---

[1] **لقد أبدى هذا المؤلف أقواله في هذا المجتمع الطارقي على نحو يبدو متأكداً من ذلك، المؤلف.**

محتمياً "بقبيلة اوراغن" التي يرأسها "اخنوجن" باعتبار أن جد اوفنايت "كلالة" من قبيلة اوراغن.

كما جاء في كتابه قوله : وفي ابريل 1875م قام علي باشا بجولة استطلاعية واسعة في طرابلس الغرب وصل خلالها إلى نالوت ومنها إلى غدامس. وعند وصوله إلى هذه الواحة تلقى رسالة من الحاج أحمد شيخ طوارق اهقار يشكو فيها من غزوة كبيرة كان محمد اخنوخن قد قام بها على منطقته يسانده في ذلك أناس من فزان وطالب الباشا في رسالته أن يعيد إليه ما غنمه هؤلاء منه.

فرد عليه الباشا قائلا : أن ما قام به ذلك الشيخ ما هو إلا انتقام لهزيمته السالفة، وبأنه حالما يقوم بنفسه برد ما غنمه ذلك الشيخ منه فإنه سيرجعه له. وينصحه أيضاً بالتصالح مع اخنوخن، هو وقبائل امنغساتن وافوغاس التي قام جانب منها بتحريض من الشيخ جبور بإعلان الحرب ضد اخنوخن.

أقول أن لما[1] كانت قبيلة افوغاس هي القبيلة الازجرية التي لازمت الحياد عن هذه الحرب فإنه لم يكن أحد منها قد انضم إلى أية جهة من المتحاربين. إذ أن هذه القبيلة قد حددت موقفها بالحياد من حرب بيـــن قبيلتين ازجرتيـــن. واعتبر ما جاء بهذا الحديث هو خطأ لا شك فيه[2].

---

[1] الصواب : أقول عندما.

[2] أن قبيلة افوغاس تقع خيامها في اضغاغ أدرار وقد ذكر أنهم وجدوا يسكنون جبال وسهول واقعة بين مدينة مزدة ومنطقة فزان يطلق عليهم اسم اغوراسيسين وربما يكونا هم قبيلة افوغاس المنتشرة من غدامس إلى الجنوب في ازواغ وجبال امتاغ بأدرار ومرتفعات الأيير. وأن قبيلة افوغاس هي إحدى القبائل التي كانت على حياد من هذه الحرب، ومعني افوغاس (أشعل النار) وهذه القبيلة جاء جدها محمد المختار من المغرب وهو شريف عربي ينتمي إلى الحسن بن علي وصل إلى منطقة الصحراء حيث استقر بها أيام البطش بالهاشميين، للمزيد انظر جى دى، تاريخ

جاء في كتاب "الصحراء الكبرى" لمؤلفه "جميس ويللارد" قوله:

ويجدر بنا إلقاء الضوء على العشيرة التي حكمت الصحراء منذ أيام القرطاجيين على وجه الاحتمال وهي عشيرة "الطوارق" أو الرجال الملثمين. ومن المحتمل أن يكون أبناء هذه العشيرة هم الأحفاد المباشرون لأولئك الجرمانتيين الذين سادوا الصحراء الكبرى أيام اليونان والرومان. وسواء كان هذا هو الواقع أو لم يكن. فقد كان الطوارق إلى عهد قريب وبمعني من المعاني هو شعباً بقيت ثقافته ولغته نسبياً دون أي تغيير منذ العصور الكلاسيكية القديمة.

إلى أن يقول، وللسياح الذين يستطيعون أن يصلوا حتى غدامس التي كانت في يوم من الأيام عاصمة للطوارق، ولا يزال هؤلاء يعيشون أطرافها. ويضيف قائلاً : ولا يعرف شئ عن أصل الجرمنتين الذين كانوا يرعون المواشي ذات القرون الطويلة في فزان القديمة. ومن المحتمل أن يكونوا قد انتقلوا من الساحل نحو الجنوب.

إلى أن يقول : وعدم وجود كتابة تؤيد الافتراض القائل أن الصحراء الكبرى كان يقطنها حتى عصر التاريخ المدون عرق أسود دفعته إلى الجنوب فتوحات شعوب المتوسط.

جاء في الفصل الثالث من كتاب "تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير" لمؤلفه "بوفيل" تحت عنوان "الرومان والجرمنتين : قوله :

ولم يمضى زمن طويل حتى كانت الظروف المشابهة لتلك التي دفعت الرومان إلى التوسع على طول الساحل قد أجبرتهم على التوسع نحو الأعماق. وبذلك تجسدت المخاوف الشديدة التي تردد ذكرها عند سقوط قرطاجة وعندما

غرب أفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، القاهرة : دار المعارف، 1982م، ص 63.

كان احتلال الرومان مقتصراً على منطقة ساحلية ضيقة، ما كانوا يواجهون سوى قبائل وثيقة الصلة بالأرض إلى حد كبير. ويمكن أن تدار أمورها بشكل أسهل كثيراً من القبائل البدوية الرعوية. إن الهضاب وراء الشريط الساحلي التي كانت تمتد إلى الداخل وتؤلف سلسلة طويلة من الهضاب والجبال كجبال الاوراس ومنطقة الجبل في إقليم طرابلس، كانت آنذاك كما هي اليوم موطناً لقبائل شبه بوية مثل الناسامويش في الشرق، والموريين في المغرب. وكان هؤلاء يثيرون القلاقل والفتن ولذلك توجب أن تفتح بلادهم ولذلك تقدمت خطوط الدفاع الرومانية حتى سفوح التلال التي اعتبروها طبيعية ممتازة للدفاع، ويبدو أنه قد تبين للرومان في هذا الوقت أن ليس لتوريطهم في المعارك من حدود بادية للعيان وهكذا ادخلوا في سلطانهم المرتفعات الجافة ذات العشب التي تمتد من الهضاب العالية في الغرب وتمر بأراضي التلال في الوسط حتى تصل إقليم الجفرة في أقصى الشرق. وكانت هذه الأراضي كلها مراعى صيفية للقبائل الصحراوية المعروفة بشكيمتها الشديدة وصعوبة المراسي.

وفي اشهر الصيف الجافة عندما لا يتبقى مكان للرعي في الصحراء، كانت تلك الأراضي الصالحة ضرورية لمياه القطعان والماشية التي تعتمد عليها القبائل الصحراوية في معاشها وبقائها وهم يستخدمون هذه الأراضي على أساس أنها حقوق لهم قد استقرت بالممارسة زمناً طويلاً، وما كانت هذه الهجرات الموسمية لتعد أبداً من قبل السلب والنهب، وكانت القبائل شبه البدوية المقيمة في المرتفعات تعتبر تلك الهجرات من الأمور العادية التي تلازم الحياة القبلية. ولكن الصحراء تولد غرائز السلب وترغم الإنسان على أن يعيش مستعداً لخوض الحرب أبداً. ولذلك كان بدوي الصحراء لديه في وقت واحد الميل والقدرة على غزو جيرانه. وهو يقدم على هذا مرات غير قليلة، ومع ذلك لم يكن بدو

الصحراء الكبرى في أيام الرومان الأولى قد حصلوا على الجمال التي أتاحت لهم من بعد قدرة كبيرة على التنقل وجعلتهم جيراناً أشد إثارة للرعب والفزع.

علاقة الأرض بسكانها البشر

وفيما ينقلنا الحديث إلى علاقة الأرض بمن كان عليها من الأقوام الماضية وأصول الأمم الحاضرة فوقها الآن فلا أري مانعاً من القول بأن الطوارق أو بالأصح كيل تماهق أنهم من الأقوام القديمة الراسخة في بلاد الصحراء بين سواحل شمال أفريقيا وبين شمال بلاد الزنوج مباشرة منذ أحقاب بعيدة لا يمكن تحديدها بعد[1].

وكل شئ يدلنا على هذه الحقيقة وبالخصوص[2] إذا ما أضفنا إليها تلك الأدلة الواضحة كل الوضوح وشواهد بارزة من خطوط ورسوم القدماء هذا القوام ومواقع سكناهم وعشرات الآلاف من قبور موتاهم كل ذلك يحدثنا بلغة الخرساء باتصال الأقوام الماضية بسلالاتهم وهي في تسلسل متصل بالأقوام الحاضرة اليوم[3].

---

[1] يقول المؤرخ ابن خلدون عند بحثه عن الصنهاجيين الملثمين أنهم كانوا في الأزمنة القديمة قبل الإسلام يسكنون الصحارى الجنوبية ويعتمدون في معيشتهم على لحم الإبل ولبنها لبعدهم عن مناطق جبال التل المنبتة الخصبة، وأنهم يجتبون التقرب من الأقوام المتمدنون والاختلاط بهم ويعيشون على انفراد ويصفهم بالشجاعة والخشونة ويقول إنهم لم يرضخوا لحكم الأجنبي أبداً وأن تعريف المؤرخ الشهير هذا يطابق أحوال الطوارق اليوم تماماً في وصف ابن خلدون أيضا لأحفاد الجيتول وهما صنهاجة وزناته في القرن السابع الميلادي يقول رماحهم في أيديهم راكبين على جمالهم يجوبون الصحراء دائما يقومون برعى حيواناتهم وتنميتها ويغيرون على أبناء السبيل ويسلبونهم، انظر ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 52.

[2] الصواب : بالأخص.

[3] ويروى وجود آثار قديمة وسط الصحراء حيث يسكن طوارق قبيلتي هوغار وآزجر، غالب الظن لأنها كانت أثناء حكم الطوارق مركز تجارة وعاصمة لهم وقد اسس الصنهاجيون بلدة تومبوكتو في أقصى الجنوب ويقسم علماء الجغرافيا قبائل الطوارق القاطن بعضه جنوب الجزائر وبعضهم فزان والصحارى الشمالية من نهر النيجر إلى قسمين هما طوارق الجنوب وطوارق الشمال فطوارق الشمال يعدون بالنسبة للجنوبيين وخصوصا نظراً لطوارق كليوى أرقي وأكثر اعتبارً لأن

وإذا نظرنا إلى شدة قبضة هذا القوم وتمسكه بالبقاء بهذه البلاد بصفة الدوام في مجالات صحراوية متحملة طبيعتها القاسية، وما تعرض له فيها من ألوان الشدائد على اختلاف مصادره لا يمكن التأكيد على أنهم هم أهلها وهي بلادهم منذ عصور ماضية إذ لا يرون عنها بديلاً أبداً وعلى الدوام.

وما تلك الأسماء العديدة القديمة التي أوردها الكتاب الأوائل مثل: ماتش، أورسياني، أرجوقس، ليبيس، جيتولى، جرمنتي، ناسامون، مور، إلا أسماء أطلق على مجملها اسم : البربر واسم الطوارق فيما بعد ذلك لسبب واحد وهو أنهم ليسوا فينيقيين ولا يونانيين ولا رومانيين ولا أحفاد أي كان من غزاة هذه البلاد من خارجها، ولكنهم أمته[1] من قدماء شمال أفريقيا منذ الأصل، والأقرب إلى الواقع أن جماعات من هؤلاء الأقوام كانت قد رحلت من الشمال تاركة سواحل البحر المتوسط الضيقة فانتشرت عبر سلاسل الجبال في اتجاه الجنوب لهدف من الأهداف حتى جنوب الصحراء الكبرى، ونهر النيجر فانتشرت منه تدريجياً وتفرعت مع الوقت إلى عدد لا حصر له من القبائل، ومنهم من استقر بمنطقة فزان واستطاع أن يؤسس حكومة، أشار إليه المؤرخ الأول هيرودوت بالقوة مشيراً إليها باسم جرمنتي ويبدو أن بعد أن ترعرعت هذه الحكومة واكتملت قوتها أخذ تطلعها نحو التوسع يكتسي شكلاً جدياً واضحاً فأضحى نفوذها يتجاوز الصحراء فامتدت يدها على نهر النيجر ثمّ بسطت نفوذها على ما جاور بلاد الزنوج من جهة الشمال، وإذا حاولنا الوصول إلى الحقيقة الكاملة لمعرفة حقيقتها، فإن الوصول إلى كنه هذه الحكومة التي أسسها هؤلاء في قلب الصحراء

الجنوبيين صاروا خليطاً متنوعاً لكثرة امتزاجهم بالجنس الأسود، نفوس طوارق أزغر (آزجر) الذين هم من الشماليين خمسة آلاف فقط وأما نفوس هوغار (أهقار) وتوابعها فتقدر بثلاثة أمثال نفوس أزجر، للمزيد انظر عبد القادر جامي، المرجع السابق، ص 164.

[1] الصواب : أمة

قبل ميلاد المسيح بما يقرب من ثمانمائة قرون[1] لا يتم بسهولة وبساطة إذ يصعب الوصول إلى هذه الغاية إلا عن طريق جهود مضنية جادة من أشخاص أوفياء مخلصين من أولئك المتخصصين في مجال الآثار وعلماء الأجناس البشرية فأولئك وحدهم القادرين على أن يتبينوا أصل ولون بشرة أولئك الناس وليس باستطاعة المار بوادي الآجال بصفة عابر أن يتبنى حقيقة الأشياء إذ لا يعير أي اهتمام لما يصادفه من آثار قوم مضو ومرت على ذهابهم قرون طويلة، ولكن حينما يكون من أحد رجال ذوى الثقافة والعلوم العالية، ومن أولئك المهتمون بخصوص ما لم يهتم به أكثر، كان هذا الوادي من العاديين، وكان ذا رصيد عال من علوم الآثار.

فلابد لهذا الإنسان[2] وقفة مفاجئة حينما يقع بصره على حجر منحوت ومصقول بعناية وبأيدي مهرة وهو مجلوب من ذلك الجبل الذي يراه من حوله على شكل هلال، داكن اللون فعندها يقع جالساً القرفصاء بصفة تلقائية وهو في قبالة تلك القطعة التي عثر عليها على أية حالة كانت عليها وليلقى عليه أسئلته التي كانت بطبيعة الحال منها: في أي زمن قطعتي وجلبتي من الجبل الذي أراه على بعد من مسافة قدرها بين ستة وثمانية كيلو متراً؟

وهل تتذكر نوع وشكل الناقلة التي أتيتني على ظهرها إلى هنا؟ وما هو لون الشعب الذي أنجب الرجال الذين قاموا بمساعدتك في رحلتك من ذلك الجبل إلى هذا الموقع؟ وعندها تبدأ هذه القطعة استرسال أجوبتها لهذا الإنسان بلغتها الخاصة، ولكن لا يستطيع فهما ذلك الإنسان وأمثاله من ذلك الفريق المتخرج من الجامعات والكليات والمعاهد التي تعني بتدريس تفاسير وتأويل مفردات وقطع

---

[1] ثمانية قرون، المؤلف.

[2] يجب زيادة كلمة من.

أواني وبقايا عظام من عصور قديمة مختلفة الأزمان وأما غيرها هؤلاء فلا تنتظر من أحد فهمها.

ولقد كانت مشاهدتنا لمدينة جرمة وما حولها من مناطق وادي الآجال، وما يحويه من صنوف آثار حرفيون[1] لهو محل دهشتنا، ومن إعجابنا حقاً ذلك ما تبيناه عن كثب من مهارة الأيدي التي شيدت جرمة وأبنية زنكيكرة بهذا الشكل والطراز المعماري البديع.

والمقام بواسطة أحجار ضخمة ثم نحتها وصقلها بمعرفة وعناية فائقة مما يجعل المرء عاجزاً كل العجز عن وصف مقدار قوة سواعد وعزة البناؤون[2] لها، فهذه المدينة التي اختير لتشيدها هذا الموقع الذي لا نعلم حتى الآن القيمة الاستراتيجية المقصودة من ذلك المكان ومع ذلك لا نرتاب في أن مهندسوها رجال على درجة معمارية مرموقة ولاشك في أن الرومان قد أضافوا عملاً متقناً فيما نراه وإن كان الإنسان عرضة أن تخونه ذاكرته في بعض الأحيان عما عمله وشاهده ولكن مظاهر تلك الآثار العجيبة والكثيرة جعلتنا في مأمن من نسيان ما قد برز واضحاً أمام أعيننا وغدا في أكثر المناطق بهذا الوادي كما هو الحال في جميع جهات الصحراء، وأمام هذا فالمرء لا يتمالك أن يقف حائراً متسائلاً في آن واحد عن ما هي المدة الكافية لإتمام مثل هذا العمل وإنجازه وهو على درجة عالية من التناسق والاتقان أهي سنوات معدودة أم هي قرون طويلة متوالية؟[3]

---

[1] الصواب : حرفيين.

[2] الصواب : البنائين.

[3] **وللحق نقول أن الرومان كانوا بعد هجوم فرقهم واحتلالهم مدينة (جرما) كانوا قد عملوا الكثير وخلفوا فيها مالم يخلفه غيرهم ربما وجدوا في 1933م من نفائس الآثار ونعترف لهم بالفضل فيها، المؤلف.**

فالإجابة على السؤال ليست سهلة فهي رهينة جهد الحكومة الحالية بفزان وسخائها فلو مدت يدها وبذلت قدراً مالياً لأمكن من الإجابة بقناعة ووضوح، ولتميط اللثام عما أخفته عوامل الطبيعة على دوام التتابع أزمنة بعيدة ولأمكن إزاحة الرمال عما هو محل الإعجاب والفخر أكثر لما وصلت إليه تلك الحكومة من مكانة وعظمة وسمعة مرموقة جعلها متربعة على حيز لائق بين كثير من الحكومات ذات القوة المقروء لها الحساب والتي تذكرها أقوامها وأجيالها على الدوام وبفخر حتى اليوم كالتبابعة والفرس واليونان والرومان وسواهم.

أفلا علينا نحن الوارثين لهم في أماكن دولتهم تلك، أن نهتم بهم وبذكر حكومة أسسها رجالهم، وفوق أرض بلادنا أفلا نغفل على ذكرهم ونداوم على الإشادة بهم وبتلك الدولة وقوتها وبعظمة أولئك الرجال الذين استطاعوا رفع شأن هذه الحكومة حتى بلغت شأناً عظيماً بين دول تلك الأحقاب ونظم رجالها بين أمجاد ماضينا وتاريخنا قبل أن نتناول بذلك الملثمين والمرابطين وماضيهم، ولإن صرفنا نظرنا عن الجرمنتيت وآثارهم العمرانية لوجدنا مرة أخرى قوة سواعدهم ونشاطهم بارزاً أمامنا كشاهد آخر وهو يحدثنا عن اهتمامهم في أعظم صورة ذلك ما أولوه للناحية الزراعية من جهد عظيم تشهد به أعمالهم الواسعة التي قاموا بها بسواعدهم فتصور أنهم يحتفرون آباراً تحت جذور الجبال الجنوبية لضفة هذا الوادي والتي لا يحصى لها عدد، ولا تستطيع أية لجنة إحصائية الإحاطة بعددها مهما أوتيت من مقدرة وحرص كما يقومون بإيصال هذه الآبار ببعضها بأنفاق تحت طبقة عميقة من طبقات الأرض لانسياب المياه عن طريقها بسهولة وبدون انقطاع حتى تصل في استقامة رائعة إلى المسافات الغنية بالتربة الصالحة، والتي لم يكونو يتركوا منها شبراً واحداً إلا وزرعوه وقاموا باستغلاله استغلالاً يتناسب وصلاحية تربة بلادهم ذلك، لهدف الحصول على أكبر إنتاج مهما كلفهم من جهد وعناء للاستفادة به كمصدر يعتمدون عليه لتوفير حاجاتهم

من الحبوب اللازمة والتي تكفي شعبهم طوال أشهر السنة كلها تلك المساحة البالغة في المتوسط ستة كيلومتر وعشرة كيلومتر عرضاً من الشمال إلى الجنوب في حين يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ثمانون[1] كيلومتراً وقد كانوا يحرصون كل الحرص على استغلال هذه الأرض[2] في مجال الزراعة فقط ولهذا السبب نرى عشرات الآلاف من قبور موتاهم يقومون بدفنها عند صفحات الجبال الواقعة في الضفة الجنوبية للوادي وهناك سبب آخر على ما يبدو وهو احترام القبور حتى تكون في مأمن من النبش بسبب زحف أعمال الزراعة نحوها لهذا كانوا يدفنون عند الجبال التي لا تصل إليها الزراعة ولعدم صلاحيتها.

ولما كانت معلوماتنا بسيطة حقاً لم ترتقي[3] حتى الآن إلى أن تصل بنا لحقيقة تاريخ وأخبار وأزمنة من كان مستقراً في مختلف جبهات هذه البلاد خلال الحقبة الماضية، وكانت قد أهملها المدونون إطلاقاً أو نحن لم نجد من بين المدون ما قد يشفي غليلنا من بعض ما أشار إليه المؤرخون إذ لم تكن معها أدلة كافية ذلك مما يجعل المرء يسرح به الخيال بدون حدود مقتفياً به ما نراه من آثار أولئك الأقوام وما خلفوا من خرائب وأنصاب في هذه الصحراء البالغة القسوة مما أضفى عليها هذا الاسم ذلك ما يحملنا على انتظار نتائج البحوث الأثرية من علماء هذا المجال وهي التي تعتبرها آخر شئ يتجسم فيه كثير من الدلائل الباقية للناس التي لا تزال الآمال معقودة على هذا الجانب حتى الآن ولم نعلم عن أصل

---

[1] الصواب : ثمانين.

[2] **يقول البعض أن الذي جعل الجرمنيتين يبيون قبور موتاهم قرب الجبال هو أن وادي الآجال كان في خلال أزمنة قبل التاريخ كان يجري به الماء. ولكني اعزو ذلك إلى أن الجرمنيت كانوا حريصين على أن يستغلوا أرضهم كلها في المجال الزراعي فقط، المؤلف.**

[3] الصواب : ترتق

هذه الأقوام ولا عن لون بشرتهم أي شئ وبالأخص الجرمنتيون[1] منهم والذين خلفوا في بلادنا ما قد خلفوه وهذه من العوامل الأساسية التي تدفعنا إلى ضرورة إيراد ما كتبه عن ذلك القوم اليوناني هيرودوت الشهير إذ يقول : وعلى بعد عشرة أيام آخر من العقيلة جبل رملي آخر فوقه ينبوع وواحة من أشجار النخيل كغيرها من الواحات وفي هذه المنطقة يعيش شعب قوي وعظيم يدعى الجرامانتية وهذا الشعب يغطي الملح بالتراب ثم يزرع القمح، إلى حديثه عن الناسامون أنهم يجففون الجراد ويدقونه مخلوطاً بالسمن ويأكلونه.

كما كان يصف جبل شاهق يكاد ناظره لا يرى قمته التي يغطيها الغمام صيفاً وشتاءً ويقول سكان الوادي أن هناك على القمة تقوم دولة السماء ويسكن أهل الاتلاش ومن المحتمل أن يكون هذا الجبل هو جبل أهقار.

[1] الصواب : الجرمنتين.

بـــلاد الطوارق

تتكون بلاد الطوارق من ثمانية[1] سلطنات هي كما يلي :

1- ازجر 2- تاقريقرايت 3- اهقار 4- اضاغ

5- تامزقدا 6- اولمدن كيل اترام 7- كيل اقرس 8- آير

ترتبط هذه السلطنات المتجاورة منها خاصة بروابط سلمية ودية في بعض الأحوال، وقد تختلف معها أحياناً مما يؤدي إلى القطيعة، وللتعريف بالسلطنات الثمانية أعلاه اذكر ما يتعلق بسلطنة آزجر.

1- سلطنة أزجر :

تمتد حمادة تيعزن شمالاً في اتجاه ذلك إلى تومو من مرزق شرقاً إلى وادي اغرغر غرباً، ومن شمال غدامس إلى انهان، تقيم في نطاق هذا قبائل طوارقية كثيرة تسمي في مجموعها كيل آزجر أي أهل آزجر ومن أهم قبائل الآزجر[2] :

قبيلة اورغن

ومفردها أوراغ وتتفرع إلى كيل اريكين وكيل اسبهرد وكيل ادندن وكيل أطنان وامطولالن وايهياغن وتضم تحت لوائها عدداً من قبائل أخرى متحالفة

---

[1] الصواب : ثمان.

[2] **تقع سلطنة الأزقر أو الأزجر ضمن نطاق سهول ووديان وواحات جبال تاسيلي وتتربع على مساحة شاسعة تمتد من مدينة غدامس ومرزق وإلى مدينة جانت واليزى في الجنوب الشرقي للجزائر وعاصمتها مدينة غات وأهم قبائلها اوراغن ومنغساتن وافوغاس والمتين وامنان وكل ولى امقرغسن وليست لهذه القبائل أراضى محدودة بل هي تتدخل فيما بينها من قبائل عربية أخرى في المنطقة، عبدالقادر جامى، المرجع السابق، ص 166.**

معها وهي : ابروورن وايظواوانن وايمقوغسور وكيل تينا الكم وكيل اغاريس واكيل اراس وايكوركوسن وكيل تدرارت وايبربيردن وايجارجريون وكيل مداك وايظججاتن وايفيلالن[1].

تعيش هذه القبائل منتشرة في مناطق وأودية كثيرة شاغلة منطقة تمتد من اغرغر غرباً إلى مرزق شرقاً ومن رمال الطوارق شمال تيماسينس إلى انهاف جنوباً، وتتركز إقامة هذه الأقوام على سبيل المثال في أودية صالحة لمراعى المواشي بها نخص منها بالذكر[2] : تادات – تخاملت – اميهرو – سامن – اليزي كما تقيم في سهول واسعة أخرى تشمل غابات كثيفة تضم أنواعا كثيرة من الأشجار صالحة لنمو الثروة الحيوانية لما تحتويه من عناصر غذائية للمواشي وجميع الحيوانات مثل تعوجيت – وايهان – تيغار وتنقل بين هذه المناطق والمناطق الجنوبية، في اجواء من تيغار – إلى انهاف واينفلهله وتغساست – واينزان – كما تتركز إقامة هذه القبائل في الأودية المنحدرة من مرتفعات تاسيلى وتتجه نحو السهول الشرقية مثل اريكين – تانزوفت – تاهرمت – واريرت – تيسلماجين – تيتفسين – وأودية ايماون، ويذكر منها أيضاً في أودية مساكتين التي تمثل رافداً لماء الوادي ابرهوه الذي يعني كلب ضاري، إذ لو حمل هذا الوادي سيل جارف لجرف كل شئ كان أمامه، وهذه الأودية تنتهي في

---

[1] أن هذه القبيلة تحمل اسم بلادها الأصلي ومنطقة تافيلالت وترجع أصول هذه القبيلة التي تقع جنوب المغرب الأقصى وهي إحدى المدن الصحراوية ويطلق عليها سجلماسة قديماً وتقع على طرق القوافل الغادية إلى تنبكت وقد أفاد صاحب الاستبصار أن تأسيسها كان على يدي موارارين عبد الله الذي كان عالماً من علماء الحديث، للمزيد أنظر مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 201.

[2] تستبدل الجملة (لمراعي المواشي بها نخص منها بالذكر) بالجملة (لمراعي المواشي نذكر منها).

سهول واسعة ذات تربة صالحة فأقام عليها الطوارق منذ زمن مشاريع زراعية في وادي عتبة خاصة قبيلة تينالكمر المشتهرة بالتجارة السودانية أيضاً.

الهجرات إلى إقليم آزجر

بعد احتلال فرنسا وارقلة ومنيعة قامت ضد هذا الاحتلال انتفاضة ويبدو أن ذلك كان خلال عام 1864م وهي التي كانت بزعامة أولاد سيدي الشيخ وفي تلك الأثناء هاجرت جموع كثيرة منطقة البيض من جنوب الجزائر وهم قبيلة الجرامنة الذين وفدوا إلى آزجر والذين قاموا بالإتصال في زيارة إلى الحاج اخنوخن رئيس القبائل امتوتال الازجريين.

وقد عرضوا عليه مسألة هجرتهم ورغبتهم في سكن مناطق آزجر والحياة في هذا البلاد كمواطنيين ازجريين وبعد أن سمع خطابهم ومطلبهم قال اخنوخن : أنكم في محل ترحابي بوفادتكم ولا أري ما يمنع من قيد لكم كمواطنين آزجريين والذي كان واجباً أن تعلموه هو أن بلادنا تحيط به قبائل معادية له على جبهات متعددة وفي حالة ما تكونون آزجريين فإنه كلما أصاب البلاد من خير وسواه فأنكم فيه معنا سواء بسواء[1].

ولكن سأدعو رؤساء القبائل ووجهائها إلى عقد اجتماع آخر بهم وبحضوركم وعندما يتكامل هؤلاء المدعوين سأعلمكم لتكونوا أعلى بينة من يوم ووقت الموعد وجاءت الرؤساء والمدعون من الأعيان وحضروا وكذلك الجرامنة وتداول موضوع طلب الجرامنة حيث قبل بالإجماع ولم يكن هناك أي معارض من بين الحاضرين وبعد أن قبل الطلب على الشرط المتقدم والذي ضمنه اخنوخن عند حديثه السالف وبعد الموافقة على الطلب أفصح وفد الجرامنة عن رغبته في أن تسلم له وثيقة كتابية تتضمن موافقة الرؤساء الازجريين أثناء الاجتماع.

---

[1] **محمد أحمد الشفيع، مقالات في الطوارق، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 17.**

عند اثر هذا الطلب تكلم اخنوخن فقال : أن مثل هذه الوثائق لم تكن قد جرت التقاليد والأعراف على إصدارها لأي أحد من قبل. وجرت الأعراف عندنا تجاه هذا الموضوع وأمثاله هو أن المقبول لدينا أن يسمح له. وضع سقمنا علامة على جماله دبله وهذا هو البرهان المؤكد لحقوق المواطنة الازجرية قالوا الوفد الذي هو حاضر بيننا له أن يختار أي سمة لقبيلة من قبائلنا فيضعها على حيواناته فاختاروا الوفد سمة قبيلة اوراغن التي منها الرئيس اخنوخن ومن وقتها كان الجرامنة يضعون هذه السمة على إبلهم حتى اليوم وعلى أساس القاعدة العرفية المعمول بها اكتسب الجرامنة حقوق المواطنة الازجرية منذ ذلك الوقت.

وعلى اثر مغادرة الوفد الجرامني مكان الاجتماع في طريق عودته إلى تجمعه لاحظ رئيس قبيلة امضاتن على الرؤساء الازجريين قائلا : أني اقترح عدم مصاهرة هذا القوم ريثما نعلم حقيقة من حيث الناحية الاجتماعية في بلادهم الأصلي.

وهكذا استمر وجود الجرامنة مناطق آزجر يتنقلون بين اغرغارن وفزان وتينغفرت حتى هذا الوقت. ومن هؤلاء :

- أولاد رمضان.
- أولاد الشيخ بن سليمان.
- أولاد معمر – الهامشي- بن عامر.
- أولاد أبو بكر الفقي.
- أولاد الدين – الجديد – الدين أبناء عبد الرحمن.
- أولاد أحمد بن محمد.
- أولاد علي بن الحاج.
- أولاد بو زيان.
- أولاد الطاهر بن رند – معمر.

- أولاد عليا – سليمان بن علي.

فقد عاشت هذه الجموع كسائر قبائل آزجر القديمة وهي تتمتع برخاء البلاد وازدهارها من جميع الوجوه. كما تحملت من الناحية الأخرى نتائج ما يأتيه من عدوات خارجية وغزواته ومفاجئات وآلام ذلك فقد اشترك رجال قبيلة الجرامنة في كثير من غزوات يتضمنها الآزجريين ضد أعدائهم كما حاربوا معهم جنباً إلى جنب كلما واجهته المنطقة أي هجوم جاء من خارجها.

كما أنه كانوا من جملة المجاهدين اثر الغزو الإيطالي على ليبيا طوال سنة 1912 حينما كانت قيادة المجاهدين في سواني بنى آدم وعزيزية، كما اشتركوا في محلة ومعركة محروقة في آخر سنة 1913م في وادي الشاطئ بفزان.

مشاهير مجتمع الآزجرى

ولا مانع هنا من ذكر أسماء أولئك الرجال ممن شغلوا مناصب إدارة شئون قبائلهم وكذلك أولئك الذين أدوا دوراً بارزاً في حروبهم ضد كل معتدٍ.

- مولاي اقخداش هو من أعيان قبيلة اوراغن ومستشار السلطان آزجر.
- ماتكو اق اويك هو سلطان آزجر من حيث الأولوية الشرعية ونظراً لصغر سنه في ذلك الوقت آلت السلطنة إلى ابن خالته اتقدازن بوكالة من أم ماتكو، وهو الذي استشهد أثناء معركة إيسين الأولى في حوالي سنة 1912م ضد التوسع الفرنسي.
- آمر الحاج اوغسمان هو شقيق السلطان اخنوخان وله باع في التفاوض ومن اللذين ومعا معاهدة غدامس الازجرية التونسية في سنة 1862م.
- الحاج عومر اكمان وهو مفاوض بارعاً وكان عضواً في الوفد المفاوض لإطلاق حرية القوافل التجارية الموقوفة في مدينة اقذر.

- اوفينايت اق موسى اق كلالا هو رئيس قبيلة امنغساتن ومديرها حيثما كانت واحة تاكبومت مقراً رئيسياً لإدارتها وكانت في مساعيه للتقريب بين الازجريين وبين الأتراك في الشروع في مفاوضات الصلح معه انتفاضة آزجر ضد الحكم العثماني واحتلالهم لبلدة غات وصاحب كلمته الفاصلة والتي ساعدت إلى التوصل للصلح بين آزجر وأهقار بعد حرب دام عشر سنوات.
- إبراهيم اق ابكدا قاد الثورة الآزجرية بحكمة وشجاعة بالغة وقد اشرنا إلى أعماله في مناسبة سابقة في هذا الكتاب.
- محمد الفقي اق انقدازن شغل منصب مدير ناحية في قبيلة امنغساتن ثم محافظ في محافظة اوباري الشاملة مرزق وغات كان يشغلها بأزمان وقبلها عضو مجلس الشيوخ.
- الحسين اق بوبكر شغل منصب مدير ناحية غات ثم متصرفاً لغات وقد حضر معركة اسيسن الثانية واظهر بطولة بالغة أثناءها.
- اكوني اق اسكاني شغل منصب مدير ناحية لقبيلة امنغساتن وهو بطل الحروب حقاً.
- آلا أق جبور وهو بطل شجاع وقد تعددت بطولاته في معارك كثيرة لاسيما يوم لحق بهم الجيش الإيطالي غداة هجومهم الناجح على بلدة ولاد محمود بجبل نفوسة.
- موسي اق برسولا كان بطلاً مقداماً خاض معارك عديدة شهد له أثناءها ببطولة نادرة.
- محمد اق ابكر كان رجل لا يهاب ولا يخاف صولة ولا عدواً لا تقهقرا.
- ادر اق موسي اق اقسور كان من الأبطال المعدوديين الذين استحقوا تحليق أسمائهم.

- تاخمادا اق اخور هي اشترك في ثورة الآزجريين ضد الحكم الفرنسي واظهر بطولات رائعة أثناء معاركه تلك.
- المهدي اق أبابا رجل شديد البأس على الأعداء كان رجلات الثورة الازجرية وكان ذا حنق على الفرنسيين وبطل شجاع.
- اولاى اق كورى رجل ثابت العزم عُيّن عضو في مجلس التشريعي لفزان.
- الحسين عيسى اق اهومن هو من أعيان قبيلة امنغساتن ترأس غزوة على الجيش الفرنسي وهاجمهم في بئر الاحرش سنة 1920م.
- سليمان محمد كنى شغل منصب مدير ناحية وادي عتبة تاسوت وعُيّن عضو مجلس التشريع لفزان وكان متعلماً وفقيهاً.
- عثمان اق البكرى هو رئيس قبيلة افوغاس ورجل فاز اعتبار وهم اولهما أنه انحدر من أصل افوغاس من حيث أبيه وثانيهما أنه كانت أمه من أب اوراغني كان قذرار مدينة الجزائر للاجتماع بالوالي العام بها ثم بعدها مدينة باريس التي قابل فيها الملك نابليون الثالث، وبعد عودته وقع معاهدة غدامس لسنة 1862م وهو رافق الماجور جوردون لينج إلى أن أوصله عين صالح.
- عبد النبي اق علي كان رئيساً ناجحا في قبيلة افوغاس.
- أحمد اق منهاوى رئيساً لقبيلة افوغاس.
- أحمد اق الحاج أحمد مدير القبيلة افوغاس.
- آمه اق كمد كان قائد لغزوة اليزى ضد الفرنسيين كان شجاعاً وعيناً بارزاً إلى أنه ذا كرم صافي وشغل منصب مدير الناحية افوغاس لمدة 36 عاماً وخلفه مؤلف هذا الكتاب الذي دامت مديريته 9 سنوات.
- سمير صالح رجل من قبيلة امستغان ذو شجاعة ومحارب حقاً.

- الطاهر اق الحاج أحمد كان أحد أعيان قبلية افوغاس قاد حملة ضد الفرنسيين عينه السلطان الروحي لهذا الخصوص سنة 1916م وهو امود اق المختار سلطان امنان.
- اوتا اق مامه.
- وانتيتى اق وانتاجاد.
- خما اق مامّا.
- عمر اق الحاج همه.
- كتلى اق اغالى.
- محمد اق موسى التدض.
- فيار اق يدّا.

الزوا أولاد سيدي الشيخ من أصول عربية

وبعد عشرين سنة لوصول نجوع الجرامنة الذي هاجروا إلى أن جاءت هجرة أخرى في أوائل سنة 1902 إلى آزجر عن طريق اودم طريق غدامس – عين صالح وهي هجرة الزوايين ومن تبعهم من الزقونيين فكان أول ماء وردوه هو بئر تكويت الواقع شمال غرب بلدة غدامس نحو ثمانية كيلومترات فاستقروا هناك فترة قصيرة ثم واصلوا تقدمهم نحو المنطقة الشرقية حتى وصلوا منطقة سرت فاستقروا بباديتها مدة طويلة فاشتركوا خلالها في معارك الجهاد ضد الإيطاليين فمنهم من استشهد ومنهم من كان مفقوداً لا يعرف شيئاً عن حياته ولا عن مماته حتى الآن. وبعد تلك الحروب بفترة بدأت إبلهم تتناقص أعدادها بعوامل منها أنها كانت أعشاب تلك الأراضي غير ملائمة للإبل التي تربت بأشجار وأعشاب بلادها ورطوبة المنطقة وكذلك عامل الوقت الذي تعرضت لها حيواناتهم وبالنفوق ربما أسلفنا كل ذلك كان سبب في عدم طمئنتهم وقلقهم.

ولما أيقنوا من عدم جدوى إطالة المكوث هناك أجمع رأيهم على التراجع أدراجهم فرحلوا من بادية سرت آزجر فوصلوا إلى فزان ثم إلى منطقة غدامس – درج – سيناون فاستقروا استقراراً متواصلاً حتى الآن ومن بينهم الآن :

- أولاد محمد بن الشيخ.
- أولاد سليمان.
- أولاد الشيخ بن محمد فرك.
- أولاد بوبكر.
- أولاد محمد.
- أولاد إبراهيم.

قبيلـــة امنغساتن

أن هذه القبيلة هي إحدى القبائل ذات الاعتبار والمكانة المرموقة بين هذا الإقليم من بلاد آزجر.

أراضيها القبلية التقليدية :

لا خلاف في أن قبيلة امنغساتن بالنظر لتاريخها المتناقل وقدمها السحيق بمنطقة الصحراء واعتراف المجتمع الآزجرى بها فإنه بإمكاننا أن نضبط من الناحية الجغرافية أراضيها التقليدية داخل نطاق آزجر فهي تلك الأراضي الممتدة من الطرف الغربي لرمال نوغرهات وما يسمي عند علماء الجغرافيا أدين اوباري إلى الطريق الوسطي الرابطة واحة إدرى بوادي الآجال محددة[1] من الناحية الشمالية حدود طبيعية وهي مرتفعات تيغرت وهذه الأراضي على شكل حوض مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب تمثل مرتفعات تينغرت ضفته الشمالية كما تشكل مرتفعات امساك سطفت ضفته الجنوبية[2].

ومن الجهة الجنوبية تبدأ أراضيها من كثب رملي يعرف حركات إلى بالقاغمر غرباً مروراً باوبركاتا لالغ نمقال[3] ومنطقة تاكيوت أما الجهة الغربية من بالقاغمر إلى رمال يوغرهات وبالإضافة إلى الأراضي المذكورة فقد أثبت لها

---

(1) الصواب : يحدها.

(2) إن قبيلة منغساتن المنتشرة من شمال غات إلى فزان وفي جميع الأودية إلى شرقها من أقدم أحرار الطوارق، أما قبيلة مغاطة التابعة لها فقد انقرضت تماماً وعندما كان عبد القادر جامى في بلدة غات كان شيخ منغساتن الشيخ اوفنايت يرى وكأنه شاب فوق هجينه وهو في السبعينات من عمره ويحلو الحديث معه فقد كان فارساً وله شهرة في ركوب الخيل، انظر عبدالقادر جامى، المرجع السابق، ص168.

(3) أن تاكيوث قد تقرر أن تكون مقراً لمديرية هذه القبيلة أثناء الاحتلال العثماني لفزان، المؤلف.

عرف هذا المجتمع في أخذ إثارة معروفة على جزء من أجزاء وادي تغامالت أي في منطقة معينة منه، وتنتشر هذه القبيلة في هذه الأراضي وأوديتها، وجدير[1] بالقول أن هذه القبيلة غنية بإمكانيات من مصادر المياه والتربة الصالحين[2] لإقامة مشاريع زراعة هائلة لو استغلت استغلالاً جدياً ولو وجدت لها الخبرة الفنية لنمت هناك زراعة مكثفة لاسيما في سهول منخفض تيهمبكا والذي سبق أن تناولته القبيلة بنشاطات جيدة في هذا الميدان ولازالت توجد هناك عدداً من واحات أشجار النخيل نتيجة لتلك الجهود السابقة[3].

أما المساحة الرملية الممتدة من مرتفع حركات جنوباً إلى واحة الزلاف شمالاً ومن حركات غرباً إلى مرتفعات حجرية تعرف بـ الغربيات شرقاً[4] إلى واحة زلاف شمالاً فتلك تنسب إلى قبيلة اكيلزن وهي ذات علاقة طيبة مع قبيلة امنغساتن، ولعودتنا لقبيلة امنغساتن هذه كان علينا أن لا يفوتنا الحديث عن دورها فيما يتعلق بحمايتها على الوجه المطلوب لمصالح القوافل التجارية أثناء عهود هذه التجارة الماضية، وتختص هذه الحماية من مدينة غدامس بشارعين اثنين هما : درار – وتصكو فيما يسمى منها عرش بنى موسى بجميع فروعه وعائلة بنى الموفق الذي تختص حمايتهم بفروع قبيلة اوراغن كيل ازيان والعلاقة الثانية كيل أميهورو.

كما كانت حماية امنغساتن لكل من قوافل نالوت وغريان من دخول أراضيها حتى تدخل أراضي منطقة انهان إلى جنوب وادي تافعاست.

---

[1] الصواب : والجدير

[2] الصواب : الصالحتين.

[3] تلك الجهود البالغة التي قام بها أجداد القبيلة الحاضرين، المؤلف.

[4] قد أخذت هذه المعلومات مما يشير إليه الأوائل من المسنيين من المجتمع، المؤلف.

أما علاقة هذه القبيلة بعناصر عربية فلا توجد إلا إذا استثنينا مصاهرة كانت بينها وبين قبيلة بالمقارحة والتي توثقت بها علاقة القبيلتين حتى الآن.

ولا سبيل لإنكار جهاد هذه القبيلة وحروبها التي كانت تخوضها ضد أعداء بني جلدتها من الطوارق، وفي مجال العلاقات العرقية يبدو أنها ذات علاقة بقبيلة كيل آدى في الجنوب، القبيلة البارزة بإقليم آير والذي كانت عاصمته مدينة آقدز بعد العاصمة السابقة تين شمن ومن المحتمل أن يكون فرع من قبيلة امنغساتن العريقة هو الذي توجه نحو بلاد آير واستوطن به حتى اليوم، وسمى كيل آدى ومعنى آدى ولد البقر الأليف غير الوحشي[1]، وبما أن لكل من كيل آدى ومن سبقهم من قبيلة – لمته – التي لازالت تتعايش مع بقية في قرى فيوت، والبركت حتى يومنا هذا.

وخاصة وأن القصص الشعبية المأثورة تتحدث عن عزم القبيلة عند رحلتها من الشاطئ غرب شمال أدرى – كانت متفقة على التوجه نحو آير ولكن تتابع النجوع في سيرها أدى إلى أن النجع الأول عندما نزل من الرمال إلى وادي الآجال سلك الطريق المارة بوادي – بوزنا – في طريقها إلى آير وهكذا حتى وصل إلى تلك المناطق، أما النجع الذي كان وراء الأول عندما نزل بوادي الآجال فإنه فكر في عبور الصحراء الكبرى بالأطفال والمسنين والضعفاء الأمر الذي له خطورته، فعدل عن الفكرة فتوجه نحو الغرب فسلك طريق ايمرون فوصل إلى سهل غات فعاش في المنطقة إلى اليوم[2].

---

[1] يؤخذ معنى للنظر من كتب المعاجم اللغوية نحو اللسان أو غيره من المصادر الأخرى، المؤلف.

[2] أن هذه الأخبار كانت مما يحكى بها السابقون، المؤلف.

رئاسة قبيلة أمنغساتن

فبعد وفاة رئيس قبيلة أمنغساتن[1] أق الشيخ بدأ التنافس واضحاً على رئاسة القبيلة بشكل جلي حتى بلغ الأمر باوفنايتْ اق موسي كالإله إلى درجة إهتمامه بأن يقتل منافسه وهو فنامان اق جبور إذ تخبئ له يوماً في زريبته وكان القادمون إلى سوق غات يحطون عندها رحالهم وهكذا الحال إلى أن اقترب ختامان فأصابه بجرح وتواري هارباً.

ولم يكفوا عندها التنافس فسبب في غزوات تكررت بين أنصار اوفنايت وبين أنصار ختامان.

فتدخل أخنوخن للإصلاح محدد لجبور لقائهما في قرية اقار إلى الشرق من وادي عتبة وبادق تحديد بستان غفار فتلاقيا واجتمع الطرفان فقال أخنوخن أن في إمكاني في سبيل المصلحة أن ارجع الإبل التي أغار عليها وأخذ ما أوفنايت وجماعته، ولكن فيما كان أخنوخن يخاطب جبور والحوار جاري بينهما مجراه فوجه الحديث إلى رجل كان لا يبدى أي رأي في الموضوع من أوله كاملاً له إلا ساكتاً وإني أفضله أن اسمع كلامك فيما قد سمعت فعندما تكلم الرجل وهو على ما يعتقده مراقبوا أحوال الاجتماع رجل يدعى حدادا الذي قال كلمتين متتابعتين بمعنى وأحدهما تنسرتنسر أي تمزقت تمزقت ومعنى ذلك أن الأحوال وصلت جدل لا يمكن معه تحمل الشوكة مما جعل مساعي العلم هذه تبوء بالفشل وتوالت الغارات بين الطرفين وأصبحت الأمور تتفاقم إلى حد الاقتتال حتى هجمو[2] قسم من قبيلة امنغساتن إلى جهة وادي بيي في حماية قبائل المقارحة ففي هذه الأثناء وصلت تقارير إلى حكومة ولاية طرابلس من غدامس ويقال ومن

---

[1] توجد قبيلة منغساتن في درج وأوباري ويرجع اغوستين نسبها إلى قبيلة المقارحة العربية، مشاهدات المحققة.

[2] الصواب : هجم.

أخنوخن تفيد بأن قبائل امنغساتن هي المقبرة للقلاقل في المنطقة وعلى رأسها جبور بركة وعلى أثر وصول التقارير كلفت الحكومة كثيراً من الجنود لترحيل القبيلة من وادي بيى إلى السواحل القريبة من مركز الولاية ولكن جماعة المقارحة طلبوا من قائد الجند وأن يصطحب معه أعيان القبيلة ويترك بقيتها وكان قائد المسير قد استجاب لطلب المقارحة واصطحب جنوده وحاشيته، وعند وصولهم إلى طرابلس سجنوا في ثكنة فرسان المنشية.

وقد حدث أن على رضا باشا تلقى خبراً مفاجئاً أن ختامان جبور قد قام بالتعاون مع طوارق أهقار بالاستيلاء على قافلة غدامس في طريقها إلى السودان.

وأن القبيلة التي كانت بوادي يي قبيلة جبور وجماعة المسجونين قد رحلت في اتجاهها نحو الغرب معبرةً تنفرت الحمادة من شرقها إلى غربها وأنها وصلت بئر تيميست إلى الغرب من غدامس وهكذا اتجه الرحيل إلى الومسا حيث تفرع من كان على رأي جبور من أولاد أومَنْ فهؤلاء اتجهوا نحو أهقار فيما اتجه مرحول عيسى اق الشيخ وهي تبعه إلى توات عبد صالح ولم تكن قبيلة امنغساتن طرفاً في النزاع بل كان هناك منها من هو ملازم للحياد.

قبيلة اهنانن

إن قبيلة اهنانن هي من جملة قبائل النبلاء، وهذه القبيلة لا ينكر الطوارق كونها إحدى قبائل النبلاء، ومن القبائل الآزجرية البارزة في هذا الجزء من بلاد الطوارق لذلك كان علينا ونحن بصدد الحديث عنها أن لا نتغاضى عن الإشارة ولو بشئ من الإيجاز عن تاريخها المتواتر عما تضمنه سجلها الحافل بأنواع مختلفة من الإنجازات وأعمالها الخيرة والتي نراها بارزة في شتى جهات آزجر حتى الآن فهي في الواقع كانت قد عملت الشئ الكبير في ميدان حركة الزراعة في عدة جهات من المنطقة حيث أن لها يد طولي في غرس أشجار النخيل في العديد من الأماكن إلى جانب أشجار مثمرة أخرى كما شجعت بجهود كبرى في

إنشاء مزارع وحفر آبار الري وبالإضافة إلى ذلك فقد عملت على تشجيع جلب صناعة الحديد والنحاس مما دفع تلك الصناعات قدماً إلى أن تطورت إلى صناعة الحلي الذهبية والفضية وإجادتها حتى وصلت إلى حد راق من زخرفة وإتقان كما أصبحت صناعة السيوف والرماح والخناجر والحراب متوفرة وفي متناول الجميع، بفضل من جلبتهم هذه القبيلة من حدادين مهرة الأمر الذي ساعد على استغناء سكان آزجر عمن سواهم من المناطق البعيدة التي تكلف ثمناً مرتفعاً لهذه الصناعات[1].

لاشك في أن أعمال هذه القبيلة ونشاطاتها المفيدة مما أضفى عليها صفة محمودة نالت بها سمعة طيبة إلى جانب مركزها المرموق بين أفراد مجتمع الطوارق، إلا أن هذه القبيلة شاءت الأقدار أن أخذ عدد أفرادها في التناقص مع مرور الزمن حتى أشرفت على الانقراض من ناحية الأصل التابع للانحياز الأمومي المعتبر ذا حق في الرئاسة عند الطوارق ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل منها ما جلبته على نفسها من عداءات ومن مشاكل جرتها إلى حروب دون مبرر أو لأسباب تافهة، وكذلك إلى دخول شبابها إلى غيرها من القبائل المتعددة الأخرى بالانتماء والمصاهرة الأمر الذي له دخل في زوال نفوذها القديم، إلا أن مع ضعفها هذا فإنها لازالت بقيمتها القليلة الباقية محتفظة بسيادتها

---

[1] قبيلة اهنان ويطلق عليها امنين وتسكن جبال تاسيلى الجنوبية وسهل ادمار التي تعد أكثر نفوسا بعد قبيلة وراغن المتفرعة من ازغر تحت رئاسة الشيخ آمود وقد تعارفت به عندما كنت هناك فهو رجل ليس تارقيا فحسب بل من النبلاء لم اصادف من يماثله من ناحية آداب المعاشرة ورقة الطبع المتصف بها في جميع بادية طرابلس الغرب ولا حتى في قراها وقبيلة امتين تنقسم إلى أحرار ومغاطه فالأحرار هم قبيلة ايهاد انارن وفوغاس طبل وكيل اهرر والمغاطة هم ايبان تانادن وايبات امان وكيل تووين وايجريسوتن وقبيلة المتين رغما من أنها معدودة من آزجر وتابعة لحكومة غات من القديم فلقلة نفوسها اضطرت إلى الاعتماد على قبيلة هوغار لتسلم من تعديات قبيلة وراغن، للمزيد انظر عبدالقادر جامي، المرجع السابق، ص 167.

الروحية وباحترام الجميع لها وذلك باعتبار أواخر رؤسائها من المنحدرين من أصل سلالة الأشراف، ومن جهة أخرى يقولون بأخوتهم مع أولاد محمد المنتصر الخطابي الفاسي تلك الأسرة التي حكمت فزان مدة من الزمن ومع ما مر بنا من الحديث عن اهنانن وضعفهم فإنهم لا يزالون محتفظون[1] بمحمياتهم من القبائل الجديدة وهي تكن لهم كل احترام وتقدير ولازالوا أيضاً يحتفظون بأوقافهم من البساتين والنخيل والآبار الزراعية بكل من جانت – وغات – ووادي الآجال – ومزرق وفي اوعدن كيل اتراغ، توجد أيضاً قبيلة تسمي اهنان ولا تستبعد أن تكون هذه القبيلة نازحة من آزجر إلى منحنى نهر النيجر في الجنوب الغربي حيث تقيم تلك القبيلة اليوم.

ومن أهم القبائل التابعة لقبيلة اهنانن الآزجزية هي – ابطناتن – بفرعيها الآزجري والمتواجد بسلطنة أهقار وتتبعها قبيلة – بتمان – وكيل ترين بغات، وعناصر أخرى مختلطة بكثير من الأنساب تدعى هذه العناصر : اسيرجن – لتحررها من دفع الضرائب للدولة العثمانية شأنها شأن قبائل الطوارق في مجال دفع الضرائب لتركيا كما ذكرنا كما تتبع قبيلة اهنانن قبيلة أخرى تسمى اكلان توسيت وهي متواجدة في أراضى سلطنة أهقار أيضاً كما تتبعها قبيلة كيل تووين وقبيلة ايجرويسوتن.

ولاعتبار سلطنة اهنانن الروحية فإن جميع الآزجريين متى نادي السلطان الروحي بالجهاد المقدس فإنهم يؤيدونه ويهبون لندائه ونصرته عموماً، وبالأخص قبيلة امنغساتن : التي لا تتوانى عن نصرة قبيلة اهنانن والوقوف إلى جانبها في حروبها، وفي مثل تلك الأحوال وليس من الأنصاف في شئ أن تغفل إبراز أعمال الشخصيات التي قامت بعمل خالد في حياتها ومن بين أولئك رئيس هذه

---

[1] الصواب : محتفظين.

السلطنة الروحية في أسرة اهنان المرحوم اموداق المختار وهو من أب ينحدر من قبيلة كيل السوق ويتصل هذا أيضاً بنفس نسب الأشراف كما يقولون، وكانت حياة امود كادت أن تكون كلها كفاحاً وجهاداً ووقوف في وجه احتلال بلاد الطوارق ذلك ما شهدت به أعماله أثناء المعارك التي خاضها في هذا القبيل[1] نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- معركة انوهادف - التي تم القضاء فيها على بعثة تتكون من 97 رجلاً منهم 11 عسكرياً ومهندساً فرنسياً، ومن 97 جملاً للركوب و11 جملاً لنقل الأمتعة و3 جياد بعثة العقيد نياتيرس 1881م[2].

ونظراً إلى أن سلطان إقليم اهنانن سبق وأن استشير من قبل الفرنسيين على مرور هذه البعثة، وكان رده أن القبائل المنتشرة في الطريق كثيرة، ولا اضمن ما قد تقوم به من أعمال، وبالنظر أيضاً إلى هذه الفخامة التي خرجت منه البعثة متجاهلة رد سلطان الإقليم آنذاك اهيناغل آق محمد غير أن من الخطأ الذي ارتكبته تلك البعثة على نفسها هذا الجاهل.

وكان على رأس حملة تحركت من مناطق فزان من قبائل الطوارق حينما نادي فيها بالجهاد في سبيل الله إبان الغزو الإيطالي لطرابلس 1911 - 1912م.

وكان أحد القادة الذين واجهوا الفرنسيين في واحة ايسين جنوب غات 1912م وهو أحد زعماء المحلة التي تألفت من القبائل الآزجرية التي نظمت هجوم موفق ضد الحامية العسكرية الفرنسية المرابطة بمدينة جانت 1916م إلى أن استسلمت الحامية بقيادتها وتم اسر جميع العساكر بما فيهم ابنتزيا آمر الحامية.

---

[1] الصواب : من هذا القبيل.

[2] أن هذه البعثة العسكرية في مفهومها الواضح للناس قد كانت يتجاهلها رد الجواب الصادر من الرئيس اهيتاغل آق محمد تحملها ما كان قد لحق بها من أداء غير مسؤول مسئولية. المؤلف.

واصل مساندته للثورة التي اندلعت بآزجر تلك الانتفاضة التي قادها الزعيم إبراهيم أق ابكدا والتي دامت من سنة 1914م – 1918م وانتهت بعد الاتفاق بينه وبين الفرنسيين بوادي انتبها بفزان وبعد أن قبلت فرنسا بشروطه المتعددة.

وفي مايو 1916م نظم حملة هجم بها على مدينة تيماسينين ورحلت المحلة بجميع من كان بها من الطوارق المدنيين وإرجاعهم إلى مناطق تينغرت.

وفي 17 نوفمبر 1923م قاد حملة قامت بهجوم ناجح على مواقع الفرسان والهجانة المرابطين ببلدة أولاد محمود شرق نالوت أنزلت بهم خسائر جسيمة في الأرواح وأسرت بقيتهم.

وفي يوم 13 ديسمبر من نفس السنة اصطدمت حملته هذه بجيش جرار من الفرسان والهجانة والمشاة من العساكر الإيطالية بوادي الثلث إلى الغرب من نالوت وفيها أبلت الحملة بلاءً حسناً باستشهاد كثير من رجالها، ونصيب الطوارق منهم غير قليل وبعد أن منيت الحملة بخسارة كبيرة، أخذت بالانسحاب بصورة منظمة[1] إلى درجة ما وذلك في اتجاه بلدة سيناون حيث يقيم زعيمها أمود السالف ذكره، أما حملته الأخيرة هذه فكان أمود قد اسند قيادتها للمرحوم إبراهيم السوقي ولكبر سن أمود كانت هذه آخر أعماله للتصدى للغزاة في مناطق الصحراء عامة، ولما كانت سلطنة أسرة اهنانن – معروفة لدى الجميع إلا أنها مع ذلك محدودة حيث لا يتعدى حكمها لأتباعها من القبائل التابعة لها داخل حدود سلطنة آزجر.

---

[1] كالنظام هنا يتمثل في لم شمل المحلة برجالها وجميع رحالها، المؤلف.

قبيلة افوغاس

ذكر اليونانيون والرومانيون زمن احتلالهم لهذه الأرض الشمالية الأفريقية وجود قوم يسكنون في جبال وسهول واقعة فيما بين مدينة مزدة ومنطقة قرزا يطلق عليها اسم افوراسيس وليس من البعيد أن ذلك القوم هو : افوغاس الاسم الحالي لقبيلة منتشرة عند غدامس إلى الجنوب خاصة في ازواغ الشرقي وجبال أمتاغ بادرار افوغاس وجبال منطقة آزجر وهذه نتيجة المد والجزر وأمواجه المتلاطمة المدفوعة بتيار من ما تحكم به الظروف المختلفة ترغم الأقوام لمسايرة الأجواء حيث اتجاهها أما من الشمال إلى الجنوب وأما العكس وهذا يقتضى بطبيعة الحال ارتحال البعض وتخلف البعض الآخر في مواقعه القديمة مثلما كان يشاهد حتى الآن[1].

قبيلة أهضانارن

وهذه كان لها فرع في منحني نهر النيجر يسمي هناك بسام اشدنهون يبدو من اقترابه باسم اهضانارن لإبدال حرف الهاء بـــ ش كما هو الحال في نطق قبائل الجنوب.

قبيلة اهياون

إن هذه القبيلة التي كان لها وجود بارز وملحوظ في ميادين التجارة والزراعة مما كان له أثره الظاهر فيما امتلكته من حقول زراعية مكثفة بوادي الآجال بموقعها القديم والمعروف بسام الفقار.

---

[1] تقع قبيلة افوغاس في اضغاغ أدرار وقد وجدوا يسكنون في جبال سهول واقعة بين مدينة مزده ومنطقة قزرا ربما يكونون هم الأفوغاس المنتشرين اليوم في غدامس إلى الجنوب وازواغ ومرتفعات= =الآثير. فيج جى دى، تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يونس نصر، القاهرة، دار المعارف، 1982م، ص 63.

ولكن أدى زحفها نحو ازواغ الشرقي إلى تقلص سكانها بمناطق آزجر حتى أشرفت على الانقراض بالفعل حيث لا يرى منها سوى أثرها الزراعي الواسع في وادي الآجال بفزان وأبنية مساكنها بهذا القسم من الصحراء الوسطي يعتبر ذلك شاهد حياً لذلك الوجود الملحوظ في أوسع نطاق في المنطقة الازجرية.

قبيلة افيلالن

دخلت هذه القبيلة منطقة آزجر نازحة إليها من منطقة تافيلالت[1] في جنوب بلاد المغرب الأقصى ويبدو أن ذلك كان خلال الفترة التي اجتاحت فيها جيبوتي دولة المرابطين بلاد المغرب واحتلالها الكامل له، وما عقب ذلك من فتن وتلاه من تغير الحكومات التي لم يستقر لها حال بعد، وهو مما كان من أسبابه هجرة هذه القبيلة فاستقرت وهي قبيلة قوية قائمة بذاتها حيث أمنها وشئون دفاعها على نفسها ومع أن سلطنة امنان سلطنة ملحوظة في المنطقة إلا أنها ليس لها شأن معتبر في نظر هذه القبيلة المتحررة من أصولها وغير خاضعة لسيادة أي كان، وكانت قوتها ومناعتها مصدراً من مصادر قلق امنان وحسدهم القديم ولم يجدوا أبداً من استعمال طرق الغدر والدسائس المعهودة ضد قبيلة افيلالن فكان سلطانها قد بعث وفداً من قبيلة افوغاس الوجيهة إلى افيلالن لاستدراجهم للمصالحة المزعومة ونسيان الماضي تحت نية خبيثة وهكذا توجه مبعوثو الوجهاء بنية صافية تحادثهم إلى قبيلة افيلالن فاخبروا بأنهم مبعوثين من طرف

---

[1] أن اسم هذه القبيلة اسم يطابق تماماً منطقة أصلها تيفللت الواقعة جنوب المغرب الأقصى، وترجع أصو القبيلة لمدينة تيفللت التي تقع جنوب المغرب الأقصى وهي أحدى المدن الصحراوية ويطلق عليها سجلماسة قديماً وتقع على طرف القوافل الغادية إلى تنبكت. وقد أفاد صاحب الاستبصار أن تأسيسها كان على يدي مدارار بن عبد الله الذي كان عالماً من علماء الحديث، للمزيد أنظر مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص201.

السلطان عارضاً عليهم موضوع الصلح معه قبل الموضوع بينهم بالتحليل من وجهات عديدة منها أنهم ناقشوا المسائلة من حيث بداية امنان بالعدوان وطلبهم الصلح هم الأولين ولم تكن قوتهم قد أنهكها العدوان الذي تواصل لمدة سنين، ومن هذا الباب أدركوا أن هذا العرض قد ينطوي عن مفهومين اثنين الأول كان المحتمل أنه خدعة والثاني أنه تكمن وراءه شروط ليست ذات وجوه تقبل لديهم وهكذا توصلوا في النهاية إلى قبول المقابلة بسلطانهم الذي أرسل بها إليهم فاتفقوا بإرسال وفداً من المفاوضين يتألف من سبعة أشخاص وتوجهوا إلى مخيمه فلما اقتربوا منه تخلف الوجهاء الذين بعثهم السلطان مشيرين إليهم بأن يتقدموا إلى حيث مخيم السلطان وأنهم سيلحقون بهم في اليوم التالي وهكذا وصل الوفد المفاوض إلى مسكن السلطان وما كان منه إلا أن أمر بقتله ويعدموهم جميعاً فقتلوا عن أخرهم.

وفي الغد كان المرسلين الفوغاسيين[1] في طريقهم نحو مخيم امنان حسبما اتفقا وبالقرب منه لاقتهم خادمة تهتم بجمع الحطب هناك فسألوها عن موقع بيت الضيوف أين هو؟ فقالت إن أولئك قد قتلوا ولم يبقي[2] منهم أحداً على قيد الحياة فرجعوا من حيث أتوا والغضب يملأ صدورهم.

فلما وصلت أخبار هذه الخيانة الخسيسة إلى قبيلة افيلالن كان هناك شابان آلوا على أنفسهم أن يردوا الفعل بصورة أبشع ما عرفته قبائل المنطقة من قبل ففي ذات يوم نصبوا كميناً على ماء يسمي أميار في منطقة ديدر حتى ورد شابان من قبيلة امنان فلما وصلا نزلوا[3] الماء يستحمون[4] تاركين سلاحهم[1]

---

[1] الصواب : المرسلون الفاغسيون.

[2] الصواب : يبق

[3] الصواب : نزلا.

[4] الصواب : يستحمان.

مع أمتعتهم[2] فخرج الشابان من كمينها بسيفهما فقتلوهما وقطعوهما قطعاً قطعاً ونشروهم[3] فوق أشجار السدر الموجودة على هذا الموقع المائي وهاجروا إلى منطقة اير ولا يزال هناك نسل منهم بآير حتى الآن.

ولما جاءت الأخبار إلى سلطان امنان يفيد بوقوع هذه الكارثة آل على نفسه أن لا يترك رجلاً ولا طفلاً ذكراً على قيد الحياة من افيلالن فذهب في تطبيق قراره حتى قضى على الذكور رجالاً وأطفالاً وكان هناك طفل رضيع قد أخفته النساء عن أنظار القتلة ولم يعثروا عليه فلما ترعرع الطفل وبلغ نموه حداً لم يكن من الميسور إخفاءه ففي هذه الظروف البالغة الخطورة لم يبقي[4] هناك من عمل سوى أن ذهب وفداً من نساء هذه القبيلة إلى سلطان امنان فاخبروه عن وجود طفلهن طالبات منه الرحمة بإبقاء هذا الطفل على قيد الحياة وهنا قبل السلطان طلبهن بشرط أن تدخل القبلية تحت حماية امنان مع ما يترتب عليها من دفع الضرائب المعروفة تقليدياً فقبلن ذلك فبهذا الموجب دخلت القبيلة تحت حماية امنان ولما كان السلطان امنان متزوجاً من امرأة كيل ادندن الاوراغنيـــة أهدى إليها قبيلـــة افلالن وأصبحت تابعة لكيل ادنده إلى اليوم[5].

قبيلة إلمتين

إن هذه القبيلة الازجرية القديمة والتي أقامت لنفسها مشاريع تجارية ومباني سكنية وآبار وبساتين نخيل وأشجار أخرى في مكان بالقرب من بلدة غات حوالي عشر كيلو مترات وأن هذه الإنشاءات يستحيل أن تقام بجهود هذا

---

(1) الصواب : سلاحهما.

(2) الصواب : أمتعتهما.

(3) الصواب : نشروهما

(4) الصواب : يبق.

(5) وهي ثابتة على هذا النحو من وقت الذي سلمت أمرها إليها، المؤلف.

العدد الذي نراه في الوقت الحاضر على قلته، وإنما كان من المحتمل لهذا القوم من القوة العديدة سابقة أكثر في أزمنة ماضية ويبدو أن عددها القليل الحالي قد تخلف من أصل قبيلة لمتى التي رحلت[1] هذه المنطقة في اتجاه بلاد كاوار ثم استمرت رحلتها إلى مناطق برنو ولم يطل عليها المقام في بلاد برنو حتى عرفت جبال آير ومراعيه الخصبة الوفيرة والصالحة لمواشيها الكثيرة فواصلت رحلتها إلى بلاد آير فاستقرت هنا وكان ذلك في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي ففي تلك الأثناء قامت ببناء بلدة لها بالقرب من المكان الذي بنيت فيه مدينة أقدز فيما بعد أما البلدة الأولى فإنها بنيت في مكان يسمي تينشمن وبعد وقت كانت هذه القبيلة قد استطاعت أن تؤسس مملكة طوارقية واتخذت بلدة تينشمن عاصمة لها.

وبعد مرور وقت انضمت آل الطوارق جماعة من الجوبير وتعايش الجميع في صفاء ووئام وعندما بنيت مدينة أقدز فيما بعد أصبحت هي عاصمتهم حتى اليوم.

وهذا التحديد التاريخي جاء في كتاب تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير المؤلف بوفيل ولكن أرى تاريخاً أسبق له تطوراً للأسماء العديدة في اللغة الطوارقية في المنطقة.

قبيلة كيل تين ألكم

إن هذه القبيلة الطوارقية كانت قد وصلت الأراضي الازجرية منذ قرون عديدة خلت واستقر بها المقام عند قرية قديمة وجدت إمكانيات من الماء المتوفر بالقرب من خرائط تلك القرية القديمة وهي أصلاً نازحة من الصحراء الجنوبية المجاورة لبلاد موريتانيا الحالية فاستقرت في هذا المكان فأطلق عليه اسمه حتى الآن تين ألكم وبعد مرور زمن رحلت منه فاتجهت نحو أودية وسهول منطقة

---

[1] يجب إضافة كلمة : من.

مساك ملت فاستقرت هناك وكان استقرارها في هذه المنطقة استقراراً ناجحاً ومفيداً إذ تحول تفكير سكانها ونشاطهم إلى إنشاء مشاريع زراعية ملحوظة في سهول وادي عتبة تاساويت فانتشرت هناك وشملت بهذا النشاط وادي الآجال الذي أقامت به بساتين زراعية ظاهرة هناك ولم يقتصر هذا النشاط على العمل الزراعي والرعوي فقط ولكنها ساهمت بفعالية في النشاط التجاري القوافلي إذ باشرت بصورة عملية هذا العمل بما توفر لدى سكانها من ثروة بالغة فاستخدموها بمهارة وبشكل مقبول في الاتجار بين شمال أفريقيا وجنوبها.

ولكن أدى زحفها نحو ازواغ الشرقي إلى تقلص سكانها بمناطق آزجر حتى أشرفت على الانقراض بالفعل حيث لا يرى منها سوى أثرها الواسع في وادي الآجال بفزان وأبنية مساكنها بهذا القسم من الصحراء الوسطي يعتبر ذلك شاهد حياً لذلك الوجود الملحوظ في أوسع نطاق في المنطقة الازجرية.

قبيلـــة أياجنن

إن القبائل الأربعة التي تسكن في سهول منخفض غات فكانت[1] على خلاف دائم فهو يتفاقم يوماً بعد يوم حتى أنهم يدخلون في نزاعات تؤدي بهم إلى قيام حرب دامية بين هذه القبائل الأربعة وهي : كيل تارات وايسطفن من جهة – وكيل تلاق وايمكمظن من جهة أخرى ولم تكن مساعي الصلح بينهم ذات تأثير فعال واستمر النزاع حتى أنهكت الحرب قدرة ايسطفن ايستفن على مواصلة الحروب الدائرة فقامت بانسحاب في رحلة نهائية نحو الغرب إلى منطقة تيديكلت توات واضطرت بعدها قبيلة كيل تارات إلى الدخول تحت حماية امنان وبالرغم من ذلك فلم تصل القبيلتان المتخالفتان الباقيتان إلى الوصول لقرار تعيين رئيس

---

[1] الصواب : كانت.

يضمهما فقد ثار الخلاف بين القبيلتين حول أية منهما سيكون الرئيس فكل قبيلة ترغب أن يكون الرئيس منها ففي خضم هذا الخلاف وهكذا توصلنا إلى الاتفاق بأن يطلبوا شخصاً من تين ألكم ليكون رئيساً للقبيلتين وقد بعثوا بهذا الأمر إلى رئيس تين ألكم فبعث إليهم شخصين في هذا الشأن فسارا جميعاً كل بخادمه فلما وصلوا[1] مكاناً به كلا بوادي تنزوفت والشمس تدنوا من الغروب باتوا هناك وأوحى أحدهما خادمه بأن يقصر من حبال قيود جمالهما هو وخادمه حتى لا يتبعدا ولما أصبحا وجدوا[2] جمالهما قريبة منهما شدوا رواحلهم وتوجهوا إلى مكان تجمعهم الخاص فتعين السابق رئيساً وتخلف رفيقه إلى ظهيرة ذلك اليوم وبعد وصوله اتهم السابق بأنه استعمل حيلة ضده ولما دخلوا في مناقشة بعضهما لازمت الجماهير الحياد عن الدخول في موضوعهما وقالوا : أي بمعنى دع أجنبي بمعنى ما يقولون فاصبح يطلق عليهم أى آجنين فالمعنى الإجمالي دع ما يقولونـــه فكانت هذه الرئاسة يتوارثها المنحدرين[3] من أصل الأمهات حتى إلى اليوم.

ولكن يبدو أن رئاسة غات المعتمدة على الانحدار من أصل الأمهات كانت قد قاربت من الانقراض بصفة ملحوظة وهو كذلك.

قبيلة بتامان

هي قبيلة نزح منها رجل واحد وامرأة واحدة من آزجر إلى آير فتكونت منهما نجوع بأعداد كبيرة بآير ولا يزالون يستقرون هناك حيث لازالت أصولهم توجه بآزجر.

---

[1] الصواب : وصلا.

[2] الصواب : وجدا.

[3] الصواب : المنحدرون.

2- سلطنة أهقار

ينقسم سكان أهقار الأصليين إلى طبقتين النبلاء أي أهقارن وهم: كيل اغلال وكيل تايتوق وكيل تجهى ملت[1].

وتأتي بعدهم كيلى أولى وينقسمون إلى عدة قبائل من الأتباع:

دق اغالى هذه أكثر عدداً أو ثراء وإتجاراً.

كيل زنفر

تيجهمى نقيس

اجوه انتهلى

اى تلواين

تتبع هذه أهقار من حيث دفع العوائد وتتبع آزجر في حالة الحرب:

كيل اهنت شأنها شأن سابقيها سواءً بسواء.

ايهياون

كيل تازولت.

ولما كان[2] أهقار جزء من بلاد الطوارق فهو[3] أيضاً جزء ذا أهمية بالغة من الناحية الجغرافية الاستراتيجية لذلك رأينا أن نحاول بما تمكننا به

---

[1] **تنقسم قبائل الطوارق إلى طبقات من الأحرار قبيلة آصيله تحييه والثانية ايمغاط ويطلق عامة على العبيد وكيل اوللى التي تفيد بلغة تاماهاغ رعاة المعز وهناك طبقة متوسطة بين الأحرار والامغاط هي قبيلة ايساك كامارين تنسب إلى قبيلة هقار وكانت قبيلة ايمغاط في الأزمنة القدمية تحت نفوذ الأحرار ويتعتبر أصح كانت في مقام جيش يقده الأحرار حيث شاءوا، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 164.**

[2] **الصواب : كانت.**

[3] **الصواب : فهي**

مداركنا لنعطى[1] عن هذا الإقليم وصفاً مناسباً قد ينجذب[2] القارئ إلى البحث الأكثر عمقاً وأوسع استقصاء[3].

مشاهير أهقار

- سيدي اق اكراجي.
- سيدي اق اخاشخات.
- أبو خليل اق دوكا.
- انابا.
- بابا اق تماكلاست قاد هجوم أهقار على الفرنسيين قرب قرية تيت والذي تم استسلام هذا الإقليم للتحكم الفرنسي في مايو 1902م.
- القائد ونى ذلك الرجل السديد في آرائه ورئيس قبيلة كيل اهملن بقرية انغر في منطقة تيديكلت.

حدود هذا الإقليم

بالنظر إلى أن وادي اغرغو يشكل حداً طبيعياً بين أهقار وآزجر من الجهة الشرقية فيكتفي به كحد معروف بين الإقليمين.

وأما من الجهة الغربية فإنه يمكن القول بأنه محدد بنهاية هضاب اهنت غرباً وذلك إلى الشرق قدوماً من الطريق الرابطة بلدة رقان بواحة تيلت بإقليم آضاغ.

---

(1) الصواب : أن نعطى.

(2) الصواب : يجذب

(3) تشترك سلطنة الهقار في حدودها الشرقية مع سلطنة آزقر وتتخذ من مدينة تمنغست في الجنوب الشرقي الجزائري مركزاً لها وتنتقل بين جبال الهقار على الحدود مع مالى والنيجر الحالية، مشاهدات المحققة.

ومن الشمال فإنه يضم صحراء تادمايت وما يتصل بها من رمال واقعة شمالها وذلك باعتبارها ومنطقة تيديكلت هما منطقتان تابعتان للقبائل التي يتألف منها هذا الإقليم، وجهة جنوبية وجنوبه الغربي فيمكن تحديده بمعالم طبيعية بارزة وهي منطقة جبال آضاغ والتي أطلق عليها الفرنسيون اسم ادراران فوغاس وذلك إلى الشرق من بير بوغه وأما عن جنوبه وجنوبه الشرقي فبدون خلاف أن نهاية أراضيه كانت بالقرب من بئر تين زواتن جنوباً ومن شرق تين زواتن فتأخذ أراضى أهقار في اتجاه الجنوب مكونة زوبعة داخل صحراء تمسنا التي كانت على وضع يندر بها وجود معالم طبيعية معينة حينما تكون فواصل الأراضي متجهة بشكل تدريجي نحو الشرق جاعلة بئر انسبواكه داخل أراضي أهقار في حين تجعل بئر اتمويل من ضمن أراضي آير مستمرة على نحو هذا الاتجاه حتى جنوب بئر انقزام بتشديد حرف الزاء حينما تأخذ في الاتجاه إلى الشرق حتى بئر انزوا عندما يتكون مثلث من أراضي كل من اير وأهقار وآزجر.

ولقد مضت خطوط الحدود الرسمية هي الأخرى تابعة نفس هذا الاتجاه من جبال آضاغ حتى بئر أنزوا المار ذكره.

وحدة السكان

باستطاعة المرء أن يدرك مؤكداً أن أقسام قبائل أهقار هي وحدة واحدة متراصة شديدة الالتفاف حول سلطتها السياسية الشرعية ويرجع السبب في هذا الترابط العميق إلى أن تسلسل الأقسام الثلاثة من النبلاء كان من أصل واحد كما يقولون غير أن تفرعها إلى ثلاثة فروع جعل كل فرع يحمل إسماً خاصاً به.

ولما كانت أصول هذه الفروع تنحدر جميعاً من امرأة تدعى تين هينان وهي التي كانت تحكم المنطقة وهي ملكة الطوارق قبل ما يزيد عن ألفين[1] سنة كما كان ذلك متوارثاً وشائعاً بين سكان المنطقة.

ولقد أصبح هذا مؤكداً بعد أن وصلت بعثة الحفريات إلى منطقة أهقار وقامت بجهود واسعة بواحة ابلسا إلى تمكنت من استخراج هيكل تين هينان خلال عام 1925م.

فالفرع الأول يسمي كيل غلا وهو الذي يتمتع بالأولوية في زعامة الإقليم وسلطته السياسية ذات الاعتبار بين السكان حتى اليوم.

ويأتي فرع كيل تايتوق في الدرجة الثانية من حيث الاعتبار وأهميته المكانية ويحظى فرع كيل تجهى ملت بالمرتبة الثانية.

ويرجع سبب ترتيب هؤلاء إلى أن الملكة تين هينان كانت قد خلفت بعد وفاتها بنتان[2] على اشهر القصص توارثاً وأوسعها ذيوعاً وثلاثة[3] على أقل الأقوال شهرة وشيوعاً ولما كانت قاعدة الرئاسة والزعامة في مجتمع الطوارق وعموماً من حيث أسسها تعتمد الانحدار من التسلسل الأمومي أي الجدات وتتوارثها الأمهات وهكذا فإن فرع كيل غلا حاز الأولوية في زعامة بلاده وذلك لانحداره من أكبر بنات تين هينان سناً.

ونرى لهذا الوضع تأثيره العميق واستقرار الزعامة وسياستها عند جميع قبائل الطوارق حتى اليوم.

وهكذا جاء فرع كيل تاتيوق في الدرجة الثانية أما فرع كيل تجهى ملت فهو في الدرجة الثالثة ولعل من المفيد هنا أن نعود إلى الحديث عن الملكة تين

---

(1) الصواب : ألفي.

(2) الصواب : بنتين.

(3) الصواب : ثلاث.

هينان مما قرأ وما لاحظه علماء الآثار والحفريات حينما توصلوا إلى إخراج هيكل من ضريحها الذي وصفوه وصفاً يبين أنه ذو صلة دقيقة مجهود كبير واع كل الوعى لمسئولية ما اضطلعوا به من عمل نحو هذه المهنة الشاقة إذ هم تأكدوا من أن هذا الضريح كان على مستوى الأضرحة الملوكية على صورها وعلى وجوهها المعروفة لدى علماء هذا المجال وهذه حجة قوية داحضة لاقوال أولئك الذين يقولون في مؤلفاتهم أنه ليست للطوارق وله في التاريخ.

ومما يستدعى الانتباه والفضول معاً هو ذلك الوضع الذي وجدوا عليه أساورها الذهبية السبعة في يدها اليسرى في حين كانت أساورتها الفضية وبنفس العدد في يدها اليمني.

وحيث أن هذا الوضع في حد ذاته مما يشكل رمزاً غامضاً من بين تلك الرموز التي أضحى علماء الآثار حيارى عاجزين عن بلوغ مرحلة تؤدي إلى رأي قاطع ينير الطريق إلى تفسير هذا اللغز بمعنى معقول.

وأمام ذلك رأينا ولسنا من علماء الآثار من محترفي الحفريات بل من أقْحَاحْ الطوارق على كل حال فها نحن نطرح رأي خاص من جانبنا علنا نجد من خلاله سبيل يؤدي بنا إلى الاقتراب من حل هذا اللغز والدنو من حله على الأقل. ولما يتطلبه الأمر من تمحيص واستقصاء قد يكون بعيدة عن مداركنا. وإزاء هذا فلابد لنا إذن من اللجوء إلى المحاولة للربط بين هذا الزمن وبين قواعد ماضي مجتمع الطوارق وحاضره وعلى ضوء ما نجد عليه قبائل الطوارق وعموماً ما يولونه اهتماماً خاصاً في جميع مراحل حياتهم حتى الآن.

ومن ذلك تأكيد حول الزاعمة وسلطنهم وقفاً على النبات ثم أن معظم مخلفاتهم الثابتة مثل أشجار النخيل والأراضي الزراعية وما يتبعه من مصادر المياه والمباني السكنية كانت وقفاً على البنات والوصية أقرها الإسلام بوضوح. كما أن الأراضي النخيلية هي أيضاً وقفاً على النبات.

لم نرى[1] أن كل شئ تخلفه الأمهات بعد وفاتهم[2] من إناث ومن حلى على اختلاف أنواعها وقيمتها كان من حقوقهن وهو وقف لا ينازعهن فيه أحداً حتى أشقائهن على الدوام ثم أن اللغة الطوارقية جعلت اليسار اسماً مؤنثاً أصلاً.

ولعل عطف هذه الملكة واهتمامها بعادات قومها التي تراعي بحرص متزايد مصلحة البنات بالذات جعلها تخض يدها اليسرى اسماً مؤنثاً لغوياً بأساورها الذهبية وهو الذي يتربع فوق أعلى على قمة من قمم النفائس عند الجميع في زمن تين هينان وإذا شئنا أن نصل إلى بعض النتائج بصدد هذا الموضوع فما علينا إلا أن نولى هذه النقاط كثيراً من اهتمامنا ونقرئها بوعي وجدية لأمكننا الاقتراب من فك هذا اللغز الذي لا يزال على درجة متناهية من الغموض.

وهذا ما لا يكلف أي جهد بدني سوى قدر من التفكير في إجراء مقارنة بين وضع تلك الأساور وبين ما عددناه من عادات القوم لتفسيرها.

وصف لسلطنة أهقار

ولنترك هذا الباب لنعود إلى وصفنا لسلطنة أهقار فنقول : إن قبائل هذه السلطنة تقيم عادة من مناطق تمتد بين آمنت غرباً إلى امجيد شرقاً ومن جبال ارجير شمالاً إلى تمسنا جنوباً في حركة بين حياة الارتحال والاستقرار.

أما المواقع الاستقرارية في أهقار فهي تامنغست عاصمة الإقليم وإيلسا وهو المقر الدائم لسلطان أهقار. وكذلك الواحات ذات الأهمية الزراعية والسكانية هي أدلسي وهيرمفوك وتازروك وانمجل وتيست وسيلت وتاغهوماوت وآمسل وتاميفت واوتول. ومع أن أهقار تعد من المناطق الزراعية الناجحة إذ تصدر

---

[1] الصواب : نر

[2] الصواب : وفاتهن

كميات معتبرة من القمح والطماطم المجفف والحيوانات ومنتوجات الجياد إلى مناطق تيسكلت وأن سالخ بصفة خاصة واستبدالها بالتمور والتبغ والقماش الوارد من الشمال عن طريق القوافل التجارية غير عتبة هذا الإقليم كأداء حقاً إذ كانت تعتمد اعتماداً كلياً على الآبار ذات المنسوب الذي يستمد قوته من المياه التي تتجمع فوق طبقة صخرية قصيرة العمق معتمدة على ماء الأمطار التي تنزل فوق جبال أهقار العالية وتتوزع بين الأودية المنحدرة من هذه المرتفعات بشكل غير منتظم وهذه العقبة تتمثل في انعدام نزول المطر لعدة سنوات متتالية فيتناقص منسوب المياه حتى تجف الآبار كلية ويتوقف انسيابها إذ لم توجد أية عيون جارية ولا آبار ارتوازية حتى الآن.

قبيلة كيل اهمَلن

إن هذه القبيلة ذات أراضي واسعة داخل أراضي آزجر نحو الشرق، كما تمتد داخل أراضي أهقار نحو الغرب ويفصل بين السلطنتين وادي إغرغري ذلك الوادي الجاف الذي يمتد في اتجاه عام من الجنوب إلى الشمال.

إن قبيلة كيل اهملن، كانت خلال الأزمنة القديمة تسكن مناطق هذه الجهة وتمتد أراضيها شرقاً وغرباً داخل سلطنة آزجر وأهقار. إلا أن القبيلة اعتبرت من جملة سكان منطقة "تيديكلت" التي تخضع لسلطنة أهقار التقليدية، ونظراً لامتداد أراضيها داخل أراضى قبائل آزجر ووجود عائلات منها في إقليم آزجر استوجب ذلك الحديث عنها ونظراً إلى غياب ذكرها في كتب الذين وقفوا على تناول المجتمع الطوارقي في كتاباتهم وحتى لا ندع ثغرة مهمة فتعتبر[1] نقيصة فيما نحن بصدده.

---

[1] الصواب : فتعد.

ووصلت جماعة نازحة من "توتين - زواتن" سكنت منطقة "تاسيلي" حيث أطلق عليهم اسم "كيل تاسيلي".

وخلاصة القول أن منطقة تينغرت وفقاً على قبيلة كيل اهملن وبالتحديد المنحدرين من أصل الأمهات إلى جانب ما تعارف عليه المجتمع في آزجر وأهقار[1].

وجاء أيضاً في معجم "اكسفورد" في تعريف مصطلح الهنترلاند ما يلي :

الطوارق عموماً ذوو بشرة سمراء وقامة طويلة وأجسام نحاف وعضلات قوية ونظر حاد.

3- سلطنة آضاغ - ادرار انفوغاس

يجدر الانتباه إلى أن إقليم آضاغ هو سلطنة مستقلة ولم تعد تبعيتها لسلطنة اولمدن قبل أعوام. وذلك نتيجة رفض آضاغ دفع ضريبة سنوية كان قديماً يؤديها لسلطنة اولمدن وذلك بعد أن حكم الشريف المغربي في بلاد السودان ولما أيقن اولمدن أن رفض الضريبة كان علناً نظم غزوة تأديبية ضد هذا الإقليم ولكن الإقليم وقف في وجه الحملة مدافعاً دفاعاً عن نفسه بهمة وضراوة وأسفرت هذه الحرب على هزيمة اولمدن[2].

---

[1] كانت هذه المعلومات ماخوذة مما اخبرنا به واحد من السلف قبلنا ومن الوثائق التي تحدد أوقاف قبيلة ايضا. اما كيل تهيهاوت التي سبق الحديث عنها هنا فانها منحدرة من رجل من بلدة السوق وهى تادمكت القديمة التي عاصمتها مدينة (تنبكتو) الحالية، المولف.

[2] يحد سلطنة آضغاغ من الشرق سلطنتي تاقوقرايت والهقار ومن الغرب إقليم ولاته بموريتانيا ومن الجنوب الغربي قرية يورم ومدينة تنبكت. وكانت سلطنة اضغاغ في السابق تابعة لسلطنة اولمدن سياسيا واقتصاديا وكانت تدفع لها ضريبة سنوية أيام حكم المغاربة لبلاد أفريقيا الغربية إلا أن سكان اضغاغ تضايقوا من الضريبة السنوية لارتفاع قيمتها وأعلنوا هذا تمردا من اضغاغ على السلطة= =المركزية بقصد تأديبهم وإرجاعهم إلى حاضرته إلا أن اهالى اضغاغ وقفوا صفا واحدا وألحقوا به الهزيمة وتكسر جيشه أمام شجاعتهم المفرطة واضافة لذلك وقفت قبائل كل اق...

ومن ذلك الوقت لم يعد اولمدن يتحدثون عن تلك الضريبة حتى اليوم.

وبعد انتصار آضاغ في ذلك الحرب فقد أعلن عن إقامة سلطنة مستقلة عن أية سلطنة أخرى. ولقد عرف منذ القديم عن رجال آضاغ أنهم محاربون وأنهم على درجة ممتازة من الشجاعة وشدة البأس. وأنهم مشتهرون بتدريبهم الفائق في استعمالهم الممتاز للسلاح الأبيض وهو المتاح في الزمن القديم كالسيف والرمح والقوس وأنهم يؤلفون قوة ذات اعتبار من حيث كثرة عدد رجالهم.

ومن المثير للاستغراب هو أن هذا الإقليم الذي كان على هذه الأوصاف كان قد رضي أن يدفع ضريبة سنوية كما أشرنا، ولكن من المحتمل أن مغزى ذلك راجع إلى الوقت الذي توجهت قبيلة كيل قرس إلى آضر بعد نشوب خلاف بين قرس واستيلاء قبيلة كيل اوى على الآبار وطريق القوافل غات – أقدس وانتقال كيل قرس غرباً إلى آضر ودفع أمامها قبيلة اولمدن وتادميكت وهجوم هذه القبائل على حاميات المغاربة الاراما في قاو وتنمبكتو وغيرها من مناطق نهر النيجر ونهاية حكم المغاربة في السودان واستيلاء قبيلة اولمدن على النبلاء من هذا يبدو أنه من ذلك الحين نظموا ضريبة على الجميع وقد قبلها إقليم آضاغ كجزء من مساهمته في التمويل اللازم.

مشاهير آضاغ

- يوسف اق الشيخ.
- محمد – أحمد اق الجنيدي.
- آللا اق البشير.
- اللادى اق آللا.

في وجه اولمدن بعد انتصار اضغاغ، عبد اللطيف عبد الرحمن، الطوارق شعب الصحراء، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 20.

- اوللمدون كيل اترام

- الفيهرو اق أشار.

قام هذا الرجل بثورة ضد الحكم الفرنسي في بلاده ولم يذعن لاحتلال فرنسا رغم الإمكانيات المتواضعة وغير متكافئة بالقياس إلى الإمكانيات الفرنسية من بنادق ورشاشات وهكذا كان قد القي القبض عليه وأودع السجن.

تتكون سلطنة آضاغ هذه من قبائل كثيرة نذكر منها ما يلي :

1- افوغاس 2- ايدتان 3- تغات ملت أو تادمكت كيل

4- ايرجناتن 5- ايطناتن 6- اجلاد

7- شمنماس 8- القبلاتن 9- شمنهرى

يحد سلطنة آضاغ من الناحية الشرقية أراضى سلطنتي تاقرقرايت وأهقار ومن الغرب ولاته والجنوب الغربي قرية بورم ومدينة تنبكتو.

ومن الناحية الاقتصادية يعتمد سكان آضاغ في الدرجة الأولى على تربية المواشي وتجارة الملح وكانوا ينقلون هذه المادة التي تضاهي هي[1] معدن الذهب في قيمتها الشرائية حتى القرن السابع عشر ولأنه تضاءلت قيمتها اليوم إلا أنها لازال الطلب عليها في مناطق السود كان كبيراً ودائماً. ذلك لأن الزنوج يفضلون ملح مناجم تاودني على غيره ذلك لجودته وصفائه.

وكانت تجارة الملح حتى الوقت الحاضر بالحبوب كالدخن والأزر وكذلك الملابس القطنية والذهب والعاج وريش النعام عادة إلا أن الريش كان الطلب[2]

---

[1] الصواب : هي تضاهي.

[2] يجب إضافة كلمة : عليه.

الآن خفيفاً جداً. وينقلون هذه البضائع الجنوبية إلى مناطق الشمال توات، تيديكلت عين صالح مع إنتاجهم المحلي كالإبل والغنم والسمن والجبن المجفف واللحم الجاف ويرجعون إلى قراهم ببضائع الشمال الملابس الصوفية والأقمشة الرقيقة والحريرية والإبر والأسلحة النارية والذخيرة وكانت لا تخلو من صراعات وغزوات باستمرار مع عرب أولاد جرير والبرابيش.

كان المدعو هيتا اق فنا : هو آخر الرئيس المتسلسل لسلطنة آضاغ منذ حكم تادمكت التي هي قبيلة افوغاس تغات ملت الحالية. ولكنه تنازل طواعية عنها للمدعو الطاهر اق ابللى الأخير ينسبه إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله كما يقولون. كذلك وإرشاد سكان المنطقة إلى إتمام شريعة دينهم الإسلامي بأسلوب لطيف وأدب مقبولين.

أن ما ذكرناه عن حرب قبيلة أولمدن[1] ضد إقليم آضاغ وأسبابه هو رواية قليلة الشيوع ولم يتكرر ذكرها وقد شككت كثيراً في صحتها، وذلك لأنها قليلة الذيوع والانتشار، ورغم البحوث الطويلة عنها، ونظراً إلى أن رئيس إقليم آضاغ وهو : الطاهر اق ايللى ما يفك يرسل إلى رئيس بعض قبائل أولمدن كيل اترام بهدية سنوية تتمثل في بيت من الجلد اهكيت[2] ولعل هذه الهدية هي نفس الضريبة التي أشير إليها ووصفت باسم الضريبة ولوجود هذه القصة كنا قد أثبتناها بقطع النظر عن شكوكنا في مدى صحتها ولمعاصرة الطاهر لفهرون كانت قد أمضت وقتاً طويلاً لا نرتاب في صحة الهدية المرسلة بينهما غير أننا لا

---

[1] قبيلة والليمدن هناك والليمدن أهل الغرب وهم كل اطرام ووليمدن أهل الشرق وهم تاقريقرايت، المحققة.

[2] اهيكت هي الخيمة الأصلية لدى الطوارق وتوجد عدة أنواع للخيام منها اكرين واضغم، المحققة.

نعلم شيئا عما كان يجري قبلها بالنسبة لما كانوا عليه روساؤهم[1] في الأزمنة السابقة قبل وصول أجداد الطاهر اق ايللى وفهرون اق انسار.

ولكن سكان آضاغ في طبقة أدنى في اعتبار اق شاغ وقبائل أولمدن وهكذا.

4- سلطنة اولمدن كيل اترام

كانت قبائل اولمدن سواء منهم كيل اترام أو تاقراقرايت أنهم هم المسيطرون على ازواغ الغربي والأوسط وعلى مناطق نهر النيجر منه قبل وبعد استيلائهم على تلك المراعي الجيدة وعلى مدينة جاو واسترجاع مدينة تمبكتو ودمر حاميات المغاربة الاراما بصفة نهائية من احتلالهم البلاد فكان لعملهم هذا تأثيره البالغ في كسبهم احترام الناس في تلك المناطق وهم أيضا لم يفرطوا في اغتنام فرص هذه الظروف فتنامت في نفوسهم جذور الكبرياء الذي أفرطوا فيه بدون حدود وحديثهم على أنهم هم أسياد طوق كل من يدب على وجه الأرض.

وعلى كل حال فإننا نتجاوز عن كبريائهم من بعض الوجوه ذلك لقيامهم بأخذ ثأر مظالم ارتكبها الجيش المغربي ومدى الاستبداد الذي كانت مدينتي تمبكتو وقاو وكذلك جينا ومناطق نهر النيجر الأخرى عرضة له طوال بقاء جنود المغاربة فيها[2].

---

(1) الصواب : رؤساؤهم.

(2) سلطنة والليمدن كل اطرام، والليمدن أهل الغرب هذا معنى التسمية وتحتل هذه السلطنة منطقة أزواغ الغربي ومنحنى نهر النيجر ويحدها من جهة الغرب إقليم ولاته في بلاد شنقيط موريتانيا الحالية ومن الشرق تتداخل مع شقيقتها سلطنة تاقراقريت من الشمال تحدها تيزى اتنزوفت تجاه سلطنة الهقار ومن الجنوب تحدها مالنكى التي تقطنها قبائل الزنوج البامبار. للمزيد انظر عبد اللطيف عبد الرحمن، الطوارق شعب الصحراء، مخطوط، مكتبة المحققة

وعلى أثر هذه المظالم ازدادت غارات الطوارق، ففي هذه الاثناء أعدائه[1] الجيش المغربي محمود بن زرقون أحد مرؤسيه وهو المسمى : مامي بن بارون إلى أعالي النيجر وعندما أيقن مامي أن لا أمل في سلام دائم في تمبكتو ولا في أي مكان آخر على النيجر الأوسط طالما كان الطوارق طليقين. فقد أرسل حملة تأديبية ضد القبائل التي أثارت الاضطرابات الأخيرة فقبض عليهم وقتل جميع الرجال وباع النساء والأطفال في سوق الرقيق وقد نجم عن ذلك هبوط كبير في سعر السوق حتى أن الرقيق كانوا يتنقلون من يد إلى أخرى لقاء مبلغ زهيد جدا لا يجاوز بضع قروش لكل واحد.

جاء حديث بوفيل قوله : وبينما كان الاراما تمبكتو يحيون بترف على حساب التجار الأجانب الأثرياء كان جماعتهم في قاو تعيش حياة غير مستقرة إزاء خطر جديد.

فمنذ السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر طرأ تغيير كبير على النمط القبلي في الصحراء الوسطي ذلك أن كيل أوى اخرجوا كيل قرس من الآبار وسيطروا على طريق القوافل المهم الذي يربط بين الهوسا وغات وانتقلت جماعة كيل قرس غرباً إلى آضر ودفعت أمامها قبيلة أولمدن) وقبيلة كيل قد اميكت وكلها مترابطة ولكنها متعادية واستقرت القبيلة الأخيرة بسلام قرب تمبكتوا ولكن قبيلة أولمدن الأشد بأساً استولت على المراعي الخصبة حول قاو ومتحدية حامية الاراما التي تغلبت عليها ومع أن الاراما قد استردوا عاصمة السونجاي القديمة فإن قدرتهم على المقاومة كانت آخذة في التضاؤل فعلى طول الطريق من قاو وإلى جين كانت اولمدن لم تسترد أبداً.

---

[1] **جملة مضطربة غير واضحة المعني والصواب فبعث.**

وأصبح قادة جين تابعين على وجه الدوام مرة يتبعون قبيلة يمبارا وأخرى يتبعون الفولاني وسعى الاراما في تمبكتو خلال بعض الوقت أن يحافظوا على قدر من الاستقلال إزاء العدوان المتواصل الذي ما كان أن يأتي من قبيلة البمبارة[1] التي يبدو أنها فقدت الاهتمام بمدينة بل يأتي من الطوارق، فقد هجم على الاراما أولاً قبيلة قبيلة اولمدن ثم هجمت عليهم قبيلة كيل ناتيكت على يدها وإلى منتصف القرن الحالي منى الاراما بهزيمة لم يستفيقوا بعدها أبداً)[2].

تشمل هذه المنطقة عدداً كبيراً من القبائل ذات اعتبار واضح مما جعلها أقوى سلطنات الطوارق الأخرى ومن هذه القبائل يتكون اعتمادها المتماسك من :

1- كيل اهارا – كانت قبيلة كيل اهرا عادة هي قبيلة رئيس السلطنة.

2- كيل تهيتات. 3- اغطفانن 4- الوغمان

5- اودالن 6- امنان 7- امغران

8- اشدتهارن 9- امددغن 10- اداو اسحاق

11- كيل ولى 12- كيل انصر : من أصل عربي

13- كيل كيل 14- تنكريقيف 15- كيل تيوراق

16- كيل تجلالت 17- كيل اسكن 18- كيل قرس

19- الهشان 20- أبو غليتين 21- اقلاد

22- كونتا : من أصل بربري.

---

(1) البمبارا هي من ابرز مجموعات الماندنجو تعيش في المنطقة التي صارت تسمى موريتانيا ومن المعروف أن هذه القبائل استمرت على وثنيتها زمنا طويلا رغم انتشار الآسلام في تلك المنطقة= =وخصوصا ما بعد القرن الخامس للهجرة الحادى عشر الميلادي. للمزيد انظر محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الأفريقية، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والشنر، 1965م، ص 53.

(2) بوفيل، المرجع السابق، ص 219.

تعتمد هذه القبائل على تربية المواشي مثلما هو الحال في غيرها من المجتمعات البدوية التي حافظت على تربية المواشي والتنقل لهذا فإنها كانت على درجة من الغلظة والخشونة ويعتمدون في الدرجة الثانية على تجارة الملح التي ينقلونها من مناجم تاودني على ظهور جمالهم في قوافل كبيرة ويتوجهون بها إلى دواخل مناطق الزنوج الذين كانت هذه المادة لا وجود لها في مناطقهم بصفة كلية تماماً. ولذلك كان الإقبال عليها شديداً لا يغفو أبداً.

وهذه التجارة تكفيهم مبادلتها بالحبوب كالأرز والدخن عن العمل الزراعي المتدني حسب رؤيتهم ولم يكونوا يعرفونها أصلاً. كما لازالوا يستبدلون هذه المادة بسلع المناطق الزنجية وما يتوفر هناك من الذهب والعاج وريش النعام والجلود والزبد والمنسوجات الردائية القطنية وغيرها وبعدها يشرعون في إعداد القوافل لنقل هذه البضائع إلى المناطق الشمالية المغربية وكذلك قرى تواتوتيديكلت عين صالح كما يجلبون لها أيضا الحيوانات الإبل – البقر – الضان – المعز – الجبن – اللحم المجفف. ويعودون إلى مناطقهم ببضائع الشمال الملابس الصوفية والفرش والأقمشة الرقيقة والحريرية والسلاح الناري والبارود والتمور.

ويبدو أن اموشاغ أو بالأصح أولمدن أنهم في الزمن القديم كانوا من سكان القرى المعروفة بسام توات إلى تلديكلت وأنهم زحفوا جنوبا نحو نهر النيجر وضفيته وأن الزحف وقع بعد العصر الحجري الأخير ذلك لتطابق لون بشرتهم وكذلك لهجتهم.

5- سلطنة تاقريقرايت

إن سلطنة تاقرايقرايت تتكون من قبائل لا يقل عددها عن خمس وعشرين قبيلة طوارقية وأغلبها أولمدن ونظراً لعدهم الكبير فإنهم يؤلفون من قوة تضاهي قوة جارتها كيل اترام.

تحد هذه السلطنة من الجهة الشمالية أراضي أهقار ومن الجنوب سلطنة كيل قرس وتحدها شرقاً تامزقدا وغرباً كيل اترام[1].

وهي مؤلفة من قبائل متعددة نذكر منها الآتي :

1- كيل نان قبيلة السلطان 2- كيل غلا

3- تارموقان 4- اخيرخيرن 5- أزريافن

6- تلميديمر 7- اقيراه 8- كيل ازار

9- ايت اوارى 10- الشريفن من أصل عربي

11- ادغمن 12- اجدالن

13- ازاويتن من أصل عربي 14-اجونجواتن 15- ادبيرن

16- اهياون 17- اكدقان 18- اينكلن

19- البكان 20- ايضيضن

21- انمغواون 22- ابراكاتن 23- اروبان

24- اكلان 25- اشيدون

---

[1] وهم والليمدن أهل الشرق تتوسط بلاد الطوارق ومعني كلمة تاقراقرايت الوسطى لأن موقعها وسطا بين السلطنات إذ يحدها شمالا سلطنة الهقار جنوبا سلطنة كيل اقرس من الغرب سلطنة والليمدن كل اترام ومن الشرق تمزقدا وآير ومركز هذه السلطنة مدينة طاوه شمال النيجر الحالي حوالي 450كم شمال نيامي العاصمة، للمزيد انظر عبد اللطيف عبد الرحمن، الطوارق شعب الصحراء، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 26.

تعتمد سلطنة تاقريقرايت هذه على تربية المواشي ورعيها على وجه خاص:

الإبل – البقر – الضان – المعز. كما كانت التجارة عاملا في الدرجة لدخلهم[1] وهي أساسا معتمدة على الملح الذي ينقلونه من مناجم تاودني الذي يقع بعيدا في جوف الصحراء الخالية من كل أنواع النبات.

وهم يسافرون إليه في قوافل كبيرة ودون انقطاع في أكثر فصول السنة وهي المادة التي يعتمدون عليها في مبادلاتهم التجارية في كل المناطق الزنجية وحتى كانت[2] وصل الإقبال عليها لدرجة أن الذهب يتوقف سعره محددا بالقيمة الشرائية للملح وبالرغم مما أصاب هذه المادة من تدنى سعرها منذ أن تدفقت عن طريق الموانى الأفريقية الجنوبية ولكن لازالت كانت[3] من بين المواد التي تستقبل بالترحاب لدى السكان الجنوبيين وأنهم يفضلون ملح تاودنى على غيره من جميع المناجم الملحية الأخرى وعلى أية حال كانت القيمة الشرائية لها فإنها لازالت تلعب دورا مهما لدى عرضها في أسواق مناطق السود على الإطلاق. وكان هؤلاء الطوارق يملكون الاستعداد الكامل لعبور تلك المفاوز الواسعة ونقل هذه المادة من مناجمها وعرضها على أسواق السود واستبدالها ببضائعهن المختلفة ويحصلون على أرباح هائلة من هذه التجارة التي لا يستغني عنها غني ولا فقير. كان وراء خط الاستواء جنوبا من القارة الأفريقية الأمن لا يميل من سكان هذه السلطنة من فئة تمتهن السطو والخطف، أما الملح فكان يختفي في

---

[1] الصواب : هذه التجارة عاملا مهما لدخلهم

[2] الجملة (وحتى كانت) جملة زائدة.

[3] الجملة (ولكن لازالت كانت) جملة زائدة

فترات غير قليلة إذ كان سكان هذه المنطقة خاصة والطوارق عامة مولعون[1] بإثارة الاضطرابات مما جعل أهل هذه السلطنة في حروب على وجه الدوام.

وهي في مجابهات عديدة النواحي في الشرق حيث كان خلاف شديد بين سكان تقدا وسلطان تاقريقرايت أدى إلى حرب طاحنة دارت رحاها لمدة سنوات مما جعل وفد خارجي يتدخل عارضاً مساعيه في المصالحة لإيقاف هذه الحرب التي سنشير لها في مناسبة قريبة عندما نتحدث عن سلطنة تامزقدا تاقراقرايت الطارقية.

مشاهير تقريقرايت

- أحمد اق الجيلاني.
- يوسف اق وساما.
- الشافعي اق عبد الكريم.
- عبد الكريم اق شخو.

[1] الصواب : مولعين.

6- سلطنة تامزقدا تاقريقرايت

أن موقع هذه السلطنة من المواقع الهامة حيث تمر هناك[1] طريق القوافل العظيمة وكان[2] مركزاً تجارياً ممتازاً.

تحد هذه السلطنة من الجهة الشرقية مملكة كاتم أو برنو ومن الغرب سلطنة تاقريقرات وسلطنة كيل قرس وجنوباً مملكة كاتشنا ومن الشمال سلطنة اير فهي على هذا محتلة أراضي ازواغ الشرقي وقراه والتي تسمي دمرقو قديماً[3].

وتشمل هذه السلطنة عدداً من القبائل أهمها :

1- الشريفن من أصل عربي
2- كل فروان
3- ايكزكزن
4- ايقدين
5- ايكشكشن
6- افو غاس
7- امزوراك
8- كل انبرده
9- ايرضيان
10- ازمايان
11- ايزغران
12- اقدالن
13- كيل طمات
14- ايمزوغن

---

(1) الصواب : بها.

(2) يجب إضافة كلمة : بها.

(3) أن سلطنة تمزقدا من أقوي السلطنات الطارقية إذ أنها تحتل أراضى خصبة تنزل بها الأمصار وتتحكم في طرق القوافل من ليبيا وبلاد هوسا ومصر وترتبط بعلاقات تجارية مع شعوب بحيرة تشاد ومملكة كانم وقبائل التبو. تحدها من الشمال سلطنة الآير وجنوبا مملكة كتشنا الهوساوية ومن الغرب سلطنة تاقراقرايت وكل اقرس ومن الشرق برنو ورمال ترقيت وقبائل التبو. مشاهدات المحققة.

وكانت لغة سكان هذه السلطنة الطارقية البربرية في الازدواج بلغة الهوسا بشكل واضح، وذلك بحكم اقتراب مساكن ومواقع بعضهم لبعض وكذلك الأسواق التي يرتادها الطوارق والهوسا جميعا. ومن ناحية أخرى نرى حجمها من حيث الرقعة الجغرافية أقل حجما من جميع سلطنات الطوارق الأخرى.

وبالرغم من ذلك بإنها[1] تمتاز عن بقية مجتمعات الطوارق من حيث نزول الأمطار وخصوبة تربتها، وكان سكانها يملكون ثروة حيوانية هائلة : الإبل – والبقر – والضان – والمعز مما يسر لهم الاتجار الواسع بهذه الحيوانات ومن ذلك منتوجات الألبان – والسمن – والجبن المجفف وكذلك فإنهم يجلبون لحما مجففا كلس إلى أسواق الشمال ويخرجون بهذه الأصناف من بلدتهم تقدا إلى غات وتوات وتيديكلت عين صالح.

وعلى ما يبدو أن من أهم المناطق تقدا في زمن إمبراطورية مالي القديمة وكانت مركزا مزدهرا لتجارة القوافل وكان اسم البلدة مقتبس من الكلمة الطوارقية تقدا التي تعني الربيع، أما موقع هذه البلدة فقد كان بالقرب من الخرائب الموجودة في منطقة ازجليلا التي تبعد قرابة 150 ميلا في الجنوب الغربي من اقس وتبعا لما أورده ابن خلدون فإن البلدة كانت تبعد سبعين يوما في الجنوب الغربي من مدينة وارقلة التي كانت لها معها علاقات تجارية وثيقة.

ومع ما ذكر فإن تقدا لم تكن معتمدة في رخائها على تجارة مرور القوافل فقط بل على ما بأرضها من مناجم النحاس التي كانت مصر ومالى والهوسة والمغرب وكاتم تعتمد في سد حاجاتها إلى هذا المعدن المهم في القرون الماضية.

---

[1] الصواب : فإنها.

وقد أشار الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة عند زيارته لبلدة تقدا إلى نزاع بين سلطانها وسلطان تاقراتقرايت وسعيه ضمن جماعة مرقومة إلى الإصلاح بينها.

7- سلطنة آيــر

تتاخم هذه السلطنة من جهة الشمال سلطنتي آزجر وأهقار ولهذا كانت أقرب إلى الشمال من أي من سلطنتان[1] الطوارق الأخرى وتليها في ذلك سلطنة آضاغ ادغاع اضغاغ.

وتحدها سلطنة تامزقدا من الجنوب وتكون أراضيها داخل أراضى ازواغ الأوسط وتحد بذلك سلطنة تقريقرايت في مناطق انقال وتمتد شرقا شاملة واحات كاوار بلما[2].

تتألف سلطنة آير من قبائل كثيرة أهمها ما يلي :

1- كيل أوى	7- كيل فداى
2- اكزكزن	8- اخيرخيرن
3- بيل تدلى	9- امزوراق
4- اولماس	10- كيل فروان
5- اهيقارن	11- افرتين
6- كيل اغاروس	12- اقدالن

---

(1) الصواب : سلطنتى.

(2) سلطنـــة آيير. تعنى الآيير في لغة طوارق الشمال سلطنة شمال النيجر ومنهم من يقول بأن آير نسبة إلى جبال اهير وغير أن الآيير سلطنة تتربع على رقعة شاسعة يحدها من الشمال سلطنتا آزقر والهقار ومن الجنوب سلطنة تمزقدا التي تكون أراضيها زاوية داخل أراضي ازواغ الأوسط وغربا تتداخل مع سلطنة والليمدان في اراضي اتقال أما من الشرق فتمتد إلى بلمـــا، مجهول. تراجم علماء باغرم، مخطوط، ورقة 13.

ليس هناك أحدا يساوره أي شك في أن قبيلة كيل أوى هي أقوي القبائل التي تتألف منها سلطنة آير من حيث العدد السكاني ومن حيث ثروتها الحيوانية والخصوص[1] الإبل التي تمتاز به هذه القبيلة وبهذا لعبت دوراً مهماً في تاريخ حركة التجارة القوافلية[2] ضمن قبائل آيريين كنو في الجنوب وغات في الشمال ذلك مما توحي به وثائق التجارة خلال القرون الماضية إذ كانت غات هي المحطة الثانية للمرور بعد غدامس وذات أهمية بالنسبة لاستقبال وتخزين البضائع في انتظار استئناف مراحلها نحو الشمال أو نحو الجنوب، كما تؤكد هذه الوثائق العديدة[3] أن مدينة غدامس كانت قد لعبت نفس الدور في التجارة، تجارة القوافل التي تنقل من الشمال إلى غرب أفريقيا متجهة نحو مدينتي تمبكتو وقاو ومناطق نهر النيجر الأخرى مروراً بمنطقة تيديكلت عين صالح.

ونظراً إلى أن مدينة أقدس كانت أول محطة للتجارة في الجنوب فإن سلطاتها تعمد أحياناً إلى إصدار أوامرها لأي سبب تراه لإيقاف حركة القوافل على اختلاف اتجاهاتها مما كان له أثر بالغ في تحملها خسائر كبيرة نتيجة إنفاق زمن قد تصل اشهر فيما كانت هذه القوافل لا تعلم شيئاً عن أسبابه وآخر ذلك ما وقع من المسمي بلخو عندما أوقف مرور القوافل في مدينة أقدس. ولما وصل نبأ هذا الايقاف مسامع الآزجريين في غات تحرك وفد كان يضم عمر الحاج ومحمد اق ايكدا من قبيلة اوراغن والحاج عومر وغيره من قبيلة امنغاتسن من غات إلى أقدس ولما وصل الوفد إلى أقدس كانت المقابلة قد وصفت بفتور واضح لدى هذا الزعيم وقد تلت المقابلة مفاوضات عسيرة للغاية حتى أنها توقفت مرات عديدة كادت تصل إلى طريق مسدودة ولولا العلاقات الودية التقليدية التي تربط

---

[1] **الصواب : وخصوصا**

[2] **الصواب : تجارة القوافل.**

[3] **يجب إضافة كلمة : من.**

الآزجريين بالآيريين لما وصل هذا الوفد إلى الحل المرضى في نهاية الأمر، وعلى كل حال كانت هذه المفاوضات مع بلخور إلى أن أصدر أوامر ثانية لفتح الطريق أمام القوافل لاستئناف مراحل سيرها نحو مقاصدها شمالاً وجنوباً.

وهذه أقوال ارثفين فون بارى وأن سلطان قرس هو أحمد الرفاعي ولا نعلم هل هذا صحيح أم لا.

8- سلطنة كيل قرس

يتواجد سكان هذه السلطنة في أبعد جهة من جميع سلطنات الطوارق وإلى الجنوب فتكون بموقعها هذا هي الحد الفاصل بين الطوارق والزنوج من جهة الجنوب ذلك مما جعل سكانها أغلبهم يجيدون لغة الهوسا إلى جانب لغتهم الطارقية وكانت أغلب قبائلها تتمتع بشكل ما من استقلالها الذاتي فيها يتعلق بشئونها الخاصة وفي شئون رعاياها من العناصر القرويين، وتخالف هذه السلطنة في حروبها مع مملكة قوبير خاصة تلك التي تدور رحاها بين كيل قرس هذه ضد السلطنة تاقريقرايت التي كثيراً ما قامت حروب طويلة الأمد بينها.

وتحد سلطنة كيل قرس مناطق آضر التي تعني في لغة الطوارق رجل والمقصود به فرع وادي اوران من روافد مثلما يقال في ليبيا سانية الرجل وهو بئر يقع في رجل وادي الدويقرقر إلى الجنوب من بلاد الحرابة، تحد هذه السلطنة من الشرق سلطنة تمرقدا ومن الغرب منحني نهــر النيجــر ومن الشمال سلطنة تاقريقرايت ومن الجنوب سلطنة اقرس[1].

---

[1] هي أحد سلطنات الطوارق المعروفة بقلة أفخاذها ويحدها من الشمال سلطنة تاقريقرايت ومن الجنوب إمارة غوبر الهوسية ومن الشرق سلطنة تمزقدا ومن الغرب منحنى نهر النيجر كما تشترك إمارة إليون ومقرها كيتا شرق مدينة طاوه وهي تبدأ من محافظة طاوه جنوبا إلى حدود النيجر مع نيجيريا وتتوزع قبائل وأفخاذ هذه السلطنة في جميع سلطنات الطوارق وتعتبر الحد

1- كيل اغلال.

2- كيل امنير.

3- اتيسان - وقبائل أخرى والموالى والعبيد الذين يدعون عند الطوارق باغولسن وهي الكلمة المهذبة اللائقة التي يراها المجتمع الطارقي يحسن استعمالها ومن المقبولة لديهم.

4- أغاون.

كان كيل قرس يسيطرون على طريق القوافل غدامس - غات - أقدس - بلاد الهوسا ولكن كان كيل أوى الذين وصلوا آير بعدهم اخرجوا كيل قرس من الآبار الواقعة في طريق القوافل هذه حيث رحلوا نحو آضر.

مشاهير كيل قرس

من الأسف أني لم أتعرف بعد عن رجال كيل قرس الذين لاشك في أنهم كانوا قد أدوا أدوارا ملحوظة في صالح بلادهم[1].

أن مدينة تينبكتو التي تأسست حول بئر ماء قام بحفره جمع من الطوارق. وذلك كما يقال في حوالي 510 هجرية يوافق 1116 للميلاد. كما قال أحمد بابا الأرواني في تأليفه[2].

الفاصل بين الطوارق والزنوج من جهة الجنوب الأمر الذي جعل جل قبائلها تجيد لغة الهوسا الى جانب لغتهم الطارقية. انظر محمد سعيد القشاط. المرجع السابق. ص 43.

(1) من أهم سلاطين كيل اقرس السلطان ايشكلين الذي عرف بالعدل بين الرعية. المولف.

(2) أخطأ المؤلف في اسم أحمد بابا الأرواني وأسمه الصحيح أحمد بابير الارواني وهو صاحب مولف السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية. المحققة.

ويتكون اسمها من كلمتين اثنين هما الأولى تين وتعني ذات من دو والثانية بكتو وهي اسم لخدامتهم التي كانت تسقي حيواناتهم بماء البئر.

ولذلك كان يحق للطوارق الدفاع عنها باعتبارها ملك لهم وباعتبار أن المدينة حق من حقوقهم.

وبرجوعنا إلى فهرون فقد خلف ثلاثة أولاد ذكوراً وبنتاً واحدة.

تفقوت

سرققو

همتو جار هققو رئيساً لقبيلة تغيولت.

الرئاسة أو السلطة عند الطوارق

الرئاسة[1] حق يثبت عن طريق الأم وليس هناك غير هذا الطريق سبيل آخر يمكن سلوكه للوصول إلى السلطة في المجتمع الطوارقي ومع هذا لا يتولى مهمة الاضطلاع بها ومسئوليتها غير ذكر ثابت على أن تكون أمه متسلسلة الانحدار من الأمهات والجدات اللاتي أوقف الأوائل عليهن هذا الأمر.

ومن مزايا هذا النظام نرى هذا المجتمع يسير على هذا الوجه ويعمل وفق شروطه منذ زمن طويل ذلك باعتباره وقفاً لا سبيل لمنازعة صاحبه عليه ولا الخروج عن نصه ومعناه.

---

[1] أن نظام الرئاسة عند الطوارق فهو وأن كان غريب إلا أنني أري فيها نوع من الاستقرار والثبات. ويتكون نظام الحكم في السلطنات الطارقية من الهياكل التالية :

1- حاكم يطلق عليه : (الامنوكال) وهو في العادة يقوم بهذه المهمة أقوي شيوخ القبائل باعتباره يمثل أعلى سلطة في البلاد أي رئيس اتحاد القبائل وكان في تلك الفترة (اختوخن) ويتولى مساعدته مجموعة من رؤساء القبائل المعروفين باسم (الاتاتاك) وتحت إمارتهم مجموعة من شيوخ القبائل نعرف باسم (الامغار) ويرث الحاكم الحكم من ابن أخته حسب رأي الطوارق أن الدم الذي يجري في عروقه هو نقي وواضح بخلاف الأخوة والأبناء الذين يشك في نقاءهم.

2- شيخ القبيلة (الامغار) : لكل قبيلة من قبائل الطوارق شيخ يقال له امغار يحكمها ويمثلها في الاجتماعات الرسمية المتعلقة بأمور القبيلة، كما يقوم شيخ القبيلة إضافة لذلك بجمع الضرائب والإتاوات المفروضة على القبيلة اثناء خوض الحروب.

3- الإمام : يتولى هذا المنصب أحد الفقهاء ومهمته إعطاء المشورة الدينية للسطان، كما يشرف على سير القضاء ويهتم بالامور المتعلقة بالتعليم والمساجد كما يستعان به لحل النزعات والخصومات داخل القبيلة.

للمزيد انظر نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ط 2، الجزائر المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 26.

ولما كانت السلطة مصدرا من المصادر الرعوية مما جعل جميع ذوى الاهتمام بها كل يسعى ويجتهد ويسخر طاقاته في الوصول إليها بكل الطرق سواء منها المشروعة أم تلك الملتوية ثانيا، ولهذا السبب فإن عاطفة الطوارق ومنذ الأساس هي عامل قوى جعلهم شديدو الاهتمام بصالح بناتهم في مستقبل حياتهم من بعد وفاتهم وذلك بأكثر ما يهتمون بأبنائهم الذكور، ولذلك كانوا[1] يسعون بكل ما أوتوا إلى أن يتركوا لهن بعد حياتهن ما قد يعتمدن عليه لمستقبلهن في الحياة، وأن يكون بطون أقل جهد ومتاعب ولا سيما الثانية منها كالأراضي الزراعية والمباني السكنية والأراضي القبلية التي تدر دخلاً سنوياً متعارفا.

وكان لا يخفى على الطوارق ما كان عليه جنس الإناث من ضعف طبيعي واضح على احتمال ما تطلبه الحياة من أعمال لا تتفق وتركيبتهن الجسمانية في كل حال. لاشك أن ذلك جاء من نظرتهم إلى الفارق الواسع الفاصل بين مقدرة الذكور على تحمل العمل الشاق في كل الظروف والمجازفة بحياتهم وراحتهم في سبيل الكسب من مختلف الوجوه من أجل متطلبات هذه الحياة وعلى النقيض من ذلك الإناث.

فلهذا السبب أوقف الطوارق رئاستهم على البنات خاصة مثلما أوقفوا جل ما أشرنا إليه وهذا لما تشتمل عليه من منافع لهن ومن خلال ذلك نتبين بوضوح مقدار عطفهم وقيمة النساء لديهم، ومع تبوئهن هذه المكانة الأساسية جعل أوائلهم لأبنائهن الذكور حق القيام بمهام الرئاسة والاضطلاع بمسئولياتها بمثابة وكلاء مفوضين عنهن على الدوام ففي حالة خلو منصب الرئاسة من شاغله بوفاة وبالرغم من أن الجماهير تفكر من جهتها في موضوع اختيار خلف ولكن كإجراء

---

[1] **الصواب : بدل من الجملة (ولذلك كانوا) فكانوا.**

يقبل عند الناس دعي لاجتماع وجهاء القوم ورؤساء القبائل للبحث في الأمر من حيث الأحقية ومن حيث الجدارة وفقاً للشروط المحددة وعند وصول هؤلاء المدعيين إلى قناعة عمن هو أحق وأجدر انطلقت الإعلانات غير المكتوبة على أن فلاناً قد أصبح رئيساً للمجتمع خلفاً للرئيس السابق ويستمر الحال على ذلك يتناقله الناس عند لقاءاتهم وفي مجامعهم في حرية كاملة للمؤيد وللمعارض وللناقد أيضاً وبعد ذلك يأتي يوم آخر وهو خصيصاً لوضع عمامة السلطة على رأس الجدير الذي اقنع به المجتمعون أنفاً وبعد ذلك تنطلق الحفلات تتخللها إيقاعات الطبول والأغاني وألعاب الجماهير المعبرة عن فرح الناس وابتهاجهم بهذه المناسبة.

ولاكتمال رئاسة سلطنة إقليم آزجر بوصفها المعروف كان عليها أن تنال مصادقة رؤساء قبيلتي امنغساتن وإياجنن فأما الأولى فمركزها الرئيسي هو وادي الآجال بفزان أما الثانية فمركزها مدينة غات.

إن هذه القاعدة الأساسية التي أقر الأجداد وضعها المؤكد تحت شرط الانحدار من أصل الأمهات والجدات له في حد ذاته مما يعتبر مفهوماً كان قد انفرد به الطوارق عن غيرهم من سكان العالم وهو أيضاً أمر يستغربه أولئك الذين لم يتوفروا على دراية عميقة يدركون بها معرفة جيدة عن مزاياه وفوائده في نهاية المطاف[1].

---

[1] للمرأة في المجتمع الطارقي مكانة مرموقة عالية وصلت بها مكانتها إلى أعلى المناصب الاجتماعية والسياسية حيث لم يعامل الطوارق المرأة أنثى تأجر وتباع وتشتري فالمرأة عند الطوارق عماد المجتمع وأساس استقامته إذا لا يقوم المجتمع إلا باستقامة نسائه فإن أوكل إليها المجتمع الطارقي مهمة التربية وله تقدير خاص لأنها هي سبب التواجد الدائم في البيت وهي

فنحن حينما نعلم ما كانت تعانيه كل الشعوب في العالم من صراعات حول هذه السلطة وما تتحمله من سوء النتائج وما تتكبده من أكبر الخسائر وتلك الخصومات والانفعالات وما يتولد عنها من دنئ الألفاظ وأخسها وهذه الحروب التي تشتعل نيرانها مخلفة في نهاية الأمر رماداً تذروه الرياح وما إلى ذلك من اغتيالات وانقلابات.

ويعلم المستغربون أن كل تلك الأحوال المحتملة كان قد قضي عليها نظام الطوارق في مهدها قبل قرون خلت فلا خلافات ولا خصومات ولا حشد أنصار ولا حروب ولا اغتيال ولا انقلاب فهذه الحركات جميعها بعد نظامهم هذا أصبحت في الواقع عديمة الجدوى عقيمة الفوائد لمن يروم من ورائها الوصول إلى أن يتربع على كرسي الرئاسة في مجتمع الطوارق.

أفلم يكن صالح الشعوب ورقيها أمر يتوقف بالتأكيد وإلى حد أبعد على أسْبَابْ أمنها الداخلي والخارجي على حد سواء.

وفي مجال الرئاسة هذه أري أن من المناسب الإشارة إلى ما قد جاء في كثير من كتب التاريخ وهو : أن ابن أخت الرئيس هو ورثته في الرئاسة بعد وفاته ولكي يكون ما أشاروا إليه في كتبهم صحيحاً فلابد له من شروط تفصيلية معه منها أن يكون ابن أخت الرئيس المتوفى كان ابن أخته الشقيقة أو لأم متمكنة من حيازتها لحق الوقف الذي أقره السلف وارتضوه كقاعدة ثابتة شرعية للمجتمع

عماده وأساسه، للمزيد انظر ريشارد سن جيمس، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمه، بنغازي : منشورات جامعة قاريونس، 1993م، ص 322.

وذات أسبقية لغيرها فيه وأن لا تكن أمـــه أخت خاله الراحل لأب فقط ولم تكــن في ذلك من اللواتي يشملن[1] الوقف ذات أسبقية فيه.

وقد يكون ابن الرئيس نفسه ذو أسبقية وذو حق قبل ابن الأخت وذلك إذا ما كانت درجة أم الأب ودرجة أم الابن متساويتان في هذا الوقف ففي هذه الحالة فإن الابن هو الأحق في رئاسة هذا القوم لسبب هو أن أم الابن أقرب درجة إلى الجدات من أم ابن الأخت[2].

---

[1] الصواب : يشملهن.

[2] يرث الأبناء المركز السياسي دون الالتفات إلى وضع الأب ونقصد بذلك حق أبناء الأخت في الإرث ولا يسمح أن يرث الابن أباه في الحكم وإنما الابن الأكبر لأكبر أخوات الحاكم المتوفي. وأن دم الحاكم يجري في ابن أخته في حين أن الابن قد لا يكون فيه هذا الدم لأن زوجة الحاكم قد تكون خائنة أو غير ذلك، للمزيد انظر رولفس، غيرهارد، رحلة عبر أفريقيا، دراسة وترجمة عماد الدين غانم، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1996م، ص 153.

أسماء سلاطين الطوارق

فالبرغم من ضآلة المعلومات التي سبق أن جمعتها عن سلاطين الطوارق كما سمعتها من هذا الشعب عند قصصهم الشعبية وأخبارهم. غير أنه سيجدها القارئ خالية من الأسماء الثنائية فضلاً عن الثلاثية في بعض الحالات.

كما أنها غير مرتبة ترتيباً زمنياً حتى يدرك القارئ الأول منهم من الثاني، وهذا نتيجة قصص الكبار الذين لا يعيرون أي اهتمام للتحديد التاريخي. ولكن ذلك لا يشكل حائلاً بيننا وبين ذكر أسمائهم رغم ما هي عليه من تلك الفوضى على أهميتها. وقد ساهمت في ذلك قصة الوثائق المكتوبة وأن وجدت فهي قليلة جداً لا تفي بالغرض المطلوب.

وتبدأ بذكر أسماء هؤلاء السلاطين بداية من الشمال ونهاية بالجنوب فتقول :

سلطنة آزجر :

1- أميدى.

2- محمد اق امدغ ويعرف بلقب اق تين الحرباس.

3- خداش.

4- محمد اق غسمان ويعرف بلقب اخوخن.

5- يحي اق سيدي محمد.

6- انقدازن اق ابكدا.

7- بوبكر اق القوى.

8- الخير اق خمدان.

سلطنة تقريقرات

1- آشا.

2- الحسن اق آشا.

3- ختوتو.
4- بوختال اق اكتمن.
5- موسى اق ختال.
6- محمد اق الكميتي.
7- إسماعيل اق لاسو.
8- الخوريراق الرمبى.
9- بازوا اق الخورير.

سلطنة آير :

1- يونس اوجون.
2- بلخو.
3- عثمان.
4- إبراهيم الدسوقي.
5- عبد الرحمن تقاما.

سلطنة تمزقدا

1- إبراهيم ابرا.
2- موسى اق مغوقما.
3- اق الخير.

سلطنة كيل قرس

1- ايشلكين.

سلطنة أهقار

1- اق الشريف.
2- ايسوف أو يوسف.
3- الحاج أحمد ق البكري.

4- اهيتاغل اق محمد.
5- اتيس اق املال.
6- موسى اق اماشان.
7- اخموس اق ايهيا.
8- مسلاغ اق اماياس
9- باى اق اخموكس
10- موسى اق اخموكس.

سلطنة اضغاغ

1. السلطان ابللى آق ايتا.
2. الطاهر اق ايللى -هيا اق قتام وهو آخر سلطان في اضغاغ.
3. انتالد الطاهر.

سلطنة أولمدن كيل اترام

1- كرديش.
2- ماديدو.
3- شبوت.

المتوفون من ملوك وسلاطين لأسباب معينة

أن حكومات وسلطنات الصحراء قد حكمها ملوك وسلاطين متعاقبين عليها حسب تقاليدهم وشرائعهم النافذة لديهم وأنهم مقتنعون بمبادئها التي أقرها أجدادهم تأسيس قارة ثابتة عند المجتمع الطوارقي.

ولكن إذا بحثنا عن أسباب خلو مناصب رئاسات هذه الحكومة أو السلطنات وجدنا أن رؤسائها كان البعض منهم مقتولاً ونشير هنا إلى سبب من قتل منهم فيما يلي :

سلطنة آزجر بشغر منصب الرئاسة فيها بوفاة رئيسها خداش الذي قتله الشعامية قرب بئر الوما كما ذكرنا ذلك بالتفصيل سلفا.

سلطنة آزجر توفي رئيسها يحي اق سيدي محمد سقط قتيلاً في ليلة الهجوم على غات في خلال ثورة ضد الوجود التركي في البلاد وأشرنا لذلك في مناسبة سابقة.

سلطنة اهنان الروحية كان رئيسها رجل يدعى قوما وقد قتله رجل يدعى بيسكا وهو من قبيلة المتين ذلك عقب إهانة ألحقها الرئيس وهي أنه حاول قوما أن يتنازل له بيسكا عن ناقته العجيبة التي رآها قوما وأعجب بها من حيث السير والعدو السريع ولما فشلت هذه المحاولات حكم على بيسكا أن ينحر ناقته تلك ويسلخها ويقسمها على عدد بيوت نجع قوما وأوصل[1] لكل بيت منابه من اللحم ورجع إلى قومه وقال له أني قد نحرتها وسلختها وأعطيت لكل بيت حصته من اللحم قال قوما: أجمع الحطب وكدس لكل بيت كدسا يكفيه قال ليس معي حبل احزمه به قال قوما أني أرى عمامة فوق راسك فاحزمه بها قال بيسكا : نعم فبدأ

---

[1] الصواب : وأعطى.

يحزم ويكدس أما البيوت وكلما تكلمه صاحبة البيت من كفايتها من الحطب قال : بيسكا الحزمة الكبرى آتية. ومقصده بالحزمة الكبرى موعزمة على قتل قومه. فلما أفرغ[1] من جمع الحطب رجع إلى بيت قوما فاخبره بنهايته من كل ما كلف به قال قوما : أني مسافر إلى بلدة جانت قال بيسكا وأنا كذلك ساذهب أيضاً إلى البلد قال قوما : أذن فنحن رفاق إلى جانت فذهبا مع بعضهما فتمكن من قتله بالقرب من بلدة جانت في بطن وادي من أوديتها وقبره معروفاً حتى اليوم.

سلطنة أهقار رئيسها الحاج أحمد اق البركى توفي هذا الرئيس على إثر مرض لم يمهله طويلاً ولذلك قال البعض أنه كان قد أعطى طعاماً مسموماً أو هو ما يعرف بالسحر وتنقل هذه المزاعم بين الناس دونما إثبات.

السلطان موسى قتل هذا في معركة بينه وبين الفرنسيين عند مساكنه بقرية تان امارى إثر حملة قادها العريف بوتهيه.

سلطنة أولمدن كيل اترام قتل زعيمها المدعى فيهرون اق انمار على يد مجموعة مجندة من حامية تمنغست المتجولين في دوريات الجيش الفرنسي في الصحراء 1916م.

سلطنة آير كان سلطانها رجل يدعى عبد الرحمن تقاما قتله الفرنسيون على إثر انضمامه إلى ثورة محمد كاويسن بعد تمكنهم من إلقاء القبض عليه وإعدامه في سجنه ويقول شارح جثته الطبيب العسكري أن عبد الرحمن ثقامه مات مخنوقاً وليس منتحراً أن الطبيب الشارح يدعى بوشارو وكان ذلك في ليلة 29-192/4/20م.

---

[1] الصواب : فرغ.

المرابطون : الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونة توفى معا بأسهم مسمومة سنة 468 للهجرة النبوية عندما كان يجاهد الوثنين السود المجاورون للمتونة ذلك بعد تنازله عن الإمارة ليوسف بن تاشقين.

دولـــة الملثمين

هذه الدولة[1] قد تأسست عن اتحاد قبائل البربر من طوارق لمطه ولمتونه وجدالة ومسوفة[2] في شمال غرب الصحراء الكبرى.

أن هذه القبائل لا ريب في أنها قامت بجهد عظيم في جمع شتات كلمة الطوارق والذين كانوا على فرقة سياسية واضحة رغم علاقتهم العرقية الواحدة لارتباطهم بأقوى دعامة تقوم عليها قوميتهم ووحدتهم هي اللغة الواحدة والرقعة الجغرافية التي تجمعهم أيضاً، وكان عملهم ذلك في حد ذاته مجهود جدير بالتقدير مما قد اتسم به حكمة بالغة من الوجهة التنظيمية السياسية والعسكرية بوجه خاص فكانت شهرة ملكهم تيلوتان وقوته العسكرية امرقد اتفقت عليه المراجع التاريخية بصفة عامة.

فيوسف بن تاشقين[3] الذي بينت فتوحاته وإخضاعه لعدد من أمراء في بلاد الغرب الأقصى وانتصاراته على جيوش الأسبان لإنقاذ طوائف المسلمين في

---

(1) **دولة الملثمين بالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس وموطن هؤلاء الملثمين بالمغرب الأقصى والأوسط ارض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في الأربعة عرضاً وإنما قيل لهم الملثمون لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم أصلا وقال ابن خلدون كان دين صنهاجة أهل اللثام، للمزيد انظر محمد السالك ابن خى التنواجوى، فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول وأصول الأنساب، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 11 - 12 - 13.**

(2) **لمتونه ومسوفة وجدالة من القبائل الصنهاجية التي قامت على أكتافها دولة المرابطين وقد أدت دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي، انظر ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1988، ص 202.**

(3) **يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توركيت اللمتوني الصنهاجي عينه الأمير أبو بكر بن عمر قائداً لجيش المرابطين في المغرب عام 461 هـ ثم تنازل له عن السلطة عام 463هـ فأتم بناء مدينة مراكش وجند الجند واستمر في الاستيلاء على المناطق وفي عام 464هـ أصدر عملة باسمه**

بلاد الأندلس[1] لهو معيار تقاس به مظاهر بطولاته العسكرية وبقدرته جهاده وكذلك تقواه كما كان رئيسهم يحي بن إبراهيم من رجالهم المرموقين وكان ذا شهرة واسعة بين الناس إلى جانب تدينه وإيمانه العميق.

وعلى أية حال كانت طباع سبوبتية أمرائهم فإنهم أدوا أعمال دولتهم تلك بحكمة موفقة حتى النهاية. ومن الناحية الدينية فيكتفي طلبهم الصادق لمن يقوم لديهم بتعليمهم أصول دينهم ذلك دليل واضح عن إيمانهم العميق حينما ترسخ في نفوسهم الإسلام، ونرى ذلك في إطاعة أعظمهم عبد الله بن ياسين والتفافهم حوله والعمل طبقاً لمواعظه ورباطهم بجانبه مما جعل هذه الدولة المسلمة تدعى باسم دولـــة المرابطين[2] أيضاً. وعلى إثر ما تجمع قدر ألف رجل منهم ونصحهم

خاصة بدولة المرابطين ولقب نفسه باسم (أمير المسلمين) وقد كون يوسف بن تاشفين قوة عسكرية قوية جعلته يخضع القبائل المجاورة وأن يجتاز بها مضيق جبل طارق لنصرة دولة الطوائف وينتصر على الأسبان في معركة الزلاقه الشهيرة عام 481هـ، فمدحه الشعراء وأثلج عمله قلوب المسلمين في أنحاء المعمورة، كان رحمه اله ورعا تقيا يخشى الله وينهى عماله عن الظلم محبا للعلماء والفقهاء والشعراء، ضم ديوانه خيرة الكتاب وعلى راسهم الأديب الأندلسي عبد الرحمن بن أسباط الذي كان= =يتقن العربية والتارقية، ثم تولى الكتابة له محمد بن سليمان بن القصيرة الذي لقب بالوزير الكاتب الناثر وهكذا استطاع يوسف بن تاشفين أن يوحد الأندلس والمغرب في دولة قوية حمت جناح العرب والمسلمين ردحا من الزمن، للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملتقى، لبنان – بيروت، 1997م، ص 211.

[1] الأندلس : قيل أن اسمها في القديم آساريه ثم أطلق عليها باطقه ثم اشبانية من ثم سميت بالأندلس وتقع جنوب أسبانيا وتخترق جبال سير امنفادا وسيرامورينا ونهر الوادي الكبير ومناخها شبه مداري وبعض أجزائها تمتاز بتربة خصبة فتنتج الحبوب والفواكه، للمزيد انظر البكرى، أبو عبد الله، المسالك والممالك، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، (د–ت)، ج 2، ص 841.

[2] دولة المرابطين : أسس المرابطون دولتهم في الجهة الغربية من الصحراء الكبرى على أكتاف ثلاثة قبائل صنهاجة هي لمتونه، وجدالة ومسوفه بقيادة عبد الله بن ياسين وإبراهيم الجدالى عام

بالجهاد وهناك انطلقوا مندفعين للمواقع المعينة في قلاوى وسوس واغمات في سهول المغرب وبعد فترة قصيرة قتل ابن ياسين في المعركة عام 1057 للميلاد وبوفاته انتقلت الإمامة الروحية إلى شخصية أخرى وهو سليمان بن كرَو أما رئاســة الدولة فتولاها يحي بن عمر بن تلاتاكين[1] من قبيلة لمتونــه وبعده تولى أخوه أبو بكــر بن عمر اللمتونى[2] وكان في ذلك الزمن يقوم بمهام قيادة

427هــ / 1035 إفرنجي وبذلك وجهوا جهودهم لنشر الإسلام في السودان الغربي محاولين إسقاط إمبراطورية غانا الوثنية والاستيلاء على مدينة أدغسن وفعلا تمت لهم السيطرة عليها عام 446هــ/1054إفرنجي، إلا أن هذه الانتصارات لم تدم طويلا فموت أبى بكر عام 480هــ/1087إفرنجي واختلاف رفاقه فيمن يحكم بعده واهتمامهم بأحداث المغرب الأقصى جعلت المرابطين يتخلون عن العمل الذي نهضوا به وراء الصحراء، للمزيد انظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، الدار البيضاء : دار الكتاب، 1054ف، ج 2، ص 5 .

(1) هو يحي بن عمر بن تكلاكين اللمتوني، كان رئيسا لقبيلة لمتونه ولما توفي يحي بن إبراهيم رفضت كداله الانصياع للشيخ عبد الله بن ياسين فاعتزلهم في جزيرة عند مصب نهر صنهاجة (السنغال) لا تزال موجودة حتى الآن وتلاحق به المؤمنون بدعوته ومن ضمنهم يحي بن عمر وأخوه أبو بكر، ولما كثر عدد المجموعة التي أسماها عبد الله بن ياسين بالمرابطين وبلغوا آلفا من المريدين قال لهم عبدالله كلمته المشهورة (لن تغلبوا من قله) فخرجوا لمقابلة القبائل الرافضة للزكاة والتي لم يستقيم فيها أمر الدين ووصلوا إلى أطراف الساقية الحمراء ومنطقة درعه وقاتلوا رئيسها (مسعود بن انودين) فهزموه واستولوا عليها ووصلوا زحفهم إلى سجلماسة فاستولوا عليها وفي هذه المعارك قتل الأمير يحى بن عمر عليه رحمــه الله عام 447هــ - 1055م، للمزيــد انظر محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، ص210.

(2) هو أخ يحي بن عمر زعيم لمتونه ومن المؤيدين لحركة الشيخ عبد الله بن ياسين الإصلاحية فقدمه هذا الأخير للإمامة بعد وفاة أخيه وأصبح قائداً لجهاد المرابطين، واندفع شمالاً بقواته حتى وصل إلى درعة وسجلماسة واغمات عاصمة جبال الأطلسي، المحققة.

جيش المرابطين في درعة[1] وبسلجماسه واغمات في جبل أطلس ففي تلك الأثناء وصل خبر إلى تلس مفاده أن قتالاً قد اندلع بين مسوفه ولمتونه من جديد. فقرر العودة إلى الصحراء وعين ابن عمه يوسف بن تاشقين نائباً عنه في بلاد المغرب بتاريخ 462هـ وفي سنة 465هـ كان أبو بكر قد فرغ من تهدئة القبائل التي جد القتال بينهما فتركها في حالة وئام كامل. وعاد بعد ذلك إلى المغرب. فوجد يوسف قد فرض سيطرته على كامل بلاد المغرب وقبائل أبو بكر في هيئة الملوك وقد كان أبو بكر بن عمر عليه أن يأمر يوسف بالتنازل له عن الإمارة وتلك الحاكمية التي وده عليها وبعد أن رأى أبو بكر أن لا مناص له من التنازل فقد تنازل عن السلطة أمام جمع من الفقهاء وذوى الوجاهة من الناس وانسحب بحذر إلى الصحراء.

ولما كانت حملات المرابطين لا تخلو من عوائق التي لم تأت من المقدمة بل هي جاءت من الصحراء ذاتها وكانت أسباب ضعف المرابطين ومن حيث الأساس ذلك هو عدم القدرة على السيطرة الفعلية على قبائلهم التي اعتمد على اتحادها الذي تبين أنه كان معلول النسج بصورة واضحة وكان تسامحهم أيضاً مما له دخل في متاعبهم الكثيرة فلولا حكمتهم لم يكونوا على رأيه ولما وصلوا إلى ما أحرزو عليه من شهرة من بداية حكومتهم وإلى النهاية[2].

---

[1] درعة : مدينة مغربية ضمن إقليم السوس ذات خيرات منذ أقدم العصور حيث كان يجري فيها نهر من الشرق إلى الغرب وينبع من جبل درن وعلى هذا النهر تزرع الفواكه من نخيل وزيتون وغيرها وشجرة الحناء التي كانت منتشرة في درعة وتجلب إلى المناطق المجاورة، للمزيد انظر مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق : سعد زغلول، الدار البيضاء (د – ت)، ص 206.

[2] الصواب : وإلى نهايتها.

ويبدو أن دولة المرابطين لم تكن تمثل سوى قبائل طوارق غرب الصحراء أما قبائل الشمال والجنوب من الصحراء فلم يشملها الاتحاد المرابطي.

أمن الطوارق واستقرارهم عبر التاريخ

أن الطوارق كغيرهم من أمم القبائل الأخرى لذلك فإنه ما من شك في أنهم مروا مثل ما مرت به تلك الأمم وهذا يجعل الباحث في الموضوع يشعر بمدى تمتعهم بالاستقرار والهدوء في وطنهم الواسع اكتشف بسهولة أنهم قد تمتعوا خلال فترات من الزمن بهدوء واستقرار وبرخاء شامل في ما يتضح له أيضا أنهم قد تحملوا مرارة محن كثرية[1] خلال قرون طويلة[2] يستحيل تعاقبها وهي تحمل راية السلم والهدوء كاملة، وذلك أن من سلوكها هي بالذات أو من تصرفات أقوام آخرين بجوارها من ذلك غزواتهم للدولة الرومانية وإقلاقها المستمر في المدن الشمالية وتصديهم العظيم للحملات التي نظمها الرومان وهزيمة اثنتيى منها نكراء حتى سقطت دولتهم الجرمنتية وعاصمتهم جرمة وغدامس من قبلها على إثر حملتها الثالثة – مما حدى بالطوارق الانتقال من أساليب الغزو إلى أساليب الدفاع عن الأرض وكانت أرضهم الحليفة الوحيدة لهم والقوة التي لا تقهر والتي وقفت معهم في حرب الرومان ومن تلاهم مما جعلهم قابعين وراء تحصيناتهم ولم يكن باستطاعتهم تجاوز خلال واحات فزان إلا بقدر

---

[1] الصواب : كثرة.

[2] وقعت نزاعات عدة الطوارق الامنان والامنغستن وكيل اظباب اطيان الأفوغاس. فطيب الأوراغن خواطر الأهالي التعساء وحققوا الصلح ومن الواضح أن الأوراغن قد لجاوا إلى القوة في تدخلهم إذا أن منطقة جانت قسمت إلى ثلاثة أقسام حصل الامنان على قسم والامنغستن على القسم الثاني وصار القسم الثالث إلى الأوراغن وفي الوقت ذاته أصبح ملكهم ملك الطوارق لان امنان تعني الملكين إلا أنهم لم يتخلوا عن حقهم القديم بهذه السهولة فقد وقعوا في نزاع مع الأوراغن على مدى أربعين سنة إلا أن بسالتهم ظلت دون جدوى وكان الحظ ضدهم وانسحبوا نحو الهقار حيث بقوا سنة ونصف وبعد ذلك اتفق الأوراغن معهم على الصلح، للمزيد انظر عماد الدين غانم، الدواخل الليبية، في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب آدولف كراوزه، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 82.

ما وافقت به حكومة جرمة ومساعداتها لحملتي الرومان إلى جبال تبستي وإنما إذا صح الخبر وإن ما قاله الطبيب اليوناني اتانايوت عن اجتياز أحد التجار القرطاجيون[1] الصحراء إذا لم يكن مستغربا أن عبور الصحراء لا يمنع عن أحد بوصفه تاجرا ولكن بوصفه غازيا وبقوة عسكرية فلم يكن ذلك طالما كانت السيطرة على القوافل ومن فيها للسكان الأصليين فقط في كامل جهات الصحراء كما كانت الحال في تجارة الفينيقيين إذا صح القول على أنهم قاموا بعبور الصحراء كتجار.

وهكذا ونحن بصدد الحديث عن أمن هذا الشعب وهدوئه فإنه ما من شك في أنه قد تعرض لكثير من الشدائد عبر القرون نتيجة عداوات ومشاكل جرت إليه بطبيعته[2] حروب طاحنة ومصائب مؤلمة لاسيما تلك التي جاء بها القرن الحادي عشر ميلادي منذ أن وطئت أقدام قبيلتي بني هلال وبني سليم العربيتين والبدويتين أرض الشمال الأفريقي والتي عرفت بفوضوية بالغة لا مثيل لها مما جعل المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون يشبهها بالجراد الذي يأتي على كل شئ ويدمر كل شئ حيث وقعت حروب طويلة بين أحفاد أولئك وبين شعب الطوارق كانت عنيفة وشديدة على الجانبين للغاية حتى تهادن الطرفين زمنا، ولكن جاء حاكم فزان المنتصر بن محمد الفاسي بتحريض أولئك البدو بأن يقوموا بغزو هذا الشعب بهدف إضعاف الطوارق والحد من سيطرته القديمة الموروثة على فزان والصحراء وعلى رسالته مختلفة رغم أنها مقدمة إليه من سكان إدرى بالشاطئ وقد وافق أولئك الأحفاد مقابل منحهم أراضي بذلك الوادي ومتذرعين بالعداوة السابقة وعلى نسج أسلافهم ولقد استمرت المعارك تتلو بعضها مسفرة على

---

[1] الصواب : القرطاجيين.

[2] الصواب : بطبيعة.

السلب والنهب ومن بينهما معركة العاقولة والتي تحملت فيها قبيلتي ايمنان وايمنغساتن تضحيات كبرى من الرجال والأموال وفي أثناء تلك المعارك الدامية تمكن المنتصر بن محمد من أسر فتاة من قبيلة إيمنان وتزوج منها المسماة قودة ولت شروما ولم تخمد نار الحرب من ذلك الزمن إلى وقت قريب إذا مررت أحفاد هؤلاء من أسلافهم البدو تلك الاضطرابات وواصلو بعضها ببعض من العرب وهي قبائل الشريدات والأرياح والحساونة وأولاد أبو سيف ومرغمة وأولاد شهيدة وقبائل الشعانبه[1] الذين استوطنوا بادية وادي سوف وورقلة ومنيعة وتأتي غزوات من أولئك العرب الذين استوطنوا بواحات قوات من قبائل أولاد باحمو وأبدقنات وأولاد جرير والبرابيش والكونتاويين والمشاكرة ومن سائدهم من قبائل أخرى ولأسباب تعدد هذه العداوات ومصادر الغزوات واختلاف جهتها جعل أمر رقابتها والتنبأ[2] بها مقدماً وأخذ الحيطة منها أمر شاق ويستحيل في كثير من الأحيان ومع هذه العوامل المضادة فإن الطوارق أكدوا على جدارتهم في الصمود في وجهها ذلك ما مكنهم من الخروج منها بانتصارات رائعة سجلها لهم التاريخ واصفاً إياها بانتصارات عظيمة وبطولات لا يمكن تجاهلها.

وما من شك في هذه الحروب الناشئة عن عدوات طويلة الأمد بأن تكون الانتصارات فيها سجالاً بين المتحاربين في كل حال.

كما أنها لم تكن لتخلو من فترات صلح مهادنات ثم سرعان ما تعقبها حالات مماثلة أو هي أشد وأمر، ولكن نراهم ثوابت العزم وشديدو البأس

---

(1) **الشعانبه من القبائل العربية التي وقفت ندا لقبائل البرابيش وقد أغارت على آزلاى محمود بن محمد وذهبوا الكثير من المؤن والحيوانات وقتلوا خلقاً كثيراً من البرابيش، للمزيد انظر عروة بن سيد محمد الحبيب، تاريخ اروان، مخطوط مكتبة المحققة، ورقة 10، مجهول، نبذة من تاريخ جنى، مخطوط، ورقة 7.**

(2) [illegible]

والمراس كلما هبت تلك العواصف والنيران الساعية إلى فرض سيادتها ومد نفوذها على بلادهم إذ لازالت معالم تلك الصراعات تشاهد واضحة ومواقعها معروفة حتى اليوم ولم تتوقف هذه العداوات على مدى قرون من الزمن ولم تخمد نار حروبها فلم تهدأ جهة بصلح حتى تفاجأ المنطقة بغزوات جهة أخرى وهكذا إلى أن جاء منتصف القرن التاسع عشر لإنهاء هذه الأحوال والحق يقال ذلك عن طريق احتلال الدول الأوروبية للمنطقة كلها.

إن تلك القبائل التي جاء ذكرها في هذا الكتاب كانت معادية للطوارق وهي من قبائل العرب والمتسعربة والمقيمة بأفريقيا والتي ناصبت عداواتها المستمرة الدائمة للمجتمع الطارقي وقبائله في الشمال والوسط والجنوب من الصحراء الكبرى[1].

1- الشريدات : وهي قسم من أولاد سليمان الذين استعربوا وهم من قبيلة الكنانة التي كانت منازلها الأصلية بواحات توات وهاجر منها قسم إلى طرابلس الغرب حيث أقامت ببادية سرت والهاروج وفزان وهاجرت إلى بلاد البرنو وكانم بعد إعدام رئيسها عبد الجليل الأكبر 1842م من جانب الأتراك.

---

[1] أن التوارق لطمعهم وحرصهم على سلب أموال القبائل المجاورة سواء كانت من جنسهم أو من التبو أو من العربان والعرب (المقارحة والشريدات والحطمان ....) وغيرهم فهم في حالة حرب دائمة تقريبا مع شعوب الصحارى والغزو هوايتهم فرغما على ما يتكبدون في ذلك من مشاق وتضحية وتعريض أموالهم للنهب والسلب عن طريق خصمائهم وما يواجهون من جراء ذلك من حالة القلق وعدم الطمأنينة لا ينتهون من الغزو ولا يعدلون عنه لأن الغزو عمل مستحسن عندهم بشكل يشكل ركنا رئيسا في حياتهم الاجتماعية فهم منذ نعومة أظفارهم يستمعون إلى حكايات الغزو والإنصات لمناقب إبطاله= =فيشبون ويشيبون على حياة الشقاوة هذه يعدونها بطولة ومهارة، للمزيد انظر عبد القادر جامي، المرجع السابق، ص 192.

2- رياح : وهي قبيلة ترجع في أصلها إلى بطن علاق بن عوف بن سليم بن منصور من القحطانية،. كانوا يقيمون بأفريقيا الشمالية[1].

3- حساونة : هي قبيلة عربية فالغالب على الظن أنها منحدرة من حسان بن معاوية وهي بطن من كندة من القحطانية. وهم : بنو حسان بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، قد هاجر قسم منها إلى أفريقيا الشمالية ضمن الهلاليون وبنى سليم[2].

4- أولاد يوسف : هي قبيلة من صنهاجة فرع من كنانة[3].

5- ورعمه قبائل من الجنوب التونسي منها أولاد شهيوة وأولاد دباب وهم من قبائل العرب من أولاد سليم القحطانية.

6- الشعانبه : قبائل من العرب بطن من علاق بن عوف بن سليم بن منصور القحطانية كانوا يقيمون بأفريقيا الشمالية.

7- أولاد باحمو : هي قبائل عربية أو مستعربة تقطن في واحات توات.

8- ايدقنات : هي قبائل متحالفة مع أولاد باحمو وبنويو خواخه من الزوا أولاد سيدي الشيخ ومن أشعارهم.

9- أولاد جرير : هم أقوام من العرب سكنوا الصحراء الغربية وساحل الأطلس منذ القرن الرابع عشر وما تلاه وهم أحفاد للهلاليين وبني سليم وهم بطن من القحطانية[4].

---

(1) هنرى دى اوغسطين، معجم القبائل، ترجمة خليفة التليسى، د ت، ص 457.

(2) نفس المصدر، ص 270.

(3) نفس المصدر، ص 25.

(4) هنرى دى اوغسطين، معجم قبائل العرب، ص 35.

10- قبيلة البرابيش : هي قبيلة من العرب سكنت بعد زحفها من الشمال إلى الجنوب بصحراء الغرب شمال الضفة الشمالية لنهر النيجر.

11- الكونت : قبيلة استعربت بعد أن كان أصلها بربرية من صنهاجة.

12- المشاكرة : هي قبيلة من منطقة تاملالت بالمغرب الأقصى بربرية استعربت بعد أن استقرت ببادية آير.

13- عرب الساحل : وهي قبائل تسكن بساحل الأطلس ومما يعرف بالساقية الحمراء وما يقال له الصحراء الغربية اليوم.

فبطبيعة[1] الحال لم يكن هؤلاء الأحفاد في الميدان الحربي العدواني وحدهم فقط، وإنما كانت تساندهم أحفاد من قبائل أخريين[2] من العرب السابقين الذين وصلوا الشمال الأفريقي خلال القرن السابع الميلادي أثناء الفتوحات العربية.

وإذا نظرنا لاشتداد ودوام تلك العداوات من هؤلاء إلى عهد قريب عرفنا بصفة جلية مدى ما كانت عليه من تناقض مع ما كتبه أوائل العرب أنفسهم في هذا الخصوص.

فلو كانت هناك علاقة عرقية سابقة بين البربر أو الطوارق من جهة وبين القبائل العربية أو بالاحرى اليمنية من جهة ثانية لما كان هذا العداء أن يصل إلى هذا الوصف من أحفاد القحطانيين والعدنانيين وأجدادهم.

---

(1) الصواب : فطبيعة.

(2) الصواب : أخرى.

والذي ثبت بشهادة العرب أنفسهم هو أن : العرب دخلوا الشمال الأفريقي باستعمال السيوف والرماح وليس غير ذلك، وأنه ليس هناك أي اثر للتشرب لما عليه العرب أمال البربر بصفة عامة وقلبوهم ونفوسهم أيضاً طالما أن السلاح هو الفيصل الحاسم في ذلك الوقت هذا، ولست على استعداد لإقرار ما جاء في كتاب عروبة الجزائر لمؤلفه عثمان سعدى فيما قاله عن البربر وتشربهم للعرب وما كانت عليه أخلاقهم.

إذ لا يخلو حال العداوات الجماعية هذه من مغزى وليس ببعيد أن يكون سياسياً محضاً وهو : إبادة العنصر الأصيل من أفريقيا وصحرائها ذلك ما نشعر به اليوم إذ ليس هناك نوايا حسنة صادقة تجاه أية جهة من هذا الشعب وتقرير مصيره بنفسه فما بالك عن الاستقلال الذي هو حق لجميع الشعوب بطبيعتها.

وكان الرومان بطبيعة الحال لا يرتاحون إلى هذه الغارات السنوية التي تقوم بها القبائل المولعة بالقتال والتي ما كانت تعرف الولاء لسيد غير رؤسائهم.

وقد فات الرومان أن يدركوا أن هذه القبائل التي كانت تتحرك بدافع اقتصادي وأن مشكلتهم اقتصادية وليست سياسية. وكان عليهم أن يعلموا أن بدوى الصحراء يدافع حتى آخر رمق له عن حقه التقليدي في الرعي سواء أكانت[1] في الصحراء أم في المرتفعات، ولذلك حاول الرومان أن يحدوا أو يوقفوا هذا الاندفاع السنوي من الصحراء لأراضيهم. وبهذا التوجه أثاروا عداوة القبائل القاطنة في شمال الصحراء. وأصبحت الصحراء ملاذاً ومركزاً يقصده ويتجمع فيه كل الذين يشقون عصا الطاعة لروما[2].

---

[1] الصواب : أكان.

[2] فلما لم يكن يسكن المنطقة غير البربر واخوتهم ممن سموا الطوارق فإن الرومان ما كان إلا من هؤلاء، المؤلف.

ويخبرنا سالوست "أنه في أيام الاحتلال الأولى ذهب رئيس النوميديين "جوغورتا" بعد شعوره بوطأة الكبت مجتازاً الصحراء الواسعة حتى وصل "غيتولى" وهي قبيلة متوحشة غليطة الطباع وجمع جيشاً من بين صفوفها ويذكر كيف أن "تكفاريناس" بعد قرن ونصف القرن التجأ إلى الجرمنتين في ظروف مماثلة طالباً المساعدة. ولقد رأينا من جانبنا أن نقول[1] :

فعلى هذا الأساس علمنا أن الاحتمالات القائلة بانتقال فئات كثيرة من سكان السواحل نحو الجنوب أمر تؤيده حركات هذين الزعيمين. إذ لو لم تكن هناك علاقة عرقية منذ الأصل بين سكان الشمال من جهة وبين جيتولى والجرمنتين من جهة ثانية وهما من سكان الصحراء البعيدة لم تكن ترضى نفسياً[2] هذين الرجلين "جرغورتا / تكفاريناس" أن يلجئوا[3] إلى من لا تربطهم بهم علاقة عرق.

وما كان الجيتولى[4] والجرمنتين ليستجيبوا لطلب المساعدة ولكن على ما يبدو أنه أبت نوازع القرابة العرقية القائمة بين هؤلاء وأولئك إلا أن تستجيب الأطراف المطلوبة للمساعدة على الفور وبسخاء.

يذكر "بوفيل" في كتابه عن الجرمنتين قوله[1] :

---

(1) أن حركة الزعيمين (يورغويرا) و(تاكفريناس) كان لغزا واضحا في طلب العون من جيتولى وجرمانتو على العلاقة بينهم، المؤلف.

(2) الصواب : نفس.

(3) الصواب : يلجأوا

(4) الجيتول : هي قبائل صحراوية معروفة بالتوحش والنهب والسلب والتجاوز، كانوا يندفعون نحو الشمال لمهاجمة الشعوب المتمدنة في المستعمرات الساحلية وتفرعات الجيتول في القرون الوسطي القبيلتان البربريتان المعروفتان زناته وصنهاجه وقبائل الطوارق المختلفة الموجودة الآن، المؤلف.

في حوالي 450 قبل الميلاد زار الرحالة المؤرخ الشهير "هيروتس" المستعمرة التي أنشاها أبناء بلدة في شحات شمال أفريقيا، وهناك جمع قدرا حسنا من المعلومات عن مختلف القبائل في ليبيا، كما كان اليونانيون يسمون آنذاك شمال أفريقيا بهذا الاسم. وكان الجرمنتون إحدى هذه القبائل البعيدة التي كانت تسكن المنطقة التي تطابق فزان الحديثة.

ويقول : إذا أردنا اعتبار الجرمنتون[2] أسلاف سكان فزان الحاليين فيبدو من المحتمل أن يكون سكان الكهوف الإثيوبيين الذين يعيشون في الحذر هم أسلاف التبو القاطنين في تبيستي ويضيف في هذا المجال قوله:

ولا ريب في أن الجرمنتين في تجارتهم مع إقليم "ايبوريا" كان يشعرهم بالارتياح. ولكن تغيير الحكام الأجانب في ساحل سرت قد أثار لديهم النفور وروح المقاومة. كانوا قوة تجارية وما كانت لهم من اهتمامات خارج التجارة كما أنهم لم يسمحوا للمسائل السياسية بالإخلال في سير التجارة.

وقد أدى ذلك إلى أن يصبحوا قوة عسكرية منيعة الجانب، وكانت تعتبر سيطرتها[3] الإدارية الوثيقة ذات أهمية بالغة وأن قبائل الساحل التي كانت قد قبلت سيادة الجرمنتين الأقوياء صار عليها الآن أن تحنى رؤوسها للحكام الأجانب، وإذا لم يوضع حد فعلى قطعان وماشية الجرمنتين بالهجرة الموسمية التقليدية من الصحراء إلى أراضى الهضاب فذلك ناشئ بطبيعة الحال عن عدم القدرة على منعهم والإذعان للسلطة المحلية.

---

[1] يبدو من هذا أن الجرمنتين هم احدى هذه القبائل الشمالية إلا أنهم رحلوا من الشمال إلى الجنوب. المولف.

[2] الصواب : الجرمنتين.

[3] أن استنكار الجرمنتيون لوجود حكام خارجيين أمر طبيعى فى بلادهم الشمال. المولف.

في حوالي 450 قبل الميلاد زار الرحالة المؤرخ الشهير "هيروتس" المستعمرة التي أنشاها أبناء بلدة في شحات شمال أفريقيا، وهناك جمع قدرا حسنا من المعلومات عن مختلف القبائل في ليبيا، كما كان اليونانيون يسمون آنذاك شمال أفريقيا بهذا الاسم. وكان الجرمنتون إحدى هذه القبائل البعيدة التي كانت تسكن المنطقة التي تطابق فزان الحديثة.

ويقول : إذا أردنا اعتبار الجرمنتون[2] أسلاف سكان فزان الحاليين فيبدو من المحتمل أن يكون سكان الكهوف الإثيوبيين الذين يعيشون في الحذر هم أسلاف التبو القاطنين في تبيستي ويضيف في هذا المجال قوله:

ولا ريب في أن الجرمنتين في تجارتهم مع إقليم "ايبوريا" كان يشعرهم بالارتياح. ولكن تغيير الحكام الأجانب في ساحل سرت قد أثار لديهم النفور وروح المقاومة. كانوا قوة تجارية وما كانت لهم من اهتمامات خارج التجارة كما أنهم لم يسمحوا للمسائل السياسية بالإخلال في سير التجارة.

وقد أدى ذلك إلى أن يصبحوا قوة عسكرية منيعة الجانب، وكانت تعتبر سيطرتها[3] الإدارية الوثيقة ذات أهمية بالغة وأن قبائل الساحل التي كانت قد قبلت سيادة الجرمنتين الأقوياء صار عليها الآن أن تحنى رؤوسها للحكام الأجانب، وإذا لم يوضع حد فعلى قطعان وماشية الجرمنتين بالهجرة الموسمية التقليدية من الصحراء إلى أراضى الهضاب فذلك ناشئ بطبيعة الحال عن عدم القدرة على منعهم والإذعان للسلطة المحلية.

---

[1] يبدو من هذا أن الجرمنتين هم إحدى هذه القبائل الشمالية إلا أنهم رحلوا من الشمال إلى الجنوب. المؤلف.

[2] الصواب : الجرمنتين.

[3] أن استنكار الجرمنتيون لوجود حكام خارجيين أمر طبيعي في بلادهم الشمال. المؤلف.

كانت قوة الحكام الرومانيين تثير بلا ريب سيلاً من الشكاوي كما كانت تدعو سكان الساحل المستعدين إلى طلب المساعدة والحماية من جيرانهم الأقوياء في الصحراء، ولم يظهر القرطاجيين[1] أبداً الجرمنتين أنهم[2] دولة منافسة لهم ولكن الرومان من الجهة الأخرى لم يكتفوا بجعل أنفسهم قوة منافسة فقط بل أرادوا أن يكونوا السلطة الوحيدة في المنطقة وبالتباس إلى شعب عظيم مثل الجرمنتين الذي لم يجرؤ أحدٌ على تحدى مركزهم الفائق في شرقي الصحراء، وكان تغير الحكام في الساحل أمر لا يطاق.

وليس معروف على وجه التحديد أو الدقة متى تصدعت العلاقات بين الرومان والجرمنتين، ولكن الرومان وجدوا أنفسهم مرغمين عند أواخر القرن الأول قبل الميلاد على أن يقوموا بما يمكن أن يعد حملة على جانب من الخطورة ضد فزان.

ويقول : كانت الحملة بقيادة نائب القنصل "الحاكم العسكري" "وسيوس كورنيليوس بالبس" من أهالي أسبانيا.

لقد أخذ الجرمنتيون على غفلة ونجحت الحملة في إخضاع فزان، وقد تم الاستيلاء على مدن عديدة منها جراما "جرمة" العاصمة، ووراحة سيداموس غدامس" البعيدة المهمة التي تقع في بلاد الجرمنتين أيضا. ومن بين الأماكن التي تم الاستيلاء عليها وذكرها "بليفى" جبل جيري الذي تستخرج منه الأحجار الثمينة، ومن سوء الطالع أن موقعه قد ظل غير معروف حتى الآن.

---

[1] الصواب : القرطاجيون.

[2] الصواب : أن الجرمنتين.

جاء في الفصل الرابع من كتاب "تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير" لمؤلفه "بوفيل"[1] تحت[2] "الطوارق والشعوب الصحراوية الأخرى"[3] قوله :

أن هذا الجزء من العالم مأهول على وجه الخصوص بالأفارقة أو المغاربة بعبارة أدق، والآخرون من بينهم المغاربة البيض أو السمر، والمغاربة الزنوج أو السود.

في القرن السابع الميلادي، وقبل أن يغزو العرب شمال أفريقيا كانت الصحراء يقطنها صنفان متميزان من الناس : صنف ذو بشرة داكنة أو زنجية، وصنف ذو بشرة فاتحة اللون.

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن جماعات زنجية من العصر الحجري الحديث قد أخذت بالانتشار من السودان قبل حوالي خمسة آلاف سنة وهي تتجه نحو الشمال على طول الصحراء التي كانت آنذاك خصبة نسبياً. ويشير المؤلفون القدامى، ومنذ زمن هيرودتس إلى "الإثيوبيين" وهي كلمة يونانية تعني حرفياً الناس "ذوى الوجوه المحروقة"، وأنهم يسكنون الأراضي الواقعة جنوب ليبيا أو جنوب أفريقيا الشمالية. ومازالت بعض الجماعات من ذوى البشرة الداكنة تتواجد حتى الآن بين سكان الصحراء الحاليين.

ومعظم المراكز الزراعية في النصف الجنوبي للصحراء مازالت مأهولة بالناس غالبيتهم من الأقوام الزنجية تعرف باسم الجوجان والفزانيين أو الدواديين

---

[1] حتى نعلم أن الغرب هو منطقة مأهولة بجميع ألوان البشرة من السكان. المؤلف.

[2] يجب زيادة كلمة عنوان.

[3] تدل الشواهد التاريخية أن الطوارق قد عاشوا متحدين في دولة كبيرة في الصحراء الكبرى أن قبائل كودالا وهي جدالة ومسوفا ولامتا لمتونه وتارغا التي عاشت الصحراء الكبرى إلى القرن التاسع الهجري قامت من بينهم قبيلة لمتونا بأعباء الحكم وحكمت جميع القسم الصحراوي إلى نهر النيجر. المؤلف.

في القسم الشرقي والوسط من الصحراء، وفي الغرب يعرفون باسم "الهارانيين" وفي مجتمع الواحات يشغل الهاراتيتون مركزاً متواضعاً فهم يعملون مقابل حصة من الناتج في مزارع الملاك الذين هم دائماً تقريباً من البيض، ويغلب أن يكونوا من البدو المولعين بالقتال، ولكنهم يعتبرون صنفاً يختلف عن العبيد أو الرقيق وكان يظن غالباً أن الهارانتيس ينحدرون من سلالة الرقيق الزنوج جاء بهم سادتهم البربر إلى الواحات، وأنه من المحتمل أن يوجد أرقاء زنجيون بين أسلافهم، على أن الهارانتيس ليسوا من أصل رقيقي فقط، بالرغم من حيازتهم على بعض الملامح الزنجية في بشرتهم الداكنة وشعرهم المفتل.

فإن شكل أنوفهم ووجوهم لا يشبه غالباً ما يميز زنوج السودان، كما أن فصيلة دمهم تختلف تماماً عن أي فصيلة من الأقزام في الغابات المطوية في غربي الكونغو.

ويمكن أن يورد على نحو غير نهائي أن الهاراتنيس يجمعون ضمن أسلافهم أناسا من الأصول الزنجية التي سكنت الصحراء خلال العصر الهجري الحديث.

والقوم الآخرون ذوى[1] البشرة الداكنة هم التبو الذين يسكنون الجزء الرئيسي من جبال تيبستي وقسماً كبيراً في جنوبها، ومن حيث لون البشرة يعد التبو على العموم ذوى بشرة داكنة جداً من جميع الوجوه وتختلف فصيلة دمهم اختلافاً ملحوظاً عن الهارنتيس، وعن زنوج السودان، ولكنها تشبه كثيرا فصيلة البربر حتى قيل : أن التبو يرجعون إلى أصل من البربر[2]. على أنه من الناحية

---

[1] الصواب : ذوو.

[2] يجب زيادة الجملة هذا من ناحية.

الأخرى[1] فإن لغتهم تتعلق بعائلة لغوية تختلف كل الاختلاف عن لغة البربر. وإذا سلمنا بهذه المتناقضات فإن التبو يمثلون أكثر أقوام الصحراء إبهاما.

وكان السكان ذوو البشرة المفتوحة اللون الساكنون في أفريقيا الشمالية يعرفون لدى اليونان باسم الليبيين. وأشار إليهم الرومان من بعد باسم البرابرة، واقتبس العرب هذا الاصطلاح واستعملته من بعد أوربا. ويتبين من هذا أن كلمة البربر أطلقت على السكان المحليين في إقليم باربرى.

أن الجماعات المنحدرة من أصل بربري لم يقتصر تواجدها على الشمال الأفريقي فقط – تونس – الجزائر – المغرب بل وجدت كذلك في القسم الغربي والوسط من منطقة الصحراء اليوم في مجموعة الساكنين في الصحراء من ذوي البشرة الفاتحة اللون بين الناطقين بالعربية والناطقين بالبربرية، وبعض الذين يتحدثون العربية كجماعة شامبا مثلا فهي قبيلة من البدو تسكن القسم الشمالي من الصحراء تحدرت[2] من سلالة عربية دخلت شمال أفريقيا من الشرق خلال القرون التي تلت الفتح العربي، أما الجماعات الأخرى الناطقة بالعربية فهي قبائل منحدرة من أصول بربرية تأثرت بنحو بالغ بالنفوذ العربي، والعديد من القبائل التي تسكن الصحراء الغربية، والتي يطلق على مجموعها اسم المغاربة تنسب إلى هذا الصنف.

وتوجد بين الذين يتحدثون اللغة البربرية في منطقة الصحراء جماعات مختلفة منها سكان غدامس، وفزان ومنها نقطة نائية ومنعزلة تتكلم البربرية يطلق عليها اسم هبدابل حسن تسكن جنوب موريتانيا، على أن جماعات البربرية الغالبة تتألف من الطوارق، ويتواجد الطوارق في الوقت الماضي ضمن عدد من

---

[1] الصواب : ومن ناحية أخرى.

[2] الصواب : انحدرت.

الاتحادات القبلية التي تمتد أراضيها من غدامس وعين صالح في شمال الصحراء إلى النيجر، وجنوبها وتغطي منطقة جبال الهقار وأيروامرارني فوغاس. وهذه الاتحادات أو التحالفات تقسم سياسيا إلى قبائل تتفرع إلى أفخاذ وتقسم هذه إلى بطون.

ومن الناحية الاجتماعية يقسم السكان البدو إلى ثلاث طبقات رئيسية : الطوارق الإشراف، والأتباع والرقيق والزنوج، وتسمى لغتهم التماهق، وهي لهجة من اللغة البربرية والحروف التي يكتبون بها هي التيفناغ المقتبسة جزئيا من الألف الباء الليبية القديمة.

ومن أبرز ما يميز الطوارق هو عادة رجالهم في ستر الوجه وترك العيون فقط مكشوفة، وقيل الكثير في تفسير الأصل لهذا اللثام. فقد ذهب "هنرى بارث" مثلا إلى الظن بأن تصميمه بها جاء مقلدا شكل خوذة فرسان القرون الوسطي، على أنه لم يقدم حتى الآن تفسيرا مقنعا بشأنه، ومن المحتمل أن اللثام قد دخل استعماله بين عام 10 بعد الميلاد، ولم يورد المؤلفون القدامى والبيزنطيون شيئا عن اللثام في كتاباتهم عن القبائل الليبية، ولكن البكرى كتب في القرن الحادي عشر مبينا أن جميع قبائل الصحراء ترتدي اللثام، ويورد الكتاب القدامى قدرا حسنا من المعلومات عن القبائل القاطنة في المنطقة الوسطي من الصحراء. فقد أشار بطليموس الجغرافي الأسكندراني، وهو من كتاب القرن الثاني الميلادي إلى الجرمنتين والناتسامبين والماكورنيين والفاروسيين. وقد اعتبر الناساميون مطابقين للنتسايين والماكوريين للماقوريين والناروسيون والفاروسيين. فهذه الأسماء الحديثة مازالت تطلق على بعض القبائل أو الفروع

القبلية بين الطوارق وتوحي الأدلة من هذا القبيل أن سكان الصحراء الوسطي لم يصبهم تغيير يذكر خلال الــ1800 السنــة الأخيرة[1].

والطوارق في الوقت الحاضر مسلمون، ولكنهم يحتفظون بالعديد من العقائد المرتبطة بدين سابق، وكان العرب يسمونهم أحياناً بمسيحي الصحراء، وتوجد بعض الدلائل التي توحي باحتمال تأثرهم بالمسيحية في بعض الفترات من تاريخهم. وتشتمل[2] لغتهم على عدد من الكلمات التي قد يكون لها أصل مسيحي. فكلمة ميزى تعني الله وكلمة انجيلوش تعني الملك، وهاتان الكلمتان مثلان بارزان. كما أن أسماء السمؤال وداود وشاءول وهي لا تستعمل إلا نادراً عند العرب في أفريقيا نجدها شائعة عند الطوارق. على أنه من الناحية الأخرى ليس في انتشار شكل الصليب المتكرر في الكثير من المصنوعات اليدوية أية دلالة على مسيحية خاصة، لأن هذا الشكل نفسه موجود في جميع أنحاء أفريقيا حتى زمن الفتح العربي، وفي القرن السادس تحول الجرمنيتون في فزان إلى المسيحية على أن تحولهم هذا كان عملاً سياسياً بحتاً. ومن المعقول الافتراضي أن بعض قبائل الطوارق قد كان لها شئ من الاتصال بالجماعات المسيحية قبل الفتح العربي[3].

---

[1] أن أغرب شئ وأجلب للنظر في لباس الطوارق غطاء الرأس عند الرجال وخمار الوجه الذي يضعها الرجال بعد الزواج يسترون به وجوههم ويتلثمون بلثام أزرق سمونه (توكيولموست) ويضعون فوقه نقابا شفافا من الشاش يقولون له (اشاش) واستعمل الطوارق اللثام غطاء يوضع على الوجه ولا يظهر منه إلا محاجر العيون واستعملوا الطوارق اللثام لاتقاء حر الصيف وبرد الشتاء والغبار الذي تثيره العواصف الرملية التي تثور في الصحراء بين الحين والآخر، بل أن ابداء الوجه عند المتلثمين كإبداء العورة لأنهم معرفون بالتأنق والحياء، والذي لا يتلثم منهم وهو نادرا يطلقون عليه أفواه الذباب أي بمعنى عدم التلثم يسمح بدخول الذباب إلى الفم، للمزيد انظر عبد القادر جامي، المرجع السابق، ص **170**، د. جيمس ريتشارد سن، ترحال في الصحراء، ص **434**.

[2] الصواب : فقد اشتملت.

[3] كان دين صنهاجة أهل اللثام المجوسية مثل برابرة المغرب حتى كان أسلافهم فتح الأندلس وكداله ولمتونه أخوان يجتمعان في أب واحد وأول المجاهدين منهم الفقيه عبد الله بن ياسين، للمزيد

لكل مجتمـــع ماضـــى وأمجـــــاد

ولكل مجد تضحية وجهاد

ليس من شك أن الجميع يعلمون كثيراً عن مراحل جهاد الطوارق في نضالهم ضد الاحتلال الأجنبي لبلادهم. ذلك الاحتلال الذي بليت به شعوب القارة الأفريقية كلها.

غير أن المهتمين بتقصى الأحداث في تلك الأزمنة قد لا يجدون في كتب التاريخ التي تناولت هذا الموضوع ما يشفى غليلهم من أدلة مادية لمعرفة أسباب تلك الحروب الأبادية التي ذهب ضحيتها أعداد هائلة من البشرية دون ما يبرر هذه الأسباب التي أبى جملة الأعلام الفرنسيون إلا أن يتغاضوا عن إيضاحها وعملوا على تشويه حقائقها وذلك لتبرير خطة بلادهم التوسيعة لاسيما أولو النزعة العسكرية[1].

انظر محمد السالك ابن اخى التنواجيوى، فوائد من غبار الأخبار، مخطوط، ورقة 13، وكادى درامى، صحراء جمهورية مالى وشعرها العربي، مخطوط، ورقة 10.

[1] **لم يكن الطوارق منفصلين عن أمتهم العربية وخاصة في الشمال الأفريقي، كما أنهم لم يكونوا جزءاً منفصلاً عن أخوانهم وجيرانهم العرب في ليبيا والجزائر وموريتانيا تلك المناطق التي يطلون عليها من صحرائهم بل وتنتمي إليها جل قبائلهم وبقدر ما هم مرتبطون بالشمال الأفريقي نجد أيضا نقاط تمسهم مع الجنوب يتأثرون بها سواء في نيجيريا وتشاد وبوركينا ومالى والنيجر. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ الفرنسيون يتوغلون داخل أفريقيا الغربية متخذين من بعض الأفارقة عونا لهم خاصة من بلدان الساحل المطلة على المحيط الأطلسى كالسنغال وغينيا وساحل العاج وغيرها مصعدين شمالا وشرقا نحو الصحراء وقد انحدر الفرنسيين من الجزائر باتجاه الصحراء بعد أن حطموا المقاومة الجزائرية وما أن وصلوا الفرنسيين إلى أرض الصحراء الكبرى حيث يقيم الطوارق حتى هبوا الطوارق مدافعين عن صحرائهم وعن دينهم وخاضوا معارك مشرفة ضد المستعمرين بسلاحهم البدائي وهناك**

وانني هنا سأحاول ما أمكن إبراز بعض الحقائق التاريخية عن تلك الأسباب في ثوبها الصحيح فأقول :

أن احتلال فرنسا للجزائر وضمها لمنطقة واحات الوادي وارقلة وما يساويهن غربا هذه المناطق المجاورة لأراضى الطوارق مباشرة كانت من بين الأسباب التي أرغمتها على تحسين علاقاتها السياسية والاقتصادية معهم وذلك لضمان أمنها وفعلا فقد كانت بينهم وبينها علائق ودية طيبة للغاية حيث سارت سيراً طبيعيا وفق نصوص اتفاقية ابرمت بين الطرفين وقعت باسم اخنوخن [1]الرئيس الأعلى للقبائل ومستشاره الحاج عثمان[2] رئيس قبائل افوغاس، استمر العمل بها عدة سنوات طويلة سادها النظام والأمن الشامل، فإن الرحالة الأوربيون على اختلاف جنسياتهم يتمتعون بالاطمئنان الكامل في تنقلاتهم لا مكان للفوضى ولا للاعتداء في ربوع بلاد الطوارق وأن ليس في حركة القوافل التجارية وازدياد نشاطها ورواجها بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا السوداء في هذا النظام.

شخصيات لمعت وخاضت الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي مثل ثورة كاوصن الشهيرة والتي سوف نذكرها لاحقا، للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 97.

[1] السلطان اخنوخن هو سلطان الأزقر في القرن التاسع عشر وصل الإنجليز والفرنسيون إلى السلطنة عن طريقه وعقد معهم اتفاقيات وقد ذكره الرحالة الأوربيين في رحلاتهم وحمايته لهم، المؤلف.

[2] الشيخ عثمان هو بمثابة وزير خارجية أخنوخن وقد مثله في مهمات متعددة خارج السلطنة على مستوى الصحراء الكبرى ويقال أنه سافر إلى باريس وبقي عدة سنوات في مهمة تهم السلطنة وسعى لوصول فرنسا إلى غات وغدامس وعقد مع الفرنسيين معاهدة غدامس 1662م، المؤلف.

ولأسباب التوسع وبسط النفوذ والاستلاء على مكاسب الغير كانت فرنسا يغزو منطقة تيديكلت في حملة ابعدت عن أطماعها على يد الطوارق وذهب قائدها ضحية هذا الغزو.

ونظراً إلى أن منطقة تيديكلت هذه ومركزها أن ساغ هي في الواقع مناطق داخلة في حدود الطوارق وفهي من أراضيهم وهي أسواق بضائعهم ومنتوجاتهم منذ فجر التاريخ[1].

أساليب القــتال

يعتمد الطوارق باهتمام وحرص بالغ[2] عند المهاجمة والدفاع على الحفاظ والاستيلاء على مصادر المياه والمرتفعات تحت أيديهم بصورة رئيسية ثم مباغتة أعدائهم تحت ستار الليل وفي الصباح الباكر لشن غارة يفاجئون بها أعدائهم بما يدخلونه من إرباك وفزع وما تسببه هذه السياسة من انحطاط معنويات بين صفوف العدو، وذلك بإحراز النظر في أقصر ما يمكن من الوقت يعمد الطوارق إلى ردم الآبار عقب هجومهم حتى لا تكون ذات نفع لمن يتتبعون أثرهم ولإعاقة الأعداء اللاحقين عن السرعة اللازمة لتعقبهم المحتمل.

---

[1] قررت فرنسا جعل صحراء الطوارق منطقة خطرة وصنفت سكانها كأكبر متمردين على فرنسا وقد وجدت فرنسا أنها أمام خيارين لا ثالث لهما الأول : أن تجمع كل أطراف الصحراء وتكون منها جمهورية مندوب وتقوم الشركات الفرنسية باستغلالها والثاني: أن تعيد توزيعها على الدول المطلة على الصحراء توزيعا جديدا، يقضى بجعل سكان الصحراء الطوارق أقلية مهمشة في تلك البلدان حتى= =لا تقوم لهم شوكة مرة أخرى وكان الطوارق هم الضحية الكبرى لهذا المخطط الذي مزقهم على حد التعبير ورأت فرنسا في وقت مبكر فشل مشروعها الذي أرادت من خلاله الانفراد باستغلال خبرات الصحراء والهيمنة على شعوبها وهو ما تنبه إليه عموم سكان الصحراء أنفسهم وجعلهم يقفون معارضين هذا المشروع الاستغلالي مما جعل فرنسا تنتقم بدورها من موقفهم. للمزيد انظر عمر الانصارى، الرجال الرزق، ص 61.

[2] الصواب : بالغين.

قوانين الطوارق في مجال الحرب

تمنع قوانين الطوارق على الغالب قتل النساء والأطفال والشيوخ وذو العاهات كالأعمى والمرضى وكذلك الأسير والجريح ولا يمنع هؤلاء من أخذ الماء والمواد اللازمة لعيشهم ولا ما يقيهم شدة البرد وشدة الحر من اللباس وغيره.

وفي هذا الخصوص لا يلحق الغالب بلوم فيما يأخذه من غنائم الأموال المعقولة والمختلفة ولكن تمنع أعراف هذا المجتمع الاستيلاء على الأراضي القبلية واعتبار صيرورتها من فئة غالبة بمجرد انتصارها أولاً في اعتبار آخر لسبب هو أن الأراضي القبلية هذه يعتبرها الطوارق وقفاً خاصاً دائماً.

أجمع الطوارق على اجتنابه والابتعاد عن التصرف فيه لغير أصحابه الأصليين على الدوام، إن مبدأ اجتناب الأوقاف القبلية من الأراضي والعقارات مبدأ يسدد هذا المجتمع على مداومة التمسك به وتطبيق قواعده في حدود ما تركهم عليه أسلافهم.

السلاح التقليدي عند الطوارق

يشتمل سلاح الطوارق على القطع التالية :

1) **سيف** : يمكن وصف سيوف الطوارق بأنها مخالفة لغيرها نسبياً إذ أنها لم تكن تماثل السيوف الأخرى تماماً من حيث الطول ومن حيث العرض فهو قصير بالنظر إلى أنه لا يتجاوز المتر الواحد أو أقل من ذلك بقليل أما من حيث عرضه فلا يتجاوز ثلاثة[1] سنتمترات في المتوسط ولم يكن طرفه حاداً إذ لا

---

(1) [illegible] ثلاثة

يطعنون به طعناً بل يوجهون به إلى عدوهم ضربات في غاية من السرعة وخفة الحركة.

2) **رمح** : يتميز رمح الطوارق بطوله الزائد إذ لا يقل هذا الطول عن مترين كاملين أما استعمالهم له عند اللزوم فإنهم يرمون به عدوهم رمياً لا طعناً كما هو الحال عند البعض الذين يطعنون برماحهم طعناً.

3) **خنجر** : وهو عبارة عن مدية ذات حدين يبلغ طولها ثلاثون سنتمتراً وذات طرف حاد للغاية وتوضع داخل غمدها شأنها شأن السيف يغلف هذا الغمد بجلد أحمر اللون مزين بخطوط ونقط جميلة جداً وتجعل له حلقة من الجلد المقوي ومزخرفة بورقة من النحاس بالأصفر وهي على شكل السوار وتثبت هذه الحلقة عند فوهة الغمد ليدخل الرجل يده اليسري لكي يتمكن من استلال الخنجر بيده اليمني بسهولة عند اللزوم.

4) **ترس** : يتخذ الترس من جلد الزرافة أو من جلد الجاموسة بضم هذا الجلد يسهل تجريده من كل ما عليه من الشعر وبعد تنظيفه يبدأ في تمديده بعناية خاصة حتى تختفي منه كل التكاميش تماماً معرضاً في ذلك لأشعة الشمس حتى يتم يبسة ثم تثبت في منتصفه حلقة نصف دائرية من نفس ذلك الجلد تثبته قوساً في شكلها ليمسك بواسطتها[1].

أما من حيث استعماله في المعركة كوقاية ضد رماح العدو فإن ماسكه كان يجب عليه أن يجعله في مواجهة خصمه مع إمالته قليلاً لجهة اليسار وذلك أمكن لينزلق رمح عدوه وبهذه الصورة يكون في مأمن من ثقبه أيضاً.

---

[1] أسلحة الطوارق من غير الحرب (الرمح) الحديدية الدقيقة الطويلة سيف قبضته على شكل صليب مغلفة بالجلد وخناجر وتروس بيضاء من الجلد للدفاع وهذه التروس مطاطية مصنوعة من جلد جاموس، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 171.

وأما بالنسبة لمواجهة السيف فإن عليه أن يجعله على وضع يقابل به خصمه تماماً ولا يمله إطلاقا إذ لو إماله ولو قليلاً لتمكن العدو من توجيه ضربة على جانبه الممال ولتمكن من قطعه قطعا بسرعة.

إن الناس قد سخروا أفكارهم لصناعة السلاح كأداة للقتال وهي كلمة تنتهي معانيها اللغوية إلى أن الإنسان يقتل إنساناً آخر وقد تنافس هذا الإنسان في تحسينها ولازال لم يكف عن تطوير هذه الأداة حتى بلغ بها حداً إخراجها عن مفهومها السابق إلى مفهوم دمار شامل لا يترك حياً على الأرض، وأن الأسلحة بقدر ما هي صالحة للاستعمال فيحسب درجاتها نحو التطور الجاري عليها بمرور الأيام وما بقي الإنسان على هذه الأرض فإنها قد تكون ضماناً لانتصار أصحابها في معركة ما ذلك إذا ما استعملت بمعرفة كاملة ودقة متناهية.

فسواء كانت حجرية في عصريه الماضيين أو كانت حديدية بعد ذلك وسواء كانت موادها الأساسية من مادة أورانيوم أو مواد أخرى قابلة للانفجار ثم التدمير بعده حتى تصبح ذات القوة الإبادية للبشر وكل حي سواه. إذ لم يتوقف صانع الأسلحة هذه عن تطويرها قاصداً بذلك أن تكون شديدة المفعول أكثر والهدف من وراء ذلك هو فقط إحراز نصر أسرع على أخوته في الإنسانية على الأقل ثم إرهابهم لكي يكونوا تبعاً له وقد نسي هذا الصانع أنها ذات قدر بالغ من الخطورة على نفسه.

الغنائــم

تقسم الغنائم بالسوية على أساس عدد الرجال الذين شملتهم الغزوة تحت لوائها وذلك بعد إخراج ما على الغزاة من ديون ترتبت عن نحر جمال أثناء طريقهم كمؤنة كانوا قد أخذوهم من بعضهم للجميع واشترط أصحابها مقابل كل جمل اثنين أو ثلاث حسب المتفق عليه فإن لم يحصلوا سوى على قدر هذا الدين سدد وبقي

الغزاة بدون شيء، وإذا كانت الأقدار قضت بأن الغزاة لم يحصلوا حتى على شئ لسداد تبعاتهم فإنه في هذه الحالة يسقط حقهم في أي مطالبة لما سبق أن أدينوا به الغزاة ويجعلون لرئيس القبيلة نصيبه من الغنيمة بقد نفل غاز ولو لم يكن ضمن الغزاة فعلاً وللغازي جميع أسلاب قتلته من الأعداء أثناء المعركة يقسم الغازي الذي أعطي مع من زوده بجمل امتطاه أثناء غزوه جميع ما غنمه مناصفة ويسمون هذه المعاملة أبلاج وفي عودة الغزاة وحين اقترابهم من أهلهم يرسلون جماعة منهم إلى الأهل يسمونهم إيميهان لإعلام الناس برجوع الغزاة وقد يكون بعض الأشخاص في ملاقاتهم للحصول منهم على بعض الأشياء المغنومة وتسمي تابدرت، أما الغنائم من الماشية فجميع الحيوانات فيسمونها[1] أجلاف، أما غيرها من القي فيسمونها إيميكان وليس من عادة الطوارق سبى الأحرار من أعدائهم ومن عادة طوارق الشمال فيما إذا حصلت بينهم وبين جيرانهم التبو من سكان الجنوب تجرهي وجبال تبستي وكاوا أية أحوال تسبب غزو بعضهم فإن عرفهم لا يسمح بسبي أناس من أحرار التباويين ويسمح بسبي أرقائهم الذين هم من أصل زنجي فقط ذلك لاعتبار علاقات عرقية تجمع بينهم وبنود صلح كان قد جري قبل قرون وهكذا فإن التبو يمتازون عند طوارق الشمال بميزة خاصة عن جميع ذوى البشرة الداكنة من الزنوج القاطنين في القرى الواقعة على ضفاف نهر النيجر وجنوبها والهوسا وبرنو عن حدود جنوب الصحراء.

---

[1] الصواب : يسمونها

الحرب المستغربة بين قبيلتي آزجريتين

أنه لأمر محير حقاً إذ علم المرء أن قبيلة امنغساتن هي إحدى القبيلتين اللتين كانتا تصادقان على صحة رئاسة الرئيس الآزجري الذي ينصب لأول عهده بها من قبيلة اوراغن وإلا كانت الإجراءات الواجب استكمالها اعتبرت ناقصة فتحتاج إلى الإتمام على الدوام.

فهذه القبيلة التي كانت بهذه المنزلة ذات الاعتبار والتي لها تأثيرها القوى موضوع صحة الرئاسة الآزجرية بالرغم من حيازة المرشح لهـــا على التسلسل المطلوب وعلى المعايير اللازمة إلا أن رئاسة[1] في حاجة إلى الاعتماد كما أسلفت. والمثير للاستغراب والحيرة على تلك الحرب القديمة التي دارت رحاها بين قبيلة أوراغن التي يجب أن يكون منها الرئيس الآزجرى على الدوام وبين قبيلة أمنغساتن التي تحتاج إلى مصادقتها الشرعية تلك الرئاسة. فهذه الحرب التي اندلعت نارها بين القبلتين مدة طويلة من الزمن حتى انهزمت قبيلة اوراغن وهاجربعضها إلى ازواغ وآير حيث حصلت على أنصار من اولمدن واكزكزن وقبائل أخرى وعادت بجيش جرار لفتح ما كان في حاجة إلى الفتح مثل جانت التي يحكمها شخص متجبر يدعى غاون ولما كان غاون حاكماً شديد الوطأة على السكان بأنه يبني[2] له قصراً في ثنايا جبل مشرف على البلدة مباشرة في موقع لا

---

(1) الصواب : رئاسته.

(2) الصواب : فقد بنى.

يمكن الوصول إليه إلا عن طريق سلم فإذا أراد النـــزول من قصره هذا انزل السلم فإذا نزل شيع إلى القصر[1].

فوصلت هذه الحملة ودخلت البلدة ليلاً ولما علم المدعو محمد اق امدغ ويعرف أيضاً بـــ أمه تينى الحرباس أن غاون لا يمكن القبض عليه إلا بحيلة وأمر السكان أن يختاروا بعض أعيان البلدة للذهاب إلى قصر الرئاسة لمقابلة غاون لسبب خلاف وقع بين السكان حول حدود أراضيهم وممتلكاتهم ويطلبون فصلهم عن طريق منحهم عقودهم حتى يتمكنوا من فصل الخلافات الناشئة حول الأراضي، وهكذا توجه وفد أعيان البلدة وأذن الحاكم لهم بالمقابلة فعرضوا عليه مشكلتهم ورد عليهم قائلاً : إن تسليم العقود أمر لا أوافق عليه وحل مشاكلهم أمر واجب أيضاً. وأذن فأني سأنزل غداً في الصباح الباكر لفصل المتشاكلين وأن يكونوا حضروا وأنت الأعيان كذلك.

فلما رجع وفد أعيان البلدة وحصل على موافقة الحاكم على النزول إلى البلدة محدداً وقت نزوله وفي الليلة التالية نصب الزعيم كميناً في طريق هذا الحاكم حتى هبط في الوقت الذي حدده للأعيان بالأمس وكان ممتطياً فرسه فلما وصل الكمين المنصوب انهالت عليه الرماح فأصاب رمح رجل من ازجحاتن المنحدر من قبيلة امقيرغسن فأصاب فرسه وقتل هو أيضاً واستولى الزعيم على أمواله وفرقها على مناصريه وارجع المزارع التي استولى عليها غاون كما ارجع العقود إلى من انتزعت منهم وارجع الأملاك والنخيل التي كان غاون قد انتزع ملكيتها من أصحابها واعتبرها ملكاً له، ولكن أصحاب هذه الأملاك قد

---

[1] تقوم معارك صغيرة بين الحين والآخر بين السلطنات وأحيانا بين قبائل السلطنة الواحدة كمعارك بين منغساتن وقبيلة اوراغن وكلتاهما ومن سلطنة آزقر وذلك في أوائل القرن العشرين ونهب كل منهما إبل الآخر، المؤلف.

حرب إقليمي آزجر وأهقار

الحرب التي اندلعت بين إقليمي آزجر وأهقار حرب كانت مثاراً للاستغراب لما بينهما من أوثق الروابط. ولكن حينما نعلم أن عاملاً قوياً قد جر إليها الحاج أحمد رئيس إقليم أهقار تدينه وتقواه وهو تدخل عنصر النساء والذي يوليه الطوارق اهتمامهم البالغ إذا كان طلبهن يقبل لديهم مهما كانت الأحوال وحالما يتعرض المرء من الأحداث ويحلل وقائعها الماضية في خلال أزمنة عابرة يجد أن الازجريين والهقاريين ما هما سوى سكان منطقتين متجاورتين جغرافياً وما يقطنها من البشر إلا أناس يرتبطون بروابط عرقية وثيقة بل وأخوة قريبة لدرجة التوارث ويقول الناس الآزجر والهقار كمثل جسم طير نعام ورجلاه فإذا بترت أحداهما فلا يستفيد بالباقية[1].

ولذلك نرى مظاهر ذلك واضحة كلما ألمت محنة باحدهما وهنا يسجل الازجريين امتنانهم وشكرهم لأخوتهم الهقاريين طوعاً أو كرهاً لنجدتهم حينما تورط آزجر في أمر خيانة الايريين هذه الخيانة التي أبرم خيوطها رئيسها بيده. وكانت بداية القصة أن كان رجل على تنافس لرئيس قبائل آزجر ويبدو أنه أخاه أو ابن خالته أراد قتل الرئيس فذهب إلى مناطق اير وجمع أنصاراً ووعدهم بان يغزو معهم مناطق توجد بها إبل سهلة الاستيلاء عليها وأخذها وهو قاصداً الرئيس الازجري في بداية الأمر ولكن بعد وصوله مع الأيريين ظهر له العدول عن نيته الأولى فالتمس العذر لأصحابه وأقنعهم بان فرصة الغزو قد فاتت ولم

---

[1] كانت هناك حروب طاحنة بين القبائل الطارقية سببها المنافسات بين بعضهما من غزو وسلب ونهب وقد تكون سبب حروبهم سيطرة بعض القبائل على الطرق قوافل أو المراعي أو موارد المياه وغيره من أسباب النزاع بينهما وهناك عدة حروب اندلعت بين تمزقدا وتقريقريت وبين منغساتن واوراغن أو بين الآزقر والهقار، للمزيد انظر ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 112.

وهبوها لزعيم هذه القبيلة وهذه الأملاك هو ما كانت تملكه قبيلة اوراغن في بلدة جانت حتى الآن وهو بدوره جعله وقفاً تابعاً صالح الطبل الرئاسي في قبيلة أوراغن على الدوام.

هذا ولازالت الآراء مختلفة حتى اليوم إلى من يعود نسب غاون فهناك من يرى أنه يعود نسبه إلى قبيلة أمنغساتن ذلك لمجرد ما يرى أنها معلنة حربها على قبيلة اوراغن التي انتصرت في هذه الجولة.

ويرجعه آخرون إلى أنه امنانيا بحجة أن جانت منذ تأسيسها ولا تزال معتبرة في حكم وضعها التقليدي بلدة تنسب امنانية بحجة أنهم يتواجدون فيها طوال أيام السنة دون انقطاع، ولما كان لهم فيها من أملاك واسعة، كما يعرف البعض أن تجبر غاون إلى أن لم يكن بعيداً من سلوك امنان القاسي ولذلك رجح أن نسبه يرجع بالضرورة إلى قبيلة امنان.

وأما قبيلة امنغساتن في تلك الأثناء فكان رئيسها رجل يدعى كوتيكا وليس بغريب أن قبيلتي امنان وامنغساتن تساندان بعضهما في هذه المحن كما تفعلان عادة ذلك ما أدي إلى الهجوم على جانت ومقتل غاون فيها ثم الهجوم بعدها على غات ومقتل كوتيكا فيها.

ذلك لأن غات تعتبر المركز الثاني بعد وادي الآجال لقبيلة امنغساتن حسب الأعراف والتقاليد الآزجرية.

يتسر الأمر لفرصة ثانية إلا بعد مرور شهور أخرى وعندما قالوا نحن لا نستطيع الغياب عن أهلنا مدة شهور أخرى فإن علينا الرجوع إلى أهلنا فعادوا راجعون[1] إلى آير وترائي للآزجريين أن يقتفوا أثرهم ليغنموا منهم مهراهم وما كان معهم مما حملوا عليه[2] من الهدايا، ولما وصلوا مكان يدعى فرنيكسن لحقوا بهم هناك شاهرين السلاح وإن خيانة الآزجريين للآيريين هذه باءت بالفشل إذ تغلب الآيريين على الازجريين وهزموهم شر هزيمة وفرقوا شملهم فانسحبوا جماعات ووحدات كثير منهم قتلى ومن بينهم رئيس الإقليم.

أما الآيريين بعد أن تغلبوا على الآزجريين فأنهم رجعوا إلى النجوع وغزوا على الإبل ونهبوا البيوت ولم يتركوا فيها شيئاً حتى هوادج النساء، أما أميدي بعد الهزيمة فتوجه مشياً على الأقدام وبرفقته رجل من كيل اجلبان إلى حيث كانت امرأة من قبيلة افوغاس أقضافي وهي ذات ثروة حيوانية كثيرة خاصة الإبل التي تملك منها عدد كثير وبعد أن وصل بيتها وقص عليها أخباره وقال لها أنني أريد جملين بعدتهما ومؤنة تكفي شخصين لمدة ثلاثة أيام فحضرت له ما كان في حاجة إليه فواصل السير ليلاً ونهاراً حتى وقف أمام بيت رئيس إقليم أمقاس فخرج الرئيس لاستقباله سلم عليه وسأله قائلاً : من تكون ومن أين أتيت؟ قال : أنا اسمي اميدي آتياً من آزجر وعندما توقف الرئيس عن سؤاله ملتفتاً نحو رجل إزاء بيته قائلاً له : اقرع الطبل فبدأ الرجل يقرع الطبل طبل الرئاسة ليجمع لديه من سمع القرعات وبعدها أمر بحط رحلتي أميدى ورفيقه وأدخلهما البيت وبعد أن سئل عن تفاصيل الأمر فاخبره بكل ما وقع.

---

[1] **الصواب : راجعين.**

[2] **الصواب : عليها.**

ثم تجمع لديه عدد من الرجال فأرسل لمن هو بعيد فكان التجمع يزداد شيئاً فشيئاً حتى بلغ المستوي المناسب فأمرهم بالتوجه إلى طريق آير الذي سيعبر منطقة مرتفعات آنهان وفي مقدمتهم أميدي بعد أن جعل تحت تصرفه مهرى وحصان فسارت النجدة نحو آنهان فلما وصلوا ممر الطريق عرفوا أن الآيريين لازالوا في الشمال فحطوا رحالهم في انتظار وصول الآير وكان اميدى على صهوة جواده يراقب الطريق فأخذته سنة نوم فأيقضه صهيل الحصان فرأى الايريين كادوا أن يحولوا بينه وبين جماعته فهز الجواد فاسرع به إلى معسكره فلما اقترب منهم قالوا من الفارس قال اميدى وصل كان أمدى في الشمال وآخر في الجنوب قال أمدى الشمال وعندما أسرعوا في عقبه ففاجئوا تجمع رجال النجدة التي ولت الأدبار قليلاً في بادئ الأمر ولكن سرعان ما رجعت إلى رشدها وقاتلت ببسالة وبشجاعة بطولية نادرة وسقط من الآيريين ستين قتيلاً فعندها غلبوا وتمت هزيمتهم لاذوا بالفرار وانتصر أهقار للآزجريين وارجع جميع ما غنمه الآير إلى نجوع آزجر منتصراً مرفوع الرأس شامخة[1] ولا غرابة في ذلك إذ يقال قديماً أن أهقار أمة لا تهزم[2].

إن أخبار الستين قتيلاً الذين سقطوا من الايريين كانت قد أخذت من رسالة عثر عليها في غدامس ويظهر أنها قديمة جداً إذ كانت مكتوبة على ورقة سميكة لا تشبـــه الأوراق المعروفة حتى التي مرت عليها خمس[3] قرون من الزمن وكذلك لونها ولتتعرف حتى على عائلات الراسل والمرسل إليه ومع

---

[1] الصواب : شامخاً

[2] أنها أمة لا تهزم ولكن بالأسلحة المتماثلة من حيث الشكل لا من تلك المتباينة نوعاً وحداثة، المؤلف.

[3] الصواب : خمسة.

الاسف أنها خالية من اسم التاريخ مهما كانت واضحة الحروف بما في ذلك الراسل والمرسل إليه.

وكان أهقار قد قام بمساعدة أخوته الآزجريين في محنة مماثلة أخرى في ظروف متشابهة صعبة هي الأخرى كان الآزجريين وقتها في أمس الحاجة إلى العون وهو العون الذي هو في أمس الحاجة إليه عندما قتل رئيسه خداش تلك المناسبة التي أحاول إزاحة الغموض المخيم عليها حتى أصبح الذين سمعوا عنها قلة قليلة من الناس وإنما عزمت على هذا رغبة[1] سرد وقائع التعاون السابق بين الأشقاء أهقار وآزجر وفيما يلي قصة هذه المناسبة.

كان الرئيس الآزجرى خداش قد بدأ رحلته من اغرغاريين ماراً بغدامس في طريقه إلى وادي سوف ثم إلى وراقلة في قصد إبرام صلح بين قبائل الشعانبه في هذين القطرين مع الطوارق الآزجريين وواصل سيره إلى وادي سوف فابرم الصلح هناك ثم استأنف رحلته إلى وارقلة وقد سبقته أخباره حيث كان جماعة الشعانبه متهيئين لاستقباله، وبدأ فرسانهم باحتفالاتهم التقليدية بمسابقاته على صهوات الجياد حتى إذا ظهر ركبه على بعد انطلق الفرسان في مسابقة رائعة نحوه ومن سوء الطالع كان أحد الفرسان قد غلبه جواده ولم يستطيع كبح جماحه حتى اقتحم به ركب الرئيس الضيف فجفلت به ناقته وسقط أرضاً ومن حسن الحظ لم يقع له أي ضرر جسماني إطلاقاً غير أنه كان قد امتلأ غضباً لوقوعه أرضاً أمام الناس فالبرغم مما أبداه صاحب الحصان من الأعذار وما بذله له أعيان الشعانبه من صنوف الاعتذار وطلب السماح والمجاوزة إلا أن الرئيس خداش بقي يخفي في نفسه حقداً كبيراً لم يظهره للناس ولما انتهت إقامته سافر راجعاً إلى آزجر وفي طريقه مر بمراعي الإبل فسأل الرعاة عن إبل صاحب

---

[1] يجب زيادة كلمة في.

الحصان فأخبر عنها فاختار منها خمس عشرة[1] جملاً وفي رواية اقل من هذا العدد فإن هذه الجمال باعتبارها جزاء لإهانة شخصه تسبب فيها صاحب هذه الجمال.

ولكن راعي الإبل ذهب مسرعاً فأخبر بالواقعة فركب عدد كبير واقتفوا أثر ركب الرئيس فقطعوا مسافات طويلة حتى وصلوا مكاناً يسمى الومسا إلى الغرب من بلدة تيماسنين وفيما هم سائرين ليلاً فكروا في أن الطوارق تمكنوا من وسط بلادهم فلا تجدي متابعتهم فيها فيما كان ركب خداش أحس ببرد آخر الليل فأوقدوا النار وقتها فلما راءها الشعانبه اللاحقون نصبوا لهم كميناً في طريقهم نحو الجنوب، ولكن كان كثيب رملي حال بين السائقين والوجهة الجنوبية حيث الكمين كان منصوباً فانعكس اتجاه الركب لتحاشي الرمل نحو الغرب، أما خداش فقد تخلف قليلاً يرافقه رجلاً واحداً فسارا يمشيان راجلين صوب الكمين المنصوب أمامهم عند الطريق فلما اقتربوا منه قال له رفيقه إن الأشياء التي أراها أمامنا يتصور لي أنها أشياء تتحرك ولم يتم هذا الكلام حتى أطلقت عليهما النار فسقط خداش قتيلاً والتحق رفيقه بالركب الذين أسرعوا السير بعد سماع طلقات النار وهذه هي قصة الرئيس الأزجري خداش.

وإزاء هذا المدى عزم الأزجريون على الانتقام لرئيسهم والأخذ بثأره وبدأت الاستعدادات جارية بنشاط وجدية.

وكان الآزجريون ليس بغائب عليهم ما كان يتطلبه هذا الأمر من حشد أكبر عدد من الأنصار ولذلك نهض الحاج عثمان بن البكري وهو من قبيلة افوغاس وجده للأم هي قبيلة أوراغن نهض في وفد فإتجه نحو أهقار طالباً

---

[1] الصواب : خمسة عشر.

المساعدة فوافقوه على طلبه حيث جمع خمسمائة رجل من راكبي المهارى هذه مساعدة أهقار للأزجريين تجاه تلك وفي السنة الأولى لذكرى وفاة الرئيس خداش وقع الهجوم على نجوع قبائل شعابنه وإفلة المتواجدة حول مرتفعات البكورات حيث[1] فيها الشعانبه بخسارة كبرى في الأرواح وهزيمة منكرة لم يستفيقوا بعدها إلا بعد مرور سنوات كثيرة تالية.

وبحس بتقديرات الوقائع كان ذلك في أواسط ربيع 1796 للميلاد وفي هذه السنة بالذات اختير اخنوخن رئيساً عاماً للأزجريين[2].

انتفاضة الآزجريين ضد الوجود الفرنسي

كانت سنة 1869م بداية انضمام قبيلة أولاد سليمان إلى الآزجريين في حلفٍ أزجرى سليماني، والذي سقطت بموجبه إتاوة مرور قوافل قبائل السليمانيين ببلاد آزجر نحو السودان وغيره، وذلك بعد إعدام رئيسهم عبد الجليل الذي بقي على قيد الحياة من أسرة سيف النصر 1842م، أما الصراعات التي حصلت على المستوى الرسمي أو الدولي أي كانت صحة هاتين العبارتين نبتدى بالحديث عن تلك الحوادث التي عقبت احتلال الأتراك لبلدة غات المعتبرة عند الطوارق وفي الشمال الشرقي عاصمة إقليم آزجر فقام الآزجريين بانتفاضة اشترك بالقيام بها سكان الإقليم عن أخرهم مستهدفين مقاومة الاحتلال العثماني لبلادهم[3].

---

[1] يجب زيادة كلمة منيت.

[2] عمر بن عثمان، قصة غات، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 14.

[3] اهتم الأتراك بمراكز التجارة الصحراوية وعلى وجه التحديد بداية من فرض السيطرة العثمانية المباشرة على فزان في العام 1842م وعلى غدامس 1843م ومن ثم على باقي دواخل الإيالة، فالعثمانيون كانوا يرغبون فرض الأمن والاستقرار على داخل الولاية لذلك عملوا على مد نفوذهم

وكانت الخسائر الناجمة عنها تعد من أكبر خسارة مُن بها الأتراك منذ حكمهم على فترات إذ كان الأضرار تقدر بكتيبة كاملة من الجيش التركي مما أصابها من قتلي وجرحى واسري في آخر 1886م.

وما نتج عن هذه الحوادث المؤلمة من السلب والنهب وتوقف التجارة من قطاع طرق المواصلات وإضعاف تجارة القوافل وانعزال المناطق عن بعضها مما له أثره السئ بإيقاف تجارة السودان بشكل ملحوظ وأفقد العثمانيون دخلاً مهماً كانت تدره عليهم تلك التجارة وهو جانب كبير في ميزانية ولاية طرابلس كما بدد آمال وطموحات التجار والممولين في تلكم الأوان بنهاية أيام حياة أولئك الرجلين الأساسيين في قيام تلك الحوادث وهما يحي ابن سيدي محمد الرئيس الأزجري ومحمد الصافي قائم مقام بلدة غات الذين قتلا أثناء هذه الصراعات وبذلك توقفت أعمال العنف وشرع الآزجريين في مفاوضات السلم مع الأتراك إلى أن عادت الأمور إلى الهدوء وحالتها السابقة.

وفي خضم أحوال هذه نشير لما خاضه الطوارق في ميادين القتال إبان الغزو الإيطالي لليبيا بداية من هجوم مدينة طرابلس وقصفها طريق الأسطول الرأسية في عرض البحر شماليها حيث صادف هذا اليوم أن كانت قوافل الطوارق متئهبة[1] أساساً لنقل بضائع تجارية إلى غدامس وغات ومن هناك إلى

على القبائل البدوية في الواحات الرئيسية داخل الصحراء، غدامس وغات وفزان، للمزيد انظر نجمي ضياف، المرجع السابق، ص 118.

[1] الصواب : متأهبة.

السودان هذه البضائع كانت على ملك رجل من سكان طرابلس ومن كبار تجارها يعرف بلقب القرقني[1].

ولما وقع الهجوم أدرك الطوارق خطورته ولم يكن أمامهم سوى التفكير فيما يستوجبه عليهم هذا الحدث ثم التفكير في أمور البضائع التي أضحت في عهدتهم وهي واجبة الوصول بها إلى حيث مقاصدها التي سبق الاتفاق عليها سلفاً وهناك استقر رأي الجميع على أن ينقسموا طواعية فقسم منهم يتحمل بنقل القوافل ببضاعتها إلى حيث اتجاهها المتفق عليه سابقاً، أما القسم الثاني فيستمر على انضمامه في صفوف المجاهدين وهكذا استمر هذا الفريق على خوضه المعارك العديدة ومن جملتها معركة الهاني الشهيرة.

وفي هذا الإطار وما إن وصلت أخبار هذا الغزو إلى كل القبائل الآزجرية حتى هبت قبيلة امنان وامنغساتن وراغن افوغاس الجرامنة وقبائل أخرى تحركت من منتجعاتها ملبية نداء الجهاد المقدس في نطاق حملة شملت رجال هذه القبائل تحت قيادة السلطان أموداق المختار الزعيم الروحي لإقليم آزجر في ذلك التاريخ فلقد استمرت هذه الحملة في مواصلة الجهاد منذ انتقلت قيادة المقاومة من طرابلس المدينة إلى سواني بنى ادم ثم العزيزية[2].

---

[1] هو شريف عربي ينتمي نسبه لعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء يتولى سلطنة آزجر التارقية إحدى سلطنات الطوارق يقيم ببلدة جانت التي تقع حاليا في أقصى جنوب شرق الجزائر غربي مدينة غات ويملك معظم بساتينها، وقد كانت جانت تتبع غات ضمن الاراضى الليبية ولكن في عام **1908**م هاجم الفرنسيون القرية واستولوا عليها فهاجر السلطان آق امود إلى غات حيث بدأ ينظم صفوف المجاهدين لحرب الفرنسيين، للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، ص 17.

[2] عندما وطئت أقدام الإيطاليين آراضى ليبيا وفي أول قصف لمدينة طرابلس عام **1911**م كان بعض الطوارق في تلك الفترة ينتظرون بضائع وصلت من آوربا لنقلها إلى غدامس وغات لتاجر يدعى

دام رجال هذه القبائل إلى أن تم الاحتلال الإيطالي لجبل نفوسة بالكامل ثم بعده منطقة غدامس في أوائل 1913م وفي آخر أوائل سنة 1914م ثم احتلال إقليم فزان وقبل استهلال هذه السنة كانت قد وقعت معركة محروقة بالشاطئ والتي انتهت باستشهاد قائدها محمد بن عبد البوسيفي وعدد من الطوارق وبعد هذه الحوادث اتسمت الحالة بالهدوء لمدة لم تطل بعد حيث استأنفت المعارك خلال سنة 1915م لتشمل سبها وأوباري مما أرغم حامية غات على الانسحاب منها نحو غدامس عن طريق الأراضي التابعة للحكم الفرنسي في تلك الآونة.

وفي تلك السنة اشتركوا في خوض معارك طابية ومجزم وسيناون وكاباو ونالوت وتكويت والباب.

وبعد انحصار الإيطاليين داخل مدينة طرابلس وبعض الأماكن الساحلية مدة سبع سنين جاءت حملة إعادة احتلال منطقة الجبل من جديد وفيها اشترك الطوارق في معركة الوخيم وعلى أثرها معركة السلامان التي تم عقبها احتلال لجبل من جديد خلال سنة 1922م.

القرقنى فاتفق الطوارق الذين سيستلمون البضائع أن يقسموا إلى مجموعتين مجموعة تنقل البضائع لغدامس وغات والمجموعة الأخرى تنضم إلى صفوف المجاهدين فاشترك عدد منهم في معركة الهاني التي أبلى فيها أبناء الوطن بلاء حسنا وقد هبت قبائل الأزقر والامنان والامنغساتن واوراغن وافوغاس وتحركت من قيامها ملبية نداء الجهاد تحت قيادة السلطان احمد امود آق المختار واستمرت هذه القوات تقاتل الإيطاليين من طرابلس الى سوانى بن يادم والعزيزية إلى أن اجتاح العدو غدامس في أوائل سنة 1913م وفي أوائل عام 1914م تم احتلال فزان وفي هذه الأثناء وقعت معركة محروقة بالشاطئ وانتهت باستشهاد قائدها محمد بن عبد الله البوسيفي ومجموعة من الطوارق وبعدها استؤنفت المعارك لتشمل سبها واوبارى وقد أبلى الطوارق فيها بلاء حسنا. وواصل الطوارق تصديهم للإيطاليين في معارك عدة منها الباب المعركة العنيفة التي كانت بقيادة الطاهر الحاج احمد واستشهد فيها عدة فرسان من الطوارق. للمزيد انظر محمد عبد اللطيف، مخطوط، ورقة 50.

وفي آخر خريف السنة التالية نظم الطوارق حملة بقيادة السلطان أمود آنف الذكر فقامت حملته هذه بهجوم على فصيلة تابعة لحامية نالوت والمرابطة ببلدة أولاد محمود القريبة من نالوت شرقاً فألحقت بها خسائر في الأرواح وتم أسر بقية الجنود سنة 1923م وتلي ذلك في نفس السنة حملة أخرى قامت بها الحملة ذاتها فكان الغرض منها عملية تطويقية حول مدينة نالوت للإضرار بالإيطاليين بها، ولكن الإيطاليين علموا بالحملة عن طريق رجالهم الاستطلاعيين وبعد أن كانت الحملة نحو وادي الثلث الواقع في الجهة الغربية من مدينة نالوت كانت في مأمن من الضغط عليها من جهة الغرب إذا كانت تحميها الحدود الفرنسية القريبة جداً من وادي الثلث وبعد فجر اليوم التالي هوجمت الحملة بحشد كبير من الجيش الإيطالي النظامي وغير النظامي حيث وقعت بين الفريقين معركة رهيبة سقط أثنائها عدد كبير من رجالها من بينهم كثير من الطوارق وتم انسحاب بشيء من النظام في تقهقر نحو بلدة سيناون حيث يقيم الزعيم الروحي من مدة رجوعه من بلدة أولاد محمود سالفة الذكر وعقب ذلك بحوالى شهر على الأكثر أرسل الإيطاليون من نالوت حملة قوية من جيشهم عندما نما إلى سمعهم أن حملة الزعيم أمود لازالت متمركزة على بئر يقع إلى الجهة الشرقية من بلدة سيناون فيما كان الخبر قد اخطأ من حيث دقته فحملة أمود كانت مرتكزة على بئر بالقرب من جبل يسمى قارت مهدية على ممر طريق درج سيناون ولما فهم الإيطاليون وهو بئر سيلاس الواقع فعلاً إلى الشرق من البلدة وهو خلاف لموقع الحملة المقصودة وهي قارت مهدية شرقي جنوب بلدة شعوة فعلى هذا الأساس الذي فهمه الإيطاليون على خطأ وجهوا حملتهم صوب بئر سيلاس فوجوده خالياً من الحملة المقصودة منذ الأساس ومن هناك اتجهت القوة الإيطالية نحو بلدة سيناون وقبل وصولهم إليها التقوا بأفرادها التابعين لحملة أمود الذين بدأو بإطلاق النار بأسلحتهم الخفيفة في 1923/12/23م، فعلى هذا ترجل الجنود الإيطاليون

من مراكبهم المهارى وبدأت المعركة من أعلى المرتفعات إلى الشرق من قرية عين علي سيناون ونصبت مدافع الإيطاليين والرشاشات وقصفوا القرى وسقط عدد من رجال القرى شهداء هذه المعركة دفاعاً عن الشرف والممتلكات، وبعد المعركة أطلقوا الجنود للنهب والسلب ولم يتركوا أي شئ وقعت عليه أبصارهم من مدخرات القرى الثلاث عين علي - قصر اللوطى - القصر الفوقي ولم ينج منها سوى قرية الشعواء التي انذرها صوت المدافع والرشاشات وكانت على أهبة الرحيل مسبقاً وفي أثناء رحيلها نحو الصحراء تعقبتها فرسان الحملة ووقع بعض إطلاق النار الذي سقطت أثنائه امرأة واحدة ثم رجع الفرسان إلى قيادتهم من سيناون ورجعت الحملة إلى نالوت حاملة الأسرى من أعيان سيناون حيث بقوا مدة تقرب من الشهر وبعدها في يناير 1924م احتلت سيناون للمرة الثانية وبعدها درج في 1924/2/7م وغدامس في 1924/2/15م وعلى إثر هذه الاحتلالات المتتالية التي أرغمت المقاومون[1] على الاتجاه جنوب المنطقة واستقرارهم بأطراف الجنوب من تنفرت الحمادة التي تتوفر بها المياه والكلا الجيد لحياة حيواناتهـم وهي اعتمادهم الوحيد يومئذ[2] استمر هؤلاء في إرسال وحداتهم في مهاجمة الإيطاليين في مواقع عديدة من بينها تاروت في ربيع 1925م بئر النزار يناير 1926م العصمة 1926م وادي حريز 1926م بئر زغرار خريف 1926م القطار لحملة 1926م بئر علاق 1928م.

أما ما واجهه الطوارق من سكان سلطنة أهقار ضد الاحتلال الفرنسي يتمثل في معركة قرية تبت عند مرتفع بئر سالم بقيادة بابا اق تماكلاست وكانت هذه المعركة شديدة إلى أبعد حدود الشدة المعروفة في غيرها من المعارك إذ

---

[1] الصواب : المقاومين.

[2] الصواب : بعد ذلك.

واجه الهقاريون أسلحة حديثة متطورة من بنادق نارية ورشاشات سريعة الطلقات فهذه المعدات الحربية واجهها الهقاريين بأسلحتهم البدائية وهي: سيوف، رماح، خناجر، تروس ولئن كان عدد الهقاريين يفوق كثيراً عدد الفرنسيين[1]، إلا أن فعالية الأسلحة النارية التي اعتمد عليها الجنود الفرنسيين كانت النتائج[2] الحربية أعلى من نتائج السلاح الأبيض الذي اعتمد عليه الهقاريون، أما من حيث عدد رجال الهقار فكان 293 هجاناً بقيادة بابا اق كلاست وكان عدد الجنود الفرنسيين 130 جندياً بقيادة الملازم كوتينس. وكان في يوم 7 مايو 1902م خسر أهقار ثلث المقاومين فيما خسر الفرنسيون أربعة قتلى واثنين من الجرحى، ومن ذلك التاريخ أصبح إقليم أهقار خاضعاً للاحتلال الفرنسي، وبعد هذه المعركة هاجر : اتيسى آق أملال، سلطان البلاد لضلعه في واقعة العقيد فلاتيرس وبعثته يرافقه أيضاً المدعو اسيدي اق اخاتغات وعدد كبير من قبيلة ايسقسارن.

أفلم يكن التوضيح السابق لنا هو نموذجا كافيا لمعرفة إدراك الناس لتلك الصراعات التي تمخضت عن غزوات ومعارك وحروب طاحنة دون مبرر يذكر ولما كانت بعيدة وقبل أجيالنا بسنوات كثيرة مما جعلنا لا نعلم منها إلا القليل جداً والتي تسببت في إراقة الدماء بين البشر إن لم نقل دماء المسلمين لا لشئ سوى الطمع وحب التسلط والسلب والغنائم عن طريق ووجوه غير مشروعة، فإذا انعدمت بها تواريخ وقائعها لبعد أزمنتها فقد رأينا ذكر أنها منذ زمن أحفاد بنى هلال حتى العقد الثالث من القرن العشرين للميلاد، وهذا دليل على استمرارها زمناً طويلاً.

---

[1] الصواب : الفرنسيون.

[2] نتائجها.

وأن الرحالة جيمس ريتشارد كان قد أوضح بقدر ما يغنينا عن إطالة البحث في هذا الشأن في كتابه ترحال في الصحراء التي قام بها خلال سنة 1845 – 1846 للميلاد وفي نفس الكتاب صفحة 103 ذكر أن جميع الملثمين هم من تونس.

أما انتفاض الآزجريين ضد الوجود الفرنسي في بلادهم بقيادة إبراهيم اق ابكدا.

بدأت هذه الثورة في سنة 1912 واستمرت إلى عام 1918 للميلاد وكان من يوم قيامها أن اضطربت حالة الأمن والهدوء في بلاد إقليم آزجر في جميع مناطقه وخلال هذه السنوات توقفت حركات القوافل التجارية وانعدمت طمئنينة[1] المسافرين، مما تسبب من مجاعة طال أمدها لمزامنة هذه الانتفاضة بظرف الحرب العالمية الأولى فأسفرت تلك الحوادث عن مأساة ومتاعب وقتلى من الجانبين خلال معارك عسيرة في أنحاء عديدة من البلاد ونذكر على سبيل المثال ما يلي :

1- معركة تيرسيل.
2- معركة ايجنتو.
3- معركة إيهيرهي آيت زواتن سامن
4- معركة تاكت طريق إيليزى تيماسينين.
5- معركة أماستان طريق إيليزى تيماسينين.
6- معركة توسكيرين طريق إتليزى تيماسينين.
7- معركة إيميهرو تافلامين.

---

[1] الصواب : طمانينة.

8-معركة ايمسنجل خامالت.

9-معركة سوقد تاراتا.

10- معركة إيمكيوض ترات.

11- معركة تينهيضان طريق غدامس غات آير.

وبعد أن رأي الجانب الفرنسي أن لا جدوى من استعمال العنف ضد قوم تَتَيسَّرُ لديهم الحركة بسرعة عالية وهم يستطيعون العيش في كل ما يجدونه أمامهم من حيوانات برية ومن ثمار الأشجار وهم يقاومون دون أكل فيما يعجز الآخرون عن مثل ذلك الصبر الغريب ولما أدرك الفرنسيون ميزة هؤلاء وعرفوا أن منازلة هذا القوم وإخضاعهم أمر بعيد المنال، ومن هناك فكرت فرنسا في أمل مصالحة هؤلاء مهما كانت الأحوال فارسلت إلى قيادة الثورة وفد برئاسة إدريس اق عثمان وعدد قليل من العسكريين فسار هذا الوفد إلى مقر قيادة المتنقل واتصل بقائدها وكبار مستشاريه وتمت الموافقة على أن يأتي القائد الفرنسي في يوم معين إلى ملتقي وادي إين تبها بوادي تارات حيث توصل الفريقين[1] إلى اتفاقية بعد إملاء الشروط من جانب إبراهيم اق ابكدا وقبولها من الجانب الفرنسي فأصبحت الأمور تجري مجراً طبيعياً وتحركت قوافل التجارة تجوب البلاد الصحراوية طولاً وعرضاً.

---

[1] الصواب : الفريقان.

معاهدة غدامس لسنة 1862م

رأى الطوارق الآزجريين أن لا مفر من زحف الأوروبيين الاستعماريين الذي كان من العسير إيقافه وبالتالي محاولة ضده وهم الذين تيسر لهم احتلال الجزائر في بحر ثلاثة وعشرين يوماً فقط في عام 1820 للميلاد تقديراً لما أكدته الظروف العملية على ارض الواقع فيما بعد والتي أتم الأوروبيين خلالها احتلال كامل أجزاء القارة الأفريقية وعلى هذا الوصف من مقاس تقدير الأمور بما ينتهي إليه الحال في خلال السنوات المقبلة.

ولذلك كانوا قد سارعوا إلى اغتنام فرص إلحاح الفرنسيين الأقوياء وقد شاهدوا بأم أعينهم هذه القوة المتصاعدة فبادروا بقبول الطلبات المتوالية من الحكومة الفرنسية بعد مقابلة والي الجزائر ومن بعده الإمبراطور نابليون الثالث.

فوقعوا معهم معاهدة غدامس 1862 في 26 نوفمبر لهذه السنة كانت **مادتها الأولى** تضمن الصداقة والتعاون بين السلطات الفرنسية ورؤساء الطوارق وسكان الجزائر.

المادة الثانية لا يدفع الطوارق مكرهاً على أموال بلادهم وأموال السودان التي يرفعونها إلى جميع أسواق الجزائر وينطبق ذلك على ما يدفع على الأموال الفرنسية المتشابهة.

المادة الثالثة يضمن الطوارق سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين القاصدين السودان خلال بلادهم ويأخذون لذلك إشارة المرور وأجرة الجمال حسب التعرفة الملحقة.

المادة الرابعة يترك الوالي العام في الجزائر أمر تحديد أسهل طريق للتجار الفرنسيين القاصدين السودان لخبرة رؤساء الطوارق وصداقتهم وحسن

نياتهم وتدفع مصاريف لفتح الآبار وصيانة الطرق التي ستحدد ليبين نياته الحسنة لقبائل الطوارق.

وبالإضافة إلى تلك المواد الأربع أضيف ما يلي :

(1) تضمن عائلة الحاج اخنوخن سلامة القوافل التي ستمر من بلادهم إلى دول شمال أفريقيا حسب التقاليد وتبقى الاتفاقات التجارية بين الشعانبه وموف وعائلات الآزجريين ثابتة.

(2) تدفع القوافل الفرنسية والجزائرية القادمة من السودان الإتاوة حفظاً لسلامتهم للشيخ اخنوخن ولممثليه أو لورثته وفق ما يحدده فيما بعد الشيخ والوالي العام للجزائر.

(3) تحل المشاكل التي تحدث بين التجار والمرافقين من الطوارق لدى الشيخ أو ممثليه بساحة العدل والصداقة وفقا للأحكام التقليدية في البلاد.

(4) يتعهد الشيخ اخنوخن وبقية رؤساء الآزجر بالاتصال مع قبيلة كيل أوى من حين عودتهم إلى غات وإقامة العلاقات مع تلك القبيلة لتضمن سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين عند عبورهم من بلاد آير 26 نوفمبر 1862.

التواقيع

عمر الحاج اق غسمان *هي : ميرشير*

عثمان بن الحاج النبي *ل : دي بولنياك*

وكثيرا ما وصفت هذه المعاهدة بأنها غدت حبرا على ورق ولم يكن لها شأن بين طرفيها المتعاقدين.

ولكن زيارة وفد الازجريين إلى الجزائر برئاسة عبد النبي اق علي ومرافقه المسيوج ميرى له باسم مكتب السودان وارقلة رافقه إلى تيماستين وواصل سيره نحو منخور وأخيرا قابل رئيس آزجر انقدازن ومولاى اق خداش في فبراير 1892 وابلغ هذا خبره ميرى أنهما متمسكان بمعاهدة غدامس لسنة 1862 للميلاد وهل هذا مما يعد حبرا على ورق؟

ثم قيام السميوق فورو بعدة رحلات بعدها في منطقة آزجر دون أن يلاقي أي مكروه ولا ما يحد من حريته وفي أثناء اجتماعاته بالآزجريين في المنطقة طرح ف. فورد موضوع فتح طريق تجارة السودان والعمل المشترك وفي أثنائها طلب الآزجريين إعادة الإبل التي أخذها الشعانبه عن طريق الغارات التي شنوها في السابق فأعطى 9000 تسعة آلاف فرنك لرؤساء الآزجر لذلك عام 1895 هل ذلك حبر على الورق؟

وأيضا مرور قافلة عبر المنطقة مؤلفة من عشر ضباط وثلاثة مائة من الجنود في عامي 1898 – 1899 والتي أدت إلى احتلال تشاد بقيادة المقدم بقيادة المقدم لامى أو لم يكن ذلك تطبيقا لمعاهدة غدامس؟

وأن الاستقرار العسكري الفرنسي بمنطقة آزجر لأول مرة بقيادة بتوشار صحبة رئيس قبيلة افوغاس المدعو عبد النبي اق علي في جانت بتاريخ 19 يناير ثم النهائي 1908 ذلك من جملة تطبيق نص المعاهدة أم لا؟

وبالإضافة إلى ذلك كان استمرار تقدم الوحدات العسكرية الفرنسية في دورياتها في الصحراء وبحرية فيها وتأسيسها قلعة اليزى بوليناك بين أعوام 1905 – 1908 وتمت هذه الأعمال ولم تحصل من الازجريين أية مشاكل وهل يعتبر

ذلك جزء من معاهدة 1862؟ أن هذه النقاط كافية لأهميتها لتحويل الاعتبارات القائلة بان معاهدة غدامس 1862 أضحت حبراً على الورق.

ولكن وقف الآزجريين تجاهها ذلك الموقف فأنهم فعلوا ذلك وفقاً لما تملئه عليهم مصداقية عهود عهودهم التي كانوا قد سبق أن قطعوها على أنفسهم تلك المصداقية المطلوبة في كل المعاهدات حتى اليوم بقطع النظر عن مرور 121 عاماً على توقيع معاهدة غدامس.

الطوارق والفرنسيون
في جنوب الصحراء الكبرى

بداية من موسى سلطان زنْدَرْ فهذا موسى[1] الذي لا يسره ولم يشعر في خاطره سوى الكره الشديد لاحتلال بلاده من الفرنسيين المسيحيين ولذلك دام على رفضه بصورة معلنة مكشوفة لإطاعته سلطته ولقد شرع موسى بتحريش الفرنسيين الذين يرى أنهم يمثلون صورة من صور القهر والإذلال لشعبه وتدميراً لاقتصاد بلاده كما أنه يراهم حكاماً دخلاء وكان من غير المستصاغ في رؤيته وهو كسلطان بلاده الشرعي وقد ورث عن أجداده هذا الاعتبار وأصر على موقفه هذا خاصة وأنه يعتمد اعتماداً كلياً على قبائل الطوارق ايمزواغن ومما يثير الاستغراب أنه كان معاديا في آن واحد فيكره قبيلة كيل اوتل الواسعة التي كانت تتقبل في التجاءه لها فيما قد تدعو الضرورة إلى مثل هذه القبيلة المترامية الأطراف في جبال آير[2]، ولكنه يعاديها ويشن عليها هجماته المتكررة ولما كانت قبائل كيل اوي سبق للفرنسيين أن احتلوا بلادها فإن حماية القبائل الآيرية منوط بالفرنسيين بطبيعة الحال.

وبعد سقوط منطقة تشاد بيد الفرنسيين في أكتوبر 1900 للميلاد صدرت الأوامر بالتخلص من موسى أيضاً، وهو الذي لا يخفى عداءه لهم منذ الأوان[3]

---

[1] هو سلطان قبيلة ازوراك التارقية بمنطقة دمرقوا شمال النيجر الحالي، المؤلف.

[2] في عام 1899 وصل الفرنسيون إلى زندر وقف موسى بمجموعاته ضدهم وقام بمهاجمتهم في عدة مواقع برجاله واستطاع أن يعرقل بل يوقف طرق القوافل إلى زندر واستطاع أن ينهب القبائل الموالية لفرنسا وأهمها قبيلة (كيل اواى) التارقية التي هاجمها وانتصر عليها في معركة هوكين عام 1899م واستولى منها على عدة قطعان من الإبل، المؤلف.

[3] الصواب : الوهلة.

الأولى من احتلالهم بلاد سلطنته وبدأ أن موسى كان مستقرا[1] في بلدة تان أماغى فإن التعليمات قد صدرت بالتوجه إليه في حملة ضمت مئة من الجنود الفرنسيين بقيادة العريف بوتميدا[2] بقصد إلقاء القبض عليه أو قتله وسيكون كيل أوى في مساعدة متعقبيه إذا لاذ بالفرار وهكذا وصلت الحملة إلى تان أماغي حيث مقر موسى وسكناه وفور وصول الجنود بدأت المعركة شديدة وحامية الوطيس وصفها الفرنسيون أنفسهم بشدتها وضراوة من حيث استبسال رجال قبيلة إيمزواق الذين وصفهم الفرنسيون بقولهم : فاندلع قتال كان عبارة عن معركة المجابهة بالأيدي حيث فقدت بنادقنا تفوقها الذي تكتسبه من مداها البعيد لأن أي طارقي يقتل يأتي آخر في مكانه وبالرغم من القيمة القتالية لدى رجالنا فإن بوتهيل يرى أنه لا يستطيع أن يقتحم ذلك المكان حيث يضحى موسى بروحه لا يعبأ بطلقات بنادقنا.

وهكذا استشهد موسى وعدد كبير من طوارق قبيلة إيمزوراق وبالإشارة إلى ما جاء في كتاب الطوارق لمؤلفه الدكتور محمد سعيد القشاط نقلاً عن حديث المؤرخ آندرى ساليفوا وبحرفية ما جاء في حديثه قوله : إلا أن الوحشية التي نهبت بها قريتي تاناماغي ساهمت في تعميق العداوة في نفوس قبيلة إيمزوراق ضد الفرنسيين.

وقد قتل موسى ولكن الرغبة في الانتقام ازدادت بين أتباعه الباقيين على قيد الحياة أمثال خنجر بن طلحة ابن الأخ الأكبر لموسى يساعده عمه دندا وقد هاجم هؤلاء الرجال قافلة كيل اويل قرب قيديقي في منطقة فركا شمال تانوت في ليلة 16 و17 يوليو 1901 للميلاد وغنم القافلة وفر أفرادها إلى زندر للاحتفاء

---

[1] تستبدل الجملة (وبدأ أن موسى كان مستقرا فى) بالجملة (وبعد أن استقر موسى فى).

[2] أن هذه الأخبار جاءت شهادة من الفرنسيين أنفسهم، المؤلف.

بالفرنسيين وهب الفرنسيون بقواتهم لإخضاع خنجر ودندا ومن معهما وشعر هؤلاء بالتحرك الفرنسي فاتجهوا بقبائلهم جميعا إلى الشرق نحو تشاد على ما يبدو [1].

وتذكرنا هذه الواقعة بواقعة قتل فيها محمد الحاج أحمد بو زمالة من أصل غدامسي ويبدو والى انهامى بالتأكيد لوقوعها في مكان يسمى فركا وتشتهر الروايات المتحدثة والشائعة عندنا باسم فركا وليس بين اللفظيين تباعد والواقعة هذه كانت ذات شهرة كبيرة في منطقة غدامس لأسباب منها وفاة المرحوم محمد الحاج أحمد بو زمالة ومنها أن غدامس تكبدت فيها خسائر كبرى بسبب ضياع قافلة ضخمة تحوى أموالا كبيرة لتلك البلدة لاسيما الناقلون لهذه القافلة وهم من قبيلة كيل اويل وهذا[2] من الأمور التي تجعلني أتأكد من هذا الاحتمال.

---

[1] في يوم 19 يوليو 1900م شكل الفرنسيون فرقة مسلحة عصرية لمهاجمة موسى وأتباعه في قرية (تان امارى) وأمام حشد من الناس العرب المسلمين من التوارق وغيرهم المسلحين بالسيوف والفؤوس والعصى وقفت الفرقة الفرنسية تطلق النار فى كل اتجاه ونشبت معركة هائلة غير متكافئة ويقول العريف بوتهيل قائد المجموعة الفرنسية "فاندلع قتال شديد كان عبارة عن مجابهة بالأيدى حيث فقدت بنادقنا تفوقها الذي تكسبه من مداها البعيد لأن تارقي يقتل يأتي آخر في مكانه ودامت المعركة ثلاث ساعات وأسفرت عن مقتل مجموعة كبيرة من المجاهدين من بينهم موسى دمقرقوما رحمه الله وتولى ابن أخوه من بعده يدعى خبجر بن طلحة ومعه عمه دندا واتجها بالمجاهدين العرب الليبيين في منطقة كانم بمنطقة تشاد الحالية. للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملتقى، بيروت لبنان، 1997م، ص 203.

[2] الصواب : وهذه.

الطوارق في وجه المستعمر

فالبرغم من أن الكتابات التي يعتمدها[1] المرء عليها لبيان وقائع وخلفيات الاحتلال الفرنسي لمدينة تيمبكتوا وما حوله فإنه لا يؤدي ذلك إلى إهمالنا لما كنا نعلمه مما هو شائع بين الناس باعتبار ذلك تفريطاً وتقليلاً من أهمية التاريخ المنقول وتغطية النظر عن وقائع الناس من حيث أعمالهم مهما كانت قيمتها وأوصافها، وفي هذا يمكننا أن نشير بإيجاز أن الفرنسيين واعتماداً على ما سلفت الإشارة إليه أنهم إبان مجيئهم إلى هناك فتحوا باب المفاوضات الهادفة إلى مصالحة زعماء بعض القبائل الطوارقية على تسليم مقاليد الحكم للفرنسيين وعقد النوايا الطيبة وعدم استعمال العنف طوال السنين المقبلة بين الطرفين.

ولكن[2] هذا عندما تغلغل الجيش الفرنسي وصادف مقاومة شديدة من قبائل تنجرإيجيف في عهد السلطان ماديدو وكانت المقاومة بزعامة بوكاروانزيد والأمير شبون فقد وصلت إلى مسامعنا منذ زمن مما يشاع عنهـــا من أخبار بأنها تعد من المقاومات العسيرة بسبب ما سقط أثناءها من قتلى[3] الطرفين وقد جاء ذكرهـــا في كثير من المواقـــع بالإيجـــاز[4] ضمـــن كتاب الطوارق للمؤلف محمد سعيد القشاط تحت صفحة رقم 202.

وقـــد أشـــار مؤلف كـــتاب الصحراء الكبرى: جميس ويلارد في حديثه عن مدينة تمبكتو بقوله : وكان باستطاعة الفرنسيين أن يدخلوها بسهولة وهكذا فعلوا إذ احتلوا المدينة دون إطلاق رصاصة واحدة ثم ساروا منها إلى الصحراء فأفسحوا المجال للطوارق كي يذبحوا في الليل طابور كامل وقد روى أن الضباط

---

(1) الصواب : يعتمد.

(2) يجب زيادة كلمة حدث.

(3) يجب زيادة كلمة بين.

(4) الصواب : بإيجاز

الفرنسيين الإحدى عشر فيما[1] فيهم قائدهم الكونوليل بويتيه كانوا عندئذ يلعبون الورق في خيامهم فربما بلغ الذعر بخدمهم السنغاليين حداً لا يستطيعون إنذار الضباط بأن الطوارق يختئبون في المنطقة المحيطة بهم.

على أن الطـوارق لـم يعودوا يشكلـون خطراً عندما جـاء إلى الساحـة رجل عسكري حقيقي هو الماجورجوفير كما كان يعرف جوفير القائد الأعلى المقبل للجيش الفرنسي فتمكن الماجور جوفير أن يقتل الطوارق كـما يقتل الذباب مقابـل خسـارة خـيال واحـد مـن أبـناء البـلاد المجندين[2].

---

[1] الصواب : بما

[2] لعل أن أكبر مشكلة واجهت الطوارق هو عندما بدأت أوروبا تتطلع إلى أفريقيا وذلك في القرن السابع عشر الميلادي حيث كان هاجس أوروبا الوصول إلى تنبكت حاضرة الصحراء وشاغل الأوربيين كونها مصدراً للذهب واستمرت البعثات في التدفيق إلى القرن التاسع عشر حيث بدأ الفرنسيون يتوغلون داخل الصحراء الغربية وحتى أعماق الصحراء الأزوادية متخذين من بعض الأفارقة عوناً لهم، لكن ما أن وصل الفرنسيون إلى منطقة الصحراء الكبرى بقيادة جوفر حيث تقيم القبائل العربية والطوارقية في ذلك الوقت قامت معارك مشرفة ضد المستعمرين وكانت تساندها في الدفاع عن الصحراء بعض القبائل الأفريقية من الهوسا والفلان ولا ننسى كيف تصدى العرب في مالى لدخول أول رجل أبيض جاءهم ليستكشف المنطقة فقد قتل على يد شيخ قبيلة البرابيش العربية وبعدها ذهب إلى تنبكت ريتيه كابيه الذي لم يكن يحلم إلا بالوصول إلى تنبكت أول أوربي يحقق مبتغاه ويدخل تلك المدينة الغامضة ما دعا الفرنسيين يستقبلونه استقبال الأبطال وحاولت فرنسا احتلال تنبكت بعدة طرق واستطاعت فرنسا احتلال تنبكت عام 1894م على يد القومندان جوفر واستطاعت بذلك صرف انتباه الشعب الفرنسي عما خسره في القارة الأوروبية وتمكنت بسرعة من القضاء على كل الزعامات التي تصدت لها على النظم التي كانت موجودة غير مستفيدة من حضارة المنطقة وحاولت فرنسا بعد احتلالها أن تألب القبائل ضد بعضها فأنشأت لبعض القبائل التابعة للطوارق قرى الحرية التي أسستها على أراضى منزوعة من سادتهم ووزعات ثقافتها في بلادهم ونجحت في تغيير المفاهيم بين سكان المنطقة ورغم أن الطوارق دخـلاء على منطقة تنبكت مما أوغر صدور الأفارقـة على الطوارق واندلعت بينهـم حروب مبيـدة= =وهذا ما كان فعلاً بعد خروج الفرنسيين من شمال مالى التي يقطنها الطوارق

حملة كاويسن لإخراج الفرنسيين من بلاده آيــر

كان محمد كاوصن[1] من قبيلة إيكزكزن[2] بآير انضم إلى حركة الأخوان مجاهدا وامضي معارك ضارية ضد الفرنسيين منها بئر العلالي انقلكا وغيرها كثير ولم تصل حملة كاويسن إلا بعد القضاء على الحامية الإيطالية بقيادة الملازم - كوتيكا واحتلال مركز أوباري[3] بقيادة مولاي اق الهامشي الذي ينتمي إلى فــرع مــن

حتى سلم للأفارقة ليبقي الطوارق يضطهدون على ايدى حكام جدد وتصدى لهم فرسان الطوارق أمثال كاويسن وآق أنصار، للمزيد عمر الأنصاري، المرجع السابق، ص 61-62.

(1) محمد كاوصن : ويسمونه كاويسين ويقوله آخرون كوش، ولد بمنطقة دمرقو حوالى عام 1880م وهو أحد أفراد قبيلة ايكزكزن التارقية وأحد أفخاذ قبيلة (والليمدن) التي تعتبر ورثية قبيلة لمتونه العربية الحميرية التي كان لها الدور الكبير وتأسيس دولة المرابطين، تعلم محمد كاوصن في منتجعه على يد فقهاء الدين وحفظ القرآن كعادة بدو الصحراء، وانتقل إلى الشرق حيث التقى بالشيخ عبد السلام قريمش الزوى الليبى الذي لقنه ورود الطريقة السنوسية وأدخله فيها في بلاد تشاد ولما هاجم الفرنسيون النيجر وقف محمد كاوصن يقاتلهم مع المجاهدين الليبيين في منطقة تشاد وخاض الحروب تحت قيادتهم، والتقى مع الشريف قائد المجاهدين وشيخ الطريقة فأعجب بشجاعته وولاه مركز (عين ابدى) وطارد الطليان وطهر اوبارى ومرزق من الطليان، ولاه محمد عابد إدارة منطقة الجفرة هون وسوكنه وودان لمدة ثلاثة أشهر ومنها انطلق إلى غات وبعدها إلى اقدز ومنها عاد إلى ليبيا ولكن في واحة (أم العظام) شرقي مرزق نصب له أحمد العياط البوسيفي كمينا استطاع أن يباغته فيه ويقتله وذلك يوم 5 يناير 1919 إفرنجي عليه رحمة الله وذلك انتقاما منه لأنه سبق وأن عذب وقتل مجموعة من أولاد بو سيف أيام ولايته على الجفرة، للمزيد انظر محمد سعيدالقشاط، أعلام من الصحراء، ص 191 - 192.

(2) ايكزكزن قبيلة طارقية تقطن شمال النيجر الحالي وهي أحد أفخاذ قبيلة والليمدن التي تعتبر وريثة قبلية لمتونه العربية الحميرية التي كان لها الدور الكبير في تأسيس دولة المرابطين، المحققة .

(3) اوبارى تمتاز اوبارى يموقع فريد حيث تعد الباب الغربي للوادى من جهة الغرب فهي تقع في نهاية العمران بهذا الوادي من جهة الغرب منذ أن عرف الإعمار به أما ما يحدها بالحدود اليوم فهي من الشرق الديسة وحطايا تاتقللت وأما من الغرب يحدها سريرة وادي ايرادن ومن الجنوب الجبال التي تعد الحافة النهاية لهضبة امساك السوداء وأما من الشمال السبخه وكذلك الرمال

فروع قبيلة أوراغن وموزع كيل تدرارت وكانت القبائل التي اشـتركت أهمهـا قبيلتي أوراغن وأمنغساتن وقبائل أخرى ذات أهمية ثانوية فبعد القـضاء علـى حامية أوباري وقبلها القاهرة بسبها بقيادة أحمد اق محمد المحـروق مـن قبيلـة الزنتان ومساعده كورى أوغيس من قبيلة أمنغساتن وفي الأشهر الستة من سـنة 1916م كانت قد رحلت حملة كاويسن إلى مناطق مرزق ووادي الآجال متجهـة نحو الغرب عبر طريق أراوت – أوباري – غات في اتجاه بلـدة غـات الـذي يتمركز بها حاكماً من قبل حركة الأخوان بعد عزل حاكمها السابق المدعو عبـد السلام الزحون ومن بعده أبي بكر النعيمي من قبيلة الـزاويين مـن نـسل أولاد سيدي الشيخ وكان الاثنين[1] قد عينا من قبل حركة الأخوان على التوالي وكـان عبد السلام الزويتي هذا بنفسه مع السلطان أمود[2] الطوارقي في حملته للاستيلاء على جانت بعد إخراج الفرنسيين منها، وقد دامت محاصرتهم للحامية بهـا مـدة طويلة من الوقت يتراشقون أثناءها بقذائف المدافع حيث يقول لي شاهد عيان من جملة طاقم المدفعية الأخوان وهو برتبة ملازم ومن جملة هذا الفريق رجل يدعى أخود اق التهامي من قبيلة أمنغساتن وكنت أعرفه معرفـة جيـدة يقـول شـاهد المعركة بينما كان القصف متبادلاً أثناء النهار كان كلما هدمناه من جدار الحصن رأينا أن الفرنسيين قد أعادو بناؤه ليلاً وكانت التراشق بيننا لا يخلو من بعـض النظام وإذا كان الفرنسيين[3] إذا قد أرادوا إيقاف القذف أطلقوا دخان كثيف إشارة

الواقعة في نهايتها يحدانها من الشمال وتقدر مساحة اوبارى بحوالى 120 كم مربع تقريبا واقعة كلها في أرض منبسطة متجهة من الجنوب نحو الشمال، للمزيد انظر الأمين محمد الماعزى، المرجع السابق، ص 500.

(1) **الصواب : الاثنان.**

(2) **وهو المدعو محمد ضير من كيل تارات التابعة لحامية قبيلة أوزان، المؤلف.**

(3) **الصواب : الفرنسيون.**

تتوقع نفس الغارات من وحدات كاويسن وبعد انتشار أخبار هذه الإغارات السالفة جاء موسى اق اماستان من تمنغست فرحل إلى قبائله الرُحل بصحراء تمسنة وكان قد أراد الذهاب إلى آير حيث كان قائد الحملة كاويسن وذلك لمعرفة نواياه عن كثب فتحرك في قلة قليلة من رجاله قاصداً حيث كان يقيم كاويسن ومحل قيادته فوصل موسى وحط رحاله فسار نحو القيادة وطلب المقابلة ولم يوافق القائد على الفور ولكن نفر من الحاشية ألح على القائد وقال أنا لا أسلم على أجيظ ومعنى هذا اللفظ حمار لما أذن له في المقابلة حيث سلم موسى الزائر على قائد الحملة قال كاويسن لزائره موسى يجب عليك إثر تسليم سلطنة أهقار إلى فلان مشيراً إلى رجل من قبائل أهقار فكان منشقاً على موسى ومن معارضيه لم أتعرف على اسمه وكان كاويسن يكرر هذا القول مرات ومرات وشددوا عليه وكان موسى قبل دخوله على القائد قريب من مكان وجود كاويسن بحيث وقع في آذانه لفظا أجيظ وبعد أن انهي موسى هذه المقابلة رجع إلى مكان رحاله وحينما فرغ من تناول طعام العشاء أمر موسى جماعته بمغادرة المكان في شئ من التملل وساروا في تلك الليلة إلى الصباح مواصلة إلى وقت الظهر حيث التقي برجل في طريقه إلى مكان كاويسن قال له موسى قل لكاويسن بعد خمس عشرة يوماً ستعرف من هو أجيظ أم أنت ولما وصل[1] موسى إلى قبائله بصحراء تمسنة استنفر رجاله وقصد كاويسن في حملة كبيرة فهاجم بالقيادة ذاتها مما أدى إلى هزيمة حملة كاويسن وتقهقرها إلى جهة الشمال متخذاً وجهة واحة واو متجنين طريق آير – بلما الذي يسيطر عليه الفرنسيين[2] مقتحمة الصحراء الواقعة إلى الجهة الغربية لهذه الطريق حتى وصلت واحة تجرهي ووجدوا هناك

---

[1] أن القائد كاويسن بالرغم من جهاده فإنه كان خشناً وغليظ الطباع مما اللب عليه من كان حوله من الناس وزعماء القبائل وسلاطين المنطقة أيضاً، المؤلف.

[2] الصواب : الفرنسيين.

تتوقع نفس الغارات من وحدات كاويسن وبعد انتشار أخبار هذه الإغارات السالفة جاء موسى اق اماستان من تمنغست فرحل إلى قبائله الرُحل بصحراء تمسنة وكان قد أراد الذهاب إلى آير حيث كان قائد الحملة كاويسن وذلك لمعرفة نواياه عن كثب فتحرك في قلة قليلة من رجاله قاصداً حيث كان يقيم كاويسن ومحل قيادته فوصل موسى وحط رحاله فسار نحو القيادة وطلب المقابلة ولم يوافق القائد على الفور ولكن نفر من الحاشية ألح على القائد وقال أنا لا أسلم على أجيظ ومعنى هذا اللفظ حمار لما أذن له في المقابلة حيث سلم موسى الزائر على قائد الحملة قال كاويسن لزائره موسى يجب عليك إثر تسليم سلطنة أهقار إلى فلان مشيراً إلى رجل من قبائل أهقار فكان منشقاً على موسى ومن معارضيه لم أتعرف على اسمه وكان كاويسن يكرر هذا القول مرات ومرات وشددوا عليه وكان موسى قبل دخوله على القائد قريب من مكان وجود كاويسن بحيث وقع في آذانه لفظا أجيظ وبعد أن انهي موسى هذه المقابلة رجع إلى مكان رحاله وحينما فرغ من تناول طعام العشاء أمر موسى جماعته بمغادرة المكان في شئ من التملل وساروا في تلك الليلة إلى الصباح مواصلة إلى وقت الظهر حيث التقي برجل في طريقه إلى مكان كاويسن قال له موسى قل لكاويسن بعد خمس عشرة يوماً ستعرف من هو أجيظ أم أنت ولما وصل[1] موسى إلى قبائله بصحراء تمسنة استنفر رجاله وقصد كاويسن في حملة كبيرة فهاجم بالقيادة ذاتها مما أدى إلى هزيمة حملة كاويسن وتقهقرها إلى جهة الشمال متخذاً وجهة واحة واو متجنين طريق آير - بلما الذي يسيطر عليه الفرنسيين[2] مقتحمة الصحراء الواقعة إلى الجهة الغربية لهذه الطريق حتى وصلت واحة تجرهي ووجدوا هناك

---

[1] أن القائد كاويسن بالرغم من جهاده فإنه كان خشناً وغليظ الطباع مما اللب عليه من كان حوله من الناس وزعماء القبائل وسلاطين المنطقة أيضاً، المؤلف.

[2] الصواب : الفرنسيين.

مبني قديم أزالوا منه الأتربة والأوساخ فأقام فيه سلطان أقذر المدعو عبد الرحمن تقامه[1] الذي انضم إلى حملة كاويسن عند محاصرته لمدينة أقدز فقد سكن عبد الرحمن في هذا القصر مع جميع من الطوارق الآيريين وجماعة من الشعانبه

---

[1] عبد الرحمن تاقامه : هو سلطان طوارق آقذر وكان على اتصال بالمجاهدين الليبيين وانضم معهم في الانتفاضة ضد الفرنسيين في آقدز لما وصل محمد كاوصن المجاهد التارقي المرسل بقواته من ليبيا إلى اقدز يوم 13 ديسمبر كان السلطان عبد الرحمن من أكبر مساعديه واستمرت المعركة طيلة الأشهر ديسمبر 1916 ويناير وفبراير 1917 إلى يوم 3 مارس حيث استطاع الفرنسيون فك الحصار ودحر قوات المجاهدين الذين انسحبوا إلى الشمال يرافقهم عبد الرحمن تاقامه، واستمروا طيلة 1917 و1918 يشنون معارك خاطفة ضد الفرنسيين في شمال النيجر ومالى وشرق تشاد وجنوب الجزائر وبلاد الآير، وتغلغلت مجموعاتهم حتى وصلت قرب طاوه شمال نيامي ودحرت الفرنسيين في كثير من المواقع وزحفت المجموعات شمالا حتى وصلت تجرهى في ليبيا جنوب مرزق واعترض لها خليفة الزاوى مع الإيطاليين وصدها عن التقدم نحو الشمال وهنا رجع عبد الرحمن تاقامه إلى الصحراء ودخل إلى بلاد التبو الذين يعتبرون الأعداء التقليديين للتوارق وجهز الفرنسيون حملة لتتبع مجموعة عبد الرحمن تاقامه وكانت مجموعة عبد الرحمن في حالة من البؤس ونقص المواد الغذائية والسلاح والذخيرة مما اضطرهم لذبح جمالهم ليتغذوا بها. وفي ادريونا شرق داوتمى في يوم 7 مايو 1919 استطاع الفرنسيون تطويق المجموعة الصغيرة وسقط عبد الرحمن أسير بعد أن نفذت ذخيرته، في استجواب عبد الرحمن قال : "إن رجالي عشرة رجال لم يسبق منهم إلا واحد فقط رجل من الشعانبا كان قد خرج للصيد قبل وصولكم ومن (كيل اواى) بقي (فونا) واثنان من رجاله ورجل واحد من ايكزكزن وهذا ما بقي ..." وفي يوم 24 أغسطس 1919م وصل السلطان عبد الرحمن تاقامه إلى زندر عاصمة سلطنته مقيدا بالسلاسل محمولا على جمل حيث أودع السجن في انتظار محاكمته ولكن الحقد الصليبى الاستعماري لم يمهله لأنتظار المحاكمة بل أن النقيب الفرنسي (فيدالى) أمر المعسكر تسلل ليلا إلى سجن عبد الرحمن تاقامه وخنقه حتى مات في ليلة 29-30 إبريل 1920م وأعلن أنه انتحر غير أن الطبيب الشرعي الذي أحضر لمعاينة الجثة وتشريحها أ·لن في تقريره أنه مات مخنوقا وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد البطل الذي قاوم الاستعمار الفرنسي ملوحا بالسلطة والمال بعيدا تاركا أمواله نهبا للمستعمرين رافعا لراية الجهاد طيلة أربعة أعوام كاملة في الصحراء الكبرى، للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، ص 102.

حتى فوجئوا بهجوم من قبل أنصار خليفة الزاوي فردوا ذلك الهجوم الذي تواصل لمدة شهر على الأكثر وفي هجوم آخر وقع أمام مدخل القصر ليلاً[1] ارتحل المهاجمون من واحة تجرهي تاركين أربعة قتلى بسيوف رجال عبد الرحمن أمام فوهات المدافع.

أما كاويسن فمنذ وصولهم[2] واحة تجرهي توجه إلى واحة واو لتزود بالمؤن والذخيرة اللذان[3] بدأت تنقصهما من وقت وجوده بآير ولكنه بعد أن جهز حمولة أربعين جملاً سار بها في طريقه إلى جماعته اللذين تركهم بواحة تجرهي ولم وصل واحة أم العظام بالقرب من زويلة حيث قتل على يد أنصار خليفة الزاوي 1919م وهكذا كانت خاتمته بطلاً من أبطال الطوارق ولما أيقن عبد الرحمن تَقَامة أن كاويسن لم يكن مالك من أمره شيئاً وأنه ليس على قيد الحياة ذلك لطول مدة فراقه لهم ولوجود عداوة لم تكن في الحسبان اختار هو وجماعته الرجوع إلى آير مهما كانت الأحوال السيئة فرجعوا حتى وصلوا واحات كاوار حيث استقبلهم فلاحين[4] فأوجدوا[5] لهم الطعام والماء فقالوا لهم : إننا سنعلم عنكم الحامية الفرنسية وإلا أعدمنا في حال عثورهم على آثارهم[6]، وتوجهوا نحو المرتفعات العالية وتعقبهم الفرنسيون وحصلت بينهم معركة فسقط أثناءها عدد من رفاق عبد الرحمن أما هو فكان محتمياً بجرف منيع حيث طوق بالجنود من كل جهة ومما اغتنم به هو مخاطبتهم له قائلين أننا على يقين من أنك في

---

(1) الصواب : الفرنسيون.

(2) يجب زيادة كلمة بعدها

(3) الصواب : اللذين.

(4) الصواب : فلاحون.

(5) الصواب : فقدموا.

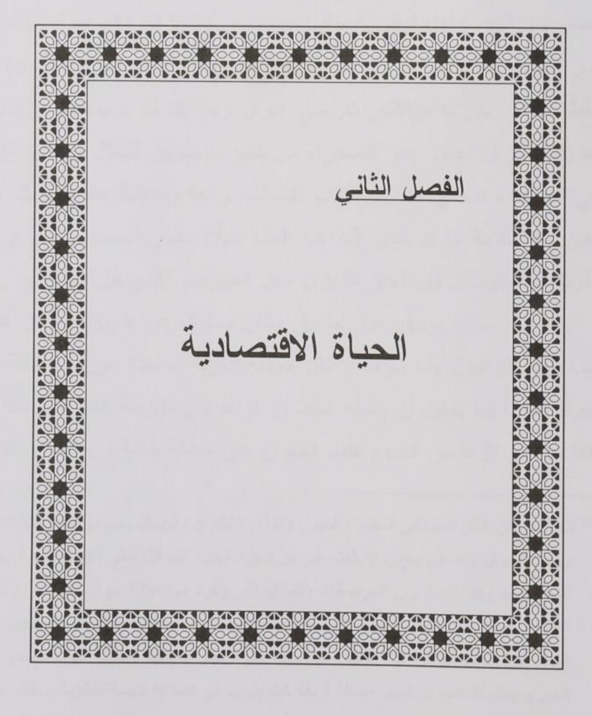
(6) الصواب : أثاركم.

مكان منيع الآن ولكن لا نشك في أنك تحتاج إلى الماء إذ أنك بالغ بك العطش[1] مبلغه فها نحن ندلى لك وعاء به ماء فروى[2] به عطشك فأدلوا له سطلاً بواسطة حبل فلما عرفوا أنه امسك به تساقطوا من جهتان من الجرف فامسكوه فشدوا وثاقه وأوصلوه إلى أقدز فعرضوه على الناس وأودعوه ولم تره عين بعد.

---

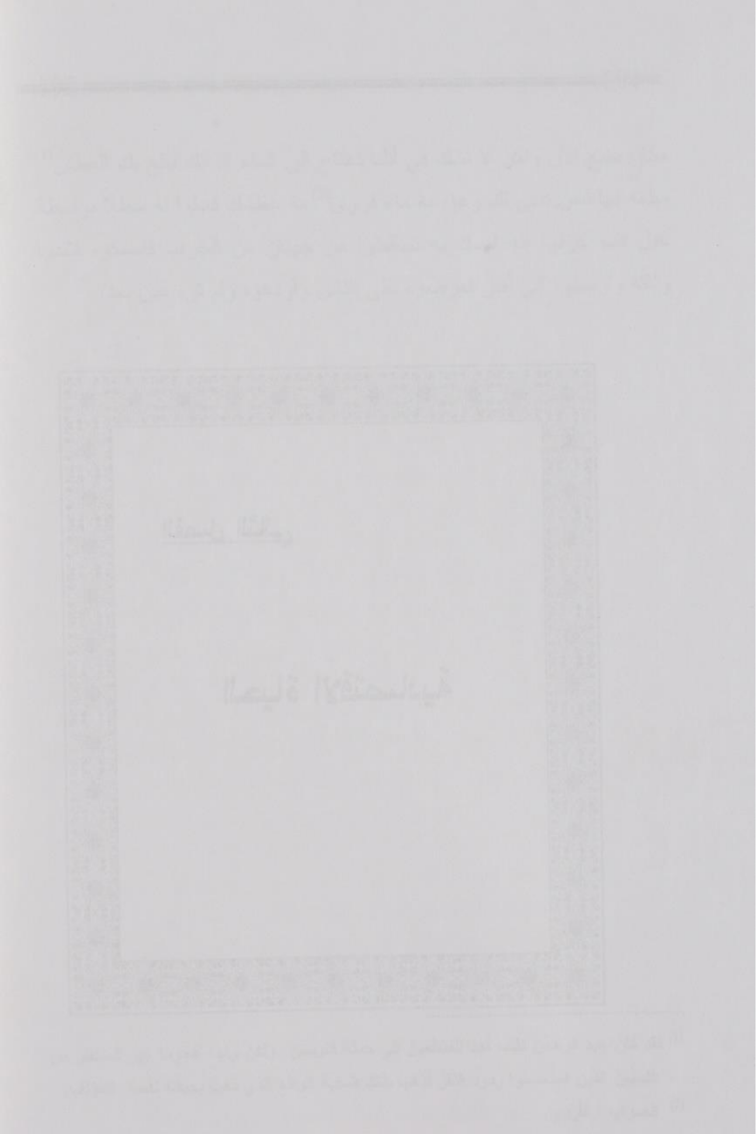
[1] فقد كان عبد الرحمن تقاما أحد المنظمين إلى حملة كاويسن ولكن واجه هجوماً غير المنتظر من الليبيين الذين استحسنوا ردود النار فذهب بذلك ضحية الواقع الذي ذهب بحياته نفسه، المؤلف.

[2] الصواب : فأروى.



الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية



القوافل والطرق العابرة

بين الشمال والجنوب

لاشك في أن وسائل النقل عند الإنسان هي الحيوانات التي تم ترويضها واستخدامها لأغراضه الخاصة ولتصبح هي وسائل النقل عند الجماعات المتنقلة بين جهة وأخرى، تنحصر هذه الوسائل في أصناف ثلاثة هي : حصان – ثور – حمار ولا شئ سواها، فهذه الأصناف نحن نعلم بأنها لا قدرة لها على النقل سوى بين المناطق المتقاربة في مختلف جهات الصحراء، وليست تلك المتباعدة عن نقط المياه، ولكن عالم الآثار الفرنسي هنرى لوت أكد لنا بوجود طريق لمرور عربات تجرها الخيول عبر الصحراء من خليج سرت في الشمال إلى نهر النيجر في الجنوب وهذه في حد ذاتها كانت اكتشافات رائعة ومدهشة حقاً، وإذا كنا على يقين من سلامة ما قد أشار إليه هذا العالم بشأن عبور الصحراء الكبرى عن طريق هذه الوسائل فإن الخبر ما يزال محل استغراب الكثير من الناس[1].

وإذا سلمنا بوجود هذا الطريق وكان مسلوكاً عن طريق الوسائل نفسها فإنه يحق لنا القول بأنه سوف لا تقل حمولة العربة الواحدة عن أربع مائة كيلو غرام تقديراً لما يمكن أن يحمله الحصان الواحد من الأربعة الجارة مضافاً إلى هذا ما كان لازماً من الماء وعلف الحيوان عبر مسافة خالية من الماء والكلأ لا

---

[1] تتمثل وسائل النقل قديماً في الحمير والخيول والبغال والثيران والجمال وفي مراحل لاحقة العربات وحتى الإنسان ذاته في بعض الأوقات غير أن شهرة تجارة القوافل تبقى دائما مرتبطة بحيوان نقلها الفريد وهو الجمل وأن المواصفات والمزايا التي ينفرد بها هذا الحيوان كانت وراء تحقيق انعطافة كبيرة في تاريخ التجارة القديمة وطرقها ومواردها وأصحابها وتأثيرها وتصل قدرة الجمل إلى تحمل العطش مدة خمسة إلى ستة أيام ويصل بعضها لعشرين يوما فتسمى الإبل الجوزي وباستطاعتها أن تسير مسافة أربعة كيلومترات في الساعة نتيجة لقطعها مسافات طويلة جداً عبر الصحراء عرفت بسفن الصحراء. ولا يمكن للثيران والخيل والحمير نقل بضائع مسافات، للمزيد انظر رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص 9.

تقل في بعض الحالات عن مائة وخمسين كيلومتراً ولم يكن اجتيازها من الأمور الهينة في كل فصل، ولذلك نجيز لأنفسنا القول : بأنه إذا كان القصد من استعمال هذا الطريق بما ذكر هو ممارسة التجارة بأنواعها وبشكل مفيد فإنه بالنظر إلى تكاليفه الباهظـــة فاعتقد أن نتائج هذه التجارة في آخر أمرها لن تكون مشجعة بل[1] لم يستفاد منها أبداً.

وأما إذا كان هذا الطريق يسلك لأغراض عسكرية تبعاً لمغامرات حكومة الجرمنتين ونشاط شعبها فلم يكن من المستبعد جزئياً. سوى نقل الجنود ومستلزماتهم الحربية ومؤن وماء وأعلاف الحيوانات وهذه قد تكون العربة المجرورة في وسعها حمل هذه الأشياء وعلى أن يكون ذلك خلال فصول الخريف والشتاء وأوائل الربيع فقط، أما الثيران والحمير فلا شك في عدم قدرتها على عبور الصحراء الكبرى محملة بالأثقال وأن باب الصحراء مقفل في وجه التجارة المنقولة فوق ظهور الخيل والثيران والحمير.

وأنني في هذا المعنى خلاف فيما قال[2] بوفيل وغيره.

ولما جاء الجمل[3] المتأخر الوصول إلى الصحراء وهو الذي ميزه الله بين الحيوانات بقوة خارقة بالصبر على شدة العطش والجوع أياماً وأيام. فدخل

---

[1] **الصواب : لم تكن مشجعة بل لم يستفاد منها أبداً.**

[2] **الصواب : لما قاله.**

[3] **بظهور الجمل أصبح للصحراء شان وقابلة للسكن والعبور والجمل هو وسيلة نقل في التجارة الصحراوية والمجالات ولا يستغني عن المهارى في السفر عبر الصحراء ولولا هذا الحيوان لأصبح من باب المحال عبور الصحراء الكبرى، أنه قادر على تحمل حمولة أكبر نسبيا ويستطيع أ، يعيش عند الضرورة عشرة أيام بدون ماء ويكتفي بأقل أنواع الغذاء ويتميز بمعرفته للأماكن وليس من النادر أن تهتدي قوافل ضلت طريقها إلى إحدى الواحات أو الآبار بواسطة مقدرة الجمال على تتبع الأثر فهي تشتم الماء من بعيد وبخاصة إذا ما عطشت وتترك عندئذ حرة في سيرها وعلى الرغم من موقفها.**

هذا الحيوان من الحياة في مجالاتها المختلفة، في الحرب والركوب والنقل وأعمال الزراعة المتعددة.

فهو فقط الذي ساعد بفعالية وبنجاح على فتح باب الصحراء المغلق منذ أحقاب من الزمن في وجه اتصال شعوب القارة الأفريقية ببعضها، فاستهل عمله بنقل البضائع التجارية الهائلة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس ثم تلتها ثقافات وعلوم وأفكار الشعوب عبر دروب صحراوية غاية في القوة من حيث طبيعتها الشديدة، ومن شتى مخاطر أخرى لم تكن في الحسبان بعد، ولكننا نعلم أن شائعات أخبار المكاسب وأرباح طائلة ووفرة الذهب في السودان أمور كفيلة بأن تطمس كل تلك المخاطر وأهوال الصحراء وغطرسة سكانها عند رؤية أولئك التجار.

فتتحرى قوافل الشماليين على طريق يبدونه من مدينة فاس[1] بمحاذاة الأطلس جنوب مدينة شنقيط[2] ومناطق نهر النيجر الأعلى.

وتمتز المهارى وهي في حالة جيدة بحيوية بالغة تجعل الواحد منها يملك القدرة دائما على الهيمنة على إبل الساحل التي لا ينفك عن عضها ومنعها من بعضها ويمنعها من الأكل معه وحين يمتطي الطارقي مهاريه وهو في كامل ملابسه المتعددة الألوان وسيف يتدلى على ظهره وخنجره تحت ذراعه اليسري في حين يمسك بالرمح في اليد اليمني يبدو وكأنه مقاتل ذاهب إلى الحرب لا يفكر في شئ ولا يخاف من أحد سوى الله، للمزيد انظر رولفس غيرهارد، رحلة عبر أفريقيا، ص 226.

[1] **يبدأ أقليم فاس من غرب نهر أبى تعراف ويمتد شرقا إلى نهر ايتاون وينتهي بينهما شمالا عند نهر سبو وجنوبا عند سفح الاطلس هذا الاقليم عجيب حقا بوفرة حبوبه وثماره ومواشيه ويقوم فوق جميع رباه قرى كثيرة جدا، وتقع بالمغرب الإقصى، للمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج 1، ص207.**

[2] **شنقيط : مدينة بأقصى المغرب تكتب بالقاف أو الجيم وشنقيط في الاصل تطلق على مدينة من مدن أدرار واقعة فوق جبل جهة غرب الصحراء الكبرى ثم أطلق على كل القطر وتعني شنقيط عيون الخيل نظرا إلى أنه يقع في هذا الموقع عدد من العيون تشرب منها الخيل فأطلق عليها الخيل وتنقسم شنقيط إلى عدد من الأقسام منها : ادرار، للمزيد أعبيدي بن الطالب الداه، الدرر الوهاجة في قبائل صنهاجة، ورقة 7، المحققة، محمود بن أحمد شغال، لمحات من تاريخ شنقط، ورقة 2، محققة.**

ثم على طريق سجلماسة[1] فتغازا موقع مناجم الملح فولاتا تاودنى موقع مناجم الملح الأقرب نسبيا إلى السودان وهذين المنجمين على رعاية قبيلة مسوفة الطارقية في غرب الصحراء الذين يفرضون رسوما على كل جمل بعير يمر على أرضهم وهو دوقة ذهبية أي مصكوكـــة ذهبية أو ما يعادلها من ملابس أو بضاعة أخـــرى.

---

(1) سجلماسه : إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه ويمتد على طول واد زيز ابتداء من الخنك من المضيق القريب من مدينة غارسلوان ونزولا نحو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلا حتى تخوم صحراء ليبيا، وتسكنه قبائل بربرية مختلفة، أما زناتيه أو صنهاجيه أو هورية وكانت في القديم خاضعا لسلطة عاهل مستقل لكنه خضع بعد ذلك ليوسف ملك لمتونه ثم انتقل للموحدين، وقد استولى بنو مرين على هذا الإقليم بعد اضمحلال مملكة الموحدين، وعهدوا بحكمه إلى أقرب الناس إليهم وخاصة أبناءهم وظل الأمر كذلك إلى أن مات أحمد ملك فاس فثار الإقليم وقتل أهل البلاد الوالي وهدموا سور المدينة فبقيت خالية حتى يومنا هذا وتجمع الناس وبنوا قصور ضخمة ضمن المملتكات ومناطق الإقليم بعضها حر والبعض الآخر خاضع للأعراب والمشهور أن سجلماسة من تأسيس بنى مدرار الخوارج في أواسط القرن الثاني الهجري إلا أن ابن أبي محلى السجلماسى ذكر تقييده في التعريف بمدينة سجلماسة أنها من تأسيس العرب الفاتحين عام **40هـ** ثم وسعها بنو مدرار فكانت عاصمة لتلك المملكة الخارجية إلى أن استولى عليها الفاطميون ملوك القيروان، فأدرت عليهم أموالا طائلة باعتبارها مركزا تجاريا مهما في طرق القوافل المتجرة في السودان ولما قامت دولة المرابطين في أواسط القرن الخامس الهجري رجعت سجلماسه إلى حكم المغرب وظلت عامرة كذلك أيام الموحدين والمرينيين إلى أن خربت قبيل قيام قيام دولة الحسنيين المعروف آنذاك بالقصبة السجلماسيه حيث ضريح المولى علي الشريف، ومازالت أطلال سجلماسة ماثلة للعيان بالقرب من الريصاني ويسميها المدينة الكبيرة، ويقتات عامة الناس فيها بالتمر والقليل من القمح وتكثر العقارب بكمية مهولة في جميع القصور لكن لا وجود للبراغيث وتشتد الحرارة في الصيف وكذلك الغبار إلى حد أن فيما اظن يسبب التهاب أعين الناس وكثيرا ما يجف النهر في هذا الفصل من السنة يقل الماء جدا بحيث لا يجدون غير الماء الملح المستخرج من الآبار المحفورة باليد، دائرة هذا الإقليم نحو ثمانين ميلا، ولما كان الاتفاق سائدا بين السكان فإنهم بنوا بأقل ثمن أسوارا لرد غارات الفرسان الأعراب وطالما بقوا متحدين بإرادة مشتركة وعاشوا أحرارا لكنهم هدموا هذه الأسوار عندما افترقوا شيعا وأحزابا واستعان كل حزب بالأعراب للدفاع عن نفسه فأصبحوا بذلك اتباعا أو كعبيد للأعراب، كانت سجلماسة مدينة متحضرة جدا دورها جميلة وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان وكان فيها مساجد جميلة ومدارس وذات سقايات عديدة يجلب ماؤها من النهر، تأخذه ناعورات من واد زيز وتقذف به في قنوات تحمله إلى المدينة وكان هواؤها طيبا، وسجلماسة الآن خرابة تماما، للمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج 2، ص 120-128.

فبلدة أروان[1] – فتنبكتو[2] ثم من مدينة تلمسان[3] – وارقلا[4] – عين صالح[5] – توات[6] – تادمدكت – تينبكتو – وقاو.

ثم من تونس[7] – بسكرا[8] – عين صالح – تادميكت– تينبكتو– قاو.

---

(1) اروان : مدينة صحراوية تقع إلى الشمال من مدينة تنبكت التي تقع ضمن نطاق جمهورية مالي احتضنت صفوة من علماء أفريقيا فيما وراء الصحراء مثل الشيخ سيدي أحمد بن آد والشيخ محمد محمود الارواني، الترجمان في تاريخ الصحراء وأروان، ورقة 20، مجهول، خبر السوق، ورقة 20.

(2) تنبكت : هكذا تكتب وليس كما ورد في فتح الشكور وهي مدينة تاريخية تقع إلى الشمال من العاصمة بماكو وتبعد عنها بحوالى 1300 ك م وهي على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى وتحدث عن موقعها وتأسيسها عدد من مؤرخي السودان الغربي وتأسست في القرن الخامس الهجري على أيدي طوارق امقشرن وجاءت تسميتها من امرأة تدعى بكث وهي من أعلام المنطقة، أدت المدينة دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية وكانت بها جامعة سنكرى التي بناها المهندس الليبي عبد الله الكومى الموحدى الغدامسي في القرن التاسع الهجري / الرابع العشري الميلادي، وأصبح فيما بعد مستشارا للملك منسا موسى ملك مالى امتدحها السعدى بقوله ..... ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين والأولياء والزاهدين، انظر عبد الرحمن السعدى، تاريخ السودان، باريس، نشر هوداس وبنوه 1964م، ص 31.

(3) تلمسان : تقع في الجزء الغربي من الجزائر الحالية واشتهرت بصلاتها الواسعة مع بلاد السودان الغربي وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي لها، وللمزيد انظر مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 176 – 177.

(4) ورقلة: مدينة آزلية بناها النوميديون التوميديون في صحارى نوميديا لها سور من الآجر النئ ودور جميلة وحولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدد من قصور وعددد لا يحصى من القرى والصناع كثيرون وسكانها أغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة آقدز منهم عدد كبير من التجار الأجانب والغرباء عن البلد لاسيما من قسطنطية وتونس يحملون إلى ورقلة منتجات بلاد البربر يستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان، للمزيد انظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 136.

(5) كومب صالح "كومبي" في لغة الزنوج مدينة صالح ويبدو أن مؤسسها رجل يدعى صالح وهذا يدل على وصول المؤثرات العربية الإسلامية مبكرا في تلك البقاع، بازل دافس، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد احمد، بيروت – دار الثقافة، 1961م، ص 368.

(6) توات : تعد توات من أهم المراكز التجارية التى تقوم بتنظيم القوافل التجارية وتوفير مواردها وتقع على الطريق التجاري الذي يربط الشمال الأفريقي ببلاد السودان الغربي وقد اهتم أهلها بالتجارة وهاجروا من أجلها واستقروا في بلاد السودان الغربي وكونوا جاليات كبيرة استقرت في مدنه الهامة ومارسوا التجارة وأدوا دورا هاما في حياتها الثقافية، للمزيد انظر ابن خلدون، ج 6، ص 117– 118.

(7) تونس: يسميها العرب توتس وكان تدعى في غابر الأزمان ترسيس كنظيرتها الآخرى في آسيا وهي مدينة صغيرة من تأسيس الأفارقة على ضفة بحيرة المكونة من قناة حلق الوادي بعيدة عن البحر المتوسط بنحو ميلين بدأت في النمو بعد تخريب قرطاج، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص70

(8) بسكره: مدينة عريقة في القدم أسست أيام الرومان يحكمون بلاد البربر وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية في أفريقيا وهي الآن عامرة كما ينبغي

ثم من طرابلس-غدامس[1]-عين صالح-تادميكت-تينبكتو-اوقار.

ثم من طرابلس[2] - غدامس - غات[3] - أقـدس - كاتسينا[4] - كانو[5].

ثم من طرابلس - مزده - مرزق - بلما[6] - أقدس - أو برنو[7].

وسورهـا من الآجر النئ= =أما السكان فهم مؤدبون لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 138.

[1] غدامس : تقع غدامس في الحدود الجنوبية الغربية لليبيا الحالية وقد دخلها الإسلام مبكرا واشتهرت بموقعها الاستراتيجي الهام كطريق للقوافل التجارية ومواكب الحج بين بلاد السودان الغربي والأوسط والمشرق العربي.

[2] طرابلس : مدينة ليبية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وصفها العباشي بقوله : أنيقة البناء قسيمة الفناء عالية الأسوارلا تكاد تسمع من أحد من أهلها لغوا إلا سلاما، للمزيد انظر العياشي، المصدر السابق، 79.

[3] غات : تقع غات في الجنوب الغربي لليبيا وهي ضمن الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى فهي إلى الجنوب الغربي من سبها وغدامس حيث تبعد عن مدينة سبها بحوالي 601 كم وعن غدامس 581كم وتقـع إلى الشمال الشرقي لمدينة جانت وتبعد عنها بحوالي ثمانين كيلومترا وهي تقع على خط عرض (24,37) شمالا وخط طول (7,27) شرقا، للمزيد انظر محمد ناجي ومحمد نورى، طرابلس الغرب، ترجمة إكمال الدين محمدإحسان، طرابلس : دار مكتبة الفكر 1973م، ص 115.

[4] كاتسينا : مملكة مجاورة لكانو من جهة الشرق مشتملة على عدة جبال وأراضيها وعرة لكنها جيدة للشعير والدخن والسكان شديدو سواد البشرة أنوفهم كبيرة شنيعة وشفاههم غليظة وجميع الأماكن المسكونة في هذه البلاد قرى من اخصاص قبيحة المنظر لا يتعدى سكان أي واحد منها ثلاثمائة كاتون، انظر الحسن الوزان، ج 2، ص 173.

[5] كنو : تعتبر من اشهر ديار الهوسا وكان يطلق عليها بغودا طن بياجدا وكان ذلك عام 1530م وأما اسمها فقد جاء من اسم كارنون بن عبد الرحمن وبها خيرات وأشجار وأنهار وهي أخصب ديار الهوسا توافد عليها التجار والعلماء من طرابلس وغدامس والجزائر، للمزيد انظر محمد المفتى مرحبا، فتح الحنان المنان بأخبار ملوك السودان، ومحمد المفتى مرحبا، تاريخ الخاص بالتواتر، مخطوطان، ورقة 4 - 5.

[6] بلما : منطقة يتواجد بها الملح ومنطقة تجارية تمر بها القوافل لتجارة الملح، المحققة.

[7] برنو : إقليم كبير يتاخم واتكره غربا ويمتد شرقا على مسافة نحو خمسمائة ميل ويبعد بنحو مائة وخمسين ميلا عن منبع النيجر كما يتاخم جنوبا صحراء سات، انظر الحسن الوزان، ج 2، ص 175.

ثم من بنغازي – الكفرة – تيبستي – برنو.

وهكذا فإن هذه الطرق الرئيسية كانت تتفرع منها دائما فروع عديدة لكي تتحول كل قافلة حسب نوع البلد المتاجر معه[1].

وبما أننا نحن بصدد الحديث عن مسارات التجارة الماضية تذكرت لزوم[2] الإشارة إلى ما هو جدير بالذكر، وهي تلك المدن الواقعة على بوابات الصحراء مباشرة والتي ساهمت بنصيب أوفر في مجال التجارة العابرة، كمدينة سجلماسة في الغرب على الطرق المؤدية منها إلى مدينة تنبكتو عبر تجازا ومع أنها أصبحت خرائب تعلوها الأعشاب.

مدينة غدامس على طريق آير، هوسا، عبر غات فهاتين المدينتين من الواضح أنهما لعبتا دوراً فريداً وهاماً في ميدان التجارة بين الشمال والجنوب وذلك على ما يعتقد كان في القرن التاسع الميلادي على الأقل، إذ كانت تجارة غدامس قائمة بشكل واسع مع مدينة تادميكت، التي أطلق عليها التجار اسم السوق كما أشار إلى ذلك المؤلف بوفيل وفيما كانت تجارتهم تجد رواجاً كبيراً في مدينة تنبكت السالف ذكرها الواقعة في جبال، آضاغ، ادوار انفوغاس والواقعة أيضاً إلى شمال مدينة تاو، إلى أن ازدهرت مدينة تينبكتو واشتهرت بنشاطها التجاري[3].

---

[1] وهذا الطرق كان لكل منها دور كبير في توثيق الصلات بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي، للمزيد انظر عبدالرحمن الماحى، الدعوة الإسلامية في أفريقيا والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992م، ص111.

[2] تستبدل الجملة (تذكرت لزوم) بالجملة (فلابد من).

[3] ذاع صيت تنبكت في القرن السدس الهجري / الثاني عشر الميلادي كركز تجاري للملح والذهب بعد أن تحول لها النشاط التجاري الذي كانت ولاته تقوم به ولتنبكت ميناء خاص على نهر النيجر اسمه ميناء كابارا ومنه تحمل القوارب البضائع التي تصدر إلى مختلف البلدان الواقعة حول نهر النيجر ويبعد عن المدينة على الجنوب حوالي اثني عشر ميلا وقد وصلت تنبكت ذورة مجدها

تحول اهتمام تجار غدامس إليها فأصبحت تجارتهم راسخة بشكل ملحوظ خلال معاملاتهم ذات النشاط والمرونة في أثناء أعمالهم في هذه المدينة الأخيرة بعد امتصاصها لمدينة تادميكت التي كانوا يمارسون التجارة في أسواقها وفي تينبكتو كان التجار الغدامسيون قد تحملوا نصيبهم من الأضرار الناشئة عن حملة جيش الملك المغربي أحمد المنصور[1] لغزو السودان إذا هدمت مستودعاتهم التجارية لتبني في مكانها قلعة للجيش المغربي إلى جانب ذلك ما تحملوه من أنواع أخرى من الابتزاز من جنود هذا الجيش.

ولعلنا لا نبالغ إذا أكدنا[2] أن الغدامسيين من أوائل من نقل البضائع التجارية بين شمال القارة الأفريقية وجنوبها، شاملة مناطق نهر النيجر الأعلى في الغرب ومناطق الهاوسا وبرنو في الشرق.

التجاري في زمن منسا موسى، الذي جذب إليها أنظار التجار مع قيامه برحلة الحج الشهيرة فقد استقرت التجارة مع جميع لأنحاء من درعه وسوس زسجلماسة وفاس وتوات ومن غدامس التي ربطتها علاقة تجارية وطيدة وخير شاهد ذلك الوثائق الموجودة في مركز أحمد بابا التنبكتي والتي تشهد عمق العلاقة التجارية التي ربطت بينهم حقبة من الزمن، للمزيد انظر إصلاح محمد البخاري حمودة انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء غدامس – تنبكت نموذجا.

[1] أحمد المنصور السعدى : هو أحمد بن محمد الشيخ المهدى بن محمد القائم بأمر الله السعدى، وقد عرف بالذهبي وبالمنصور وهو رابع سلاطين الدولة السعدية وقد ولد عام 956هـ/1549م وتوفي عام 1012هـ/1603م وتاريخ توليته السلطنة (986-1012هـ/1578-1603م) هو مؤسس دولة السعديين وأقوى حكامها على الإطلاق اتخذ من مدينة مراكش عاصمة لحكمه لإمبراطوريته تدخل في أفريقيا فيما وراء الصحراء على طلب من سكان سنغاى بحملة لهم بقيادة جودر باشا وبهذه الحملة كسر الطوق المضروب عليه من قبل العثمانيين فى تلمسان والنصارى في الاندلس، للمزيد انظر محمود كعت، تاريخ الفتاش، باريس : نشر هوداس وبنوه 1960م، ص130.

[2] الصواب : قلنا.

ويتجلى هذا فيما يشاهد من آثار بقايا تلك التجارة بشكل واضح من منسوجات مناطق السودان من ملابس ويرى من مصنوعات أقطار الجنوب معا في حوزة أهل غدامس من حلى ذهبية تشهد بعلاقة وثيقة بارتباط هذا البلد تجاريا بتلك الشعوب خلال أزمنة قديمة للغاية.

تلك المواثيق التي التزم الطوارق بالوفاء بها والحرص على الوقوف عند نصوصها هي ثقيلة وباهظة التكاليف وقد ينظر إليها المفكر السطحي على أن الوفاء بها من الأمور الهينة في حين يتضح لمن أمعن التفكير فيها بعمق وتجرد تبين له ما قد تسببه وما يترتب عليها في الحالات التي يجر الوفاء بها إلى خلافات مع الخصم تصل إلى العنف واشتداد الأحوال بين الطريق كثيرا وهو ما دفع[1] الطوارق[2] غالبا ثمنها لما تسفر عنه من مصادفات ذاتية ونتائج مفجعة.

وفي حقيقة الأمر فإن هذه الارتباطات والمواثيق قد بنيت في أول بدايتها على أساس مصالح الطرفين معا وإنما ما لبثت أن ارتفعت وسمت مع مرور الزمن عن كونها مجرد ريالات تؤخذ عن مرور جمل بضاعة وعن هذا الجمل ليصل سالما إلى الأسواق المربحة بل تجاوزت كل تلك الاعتبارات إلى علاقات سامية.

شيد سلل الجانبين عليها قواعد ثابتة لارتباطات قوية للأخوة والوئام المستمر قوامه الصدق والوفاء دفعا لما تقتضيه حتمية تسير عبر تاريخهم المشترك ولقد توقفت القوافل واختفت الريالات تبعا لأولئك الأجداد ولم يكتب البقاء من ذلك سوى لنمو القيم النبيلة التي نراها بوضوح حافظ عليها الأحفاد

---

[1] **تستبدل الجملة (ما دفع) بالجملة (وهو ما جعل).**

[2] **يجب زيادة كلمة يدفعون.**

محافظة جديرة بالتقدير حتى اليوم بين الطوارق وإخوانهم الغدامسيون بوجه خاص[1].

وبالنظر إلى هذا فإنه ينبغي علينا أن نعترف بأن تلك المكاسب وذلك الثراء الواسع والثقافات المختلفة والعلوم وأفكار الشمال والجنوب التي تعانقت وامتزجت ببعضها وما أفرزته من قيم نبيلة، كل ذلك كان إمراره عن طريق قنوات تأسست فوق ظهر الجمل.

ولكن هذا الحيوان الذي أوثق صلة الأقوام ببعضها البعض، وأدى مثل هذه الخدمات للإنسانية في عموم بلاد أفريقيا، هذه القارة التي فصلت بين سكانها في الشمال وبين إخوتهم في الجنوب منطقة من أوسع وأسوأ مناطق الأرض وهي الصحراء الكبرى فحينما دخل في صراع منذ أوائل القرن الأول الميلادي أي ما يقرب من ألفى سنة[2] وهو يؤدي خدماته الجليلة للإنسانية بكامل الطاقة فتحمل صنوفا من المتاعب بالأهوال[3] عند اجتيازه هذه المنطقة ذات الطبيعة القاسية وقفوها المستمر، وهو محمل بأثقال مختلفة الأنواع والأشكال ليكون هذا الإنسان على أرفع مركز من الثراء ورفاهية الحياة، وهو صابر لا يبدى أي نوع من العصيان أو المعارضة، ترى صحته تتدنى وتهزل إلى درجة الموت ولكنه يحرص على تبليغ رسالته بأمانة دون أن يخالف الأوامر الصادرة إليه مما بوأه

---

[1] ومنها ما أشار إليه الرحالة (جميس رتنشارد سن في كتابه ترحال في الصحراء حيث يقول الطوارق بالنسبة لأبناء غدامس حراس وجيران اوفياء، للمزيد انظر جميس رتشادسن، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمه، بنغازي : جامعة قاريونس1993م، ص 274.

[2] أن الجمل دخل أفريقيا في أوائل القرن الأول الميلادي وبالرغم من انتشار البقايا العظمية على أوسع نطاق في العصر الجيولوجي الرابع في طول المنطقة وعرضها مما يدل على أن الجمل يوجد بها على وجه الاستمرار منذ ما قبل تدوين التاريخ، ويقال انه دخل القارة الأفريقية في سنة 2500 قبل الميلاد.

[3] الصواب : والأهوال.

مكانة عالية فأصبح سيداً لجميع وسائل النقل الأخرى بحيث لا يستغنى عنه الحضري في قريته ولا البدوي في أوديته وأضحى الحصول على امتلاكه ووجوده في هذه القارة أمر من ضروريات وجود الإنسان.

ولكن ما لبث هذا الحيوان في اطمئنانه أن روع في خلاته عندما خيم حوله غيم هائل مصحوباً بدوى وهدير صم الآذان. ذلك هو عصر المحركات الآلية ذات القوة الفائقة والسرعة الهائلة الشئ الذي زعزع مركزه بشكل أصبحت معه أهمية هذا الحيوان من حيث النقل تتدنى باضطراد حتى بات منقولاً بعد أن كان ناقلاً وراكباً بعد أن كان مركوباً.

وهكذا كان علينا أن نقبل بحتمية التطور التكنولوجي الذي نراه لا يقف عند حد ما دام وجود الإنسان فوق هذه الأرض.

إذن فما كان من الإيطاليين والفرنسيين إلا أن تسابقوا لأداء تجاربهم وتقنياتهم فوق الصحراء الكبرى فنراهم يرفعون بسياراتهم في مجاهل هذه الصحراء.

وكما نعلم كانت لأول مرة وصلت فيها السيارات ارض فزان أثناء الحملة العسكرية الإيطالية بقيادة العقيد ميافي في ديسمبر 1912م. ووصلت أول سيارة إلى عين صالح في عام 1910م وهي مجموعة من خمس سيارات بقيادة الجنرال لاسييرمان وأخفقت في محاولتها الوصول إلى تامنغست ولكن في عام 1920م أمكن الوصول إلى تحقيق هذه الغاية. حيث تمكنت عدة شاحنات محملة بالتجهيزات الإذاعية لمحطة تمنغست. وفي ليلة ستة عشر من ديسمبر 1922م ابتدأت قافلة من توغورت قوامها خمس سيارات بقيادة ج ام هارنت دال ودوان دوير وفي السابع من يناير 1923م وصلا إلى تنبكتو بسلام تام.

الحركة التجارية العبرة وإنما العجب كل العجب في إنصات حديث معظم الناس فيقتصر الحديث على بضائع كثيرة تلت التي كان التجار ينقلونها خلال تلك الأحقاب من الشمال إلى الجنوب ويرجعون ببضائع الجنوب مع الإقلال عن الحديث عن مادة هي من الأهمية بحيث لا غني عنها لأي إنسان في السودان[1] بوجه خاص، ومما ضاعف من شعوري بذلك هو إطلاعي على كتاب الوثائق التجارية المنشور سنة 1982م، والذي قام بجمعه الباحث - بشير قاسم بوشع الغدامسي - ودراستي لما تشير إليه هذه الوثائق[2] من تلك البضائع المنقولة من الشمال إلى الجنوب والمتوجهة منه إلى مناطق الشمال ومن خلال ذلك اتضح بجلاء مقدار تغاضى الناس الذي كاد يكون عاما عن الحديث عن تجارة مادة الملح هذه المادة التي لا يقل طلب السودانيين لها في الجنوب عن طلب سكان الشمال لمادة الذهب في مناطق الشمال.

وعلى ذلك كان ينبغي التأكد على أن مادة الملح تشكل تجارة ناجحة لدى سكان السودان وهم على دوام الطلب لها وإقبال لا يفتر أبدا.

ولما كانت هذه المادة مصدرا هاما لسكان الصحراء فإننا لعلى شعور لا يمكننا معه أن نقلل من أهمية المتاجرة بها وليس من السهل عليها نسيان الدور الذي لعبته تجارتها في مجتمع الطوارق.

---

[1] ينقـل الشماليون الى شعوب الجنوبيون بضائع أهمها القماش المختلف الألوان النسيج والفرش والمحارم والشالات والبرانس المصنوعة من الملف وأفضلهـا لـدى السودانيين التي هي باللون الأحمر ومزحرفـة بخيوط صفراء لامعة وهى مزركشة فى زخرفتها بخيوط بخيوط الحرير الرفيع اللماع والمرايا والأمشاط والمرجان والآبر والخزز وورق الكتابة والسيوف والملح. أما بضائع الجنوبيين الى الشمال أهمها الذهب والعاج وريش النعام والزهم والجلود والزبد والعبيد والمنسوجات والحيوانات. الشاوى اللاله البكاى، محاضرة طرق القوافل غير منشورة، ورقة 2.

[2] كان الإطلاع على ما جمعه بشير قائم يوشع وما له أثره بأن مادة الملح قد اغفل عنها بين البضائع التجارية المتداولة فى السودان. المؤلف.

الحركة التجارية العبرة وإنما العجب كل العجب في إنصات حديث معظم الناس فيقتصر الحديث على بضائع كثيرة تلت التي كان التجار ينقلونها خلال تلك الأحقاب من الشمال إلى الجنوب ويرجعون ببضائع الجنوب مع الإقلال عن الحديث عن مادة هي من الأهمية بحيث لا غني عنها لأي إنسان في السودان[1] بوجه خاص، ومما ضاعف من شعوري بذلك هو إطلاعي على كتاب الوثائق التجارية المنشور سنة 1982م، والذي قام بجمعه الباحث - بشير قاسم بوشع الغدامسي - ودراستي لما تشير إليه هذه الوثائق[2] من تلك البضائع المنقولة من الشمال إلى الجنوب والمتوجهة منه إلى مناطق الشمال ومن خلال ذلك اتضح بجلاء مقدار تغاضى الناس الذي كاد يكون عاما عن الحديث عن تجارة مادة الملح هذه المادة التي لا يقل طلب السودانيين لها في الجنوب عن طلب سكان الشمال لمادة الذهب في مناطق الشمال.

وعلى ذلك كان ينبغي التأكد على أن مادة الملح تشكل تجارة ناجحة لدى سكان السودان وهم على دوام الطلب لها وإقبال لا يفتر أبدا.

ولما كانت هذه المادة مصدرا هاما لسكان الصحراء فإننا لعلى شعور لا يمكننا معه أن نقلل من أهمية المتاجرة بها وليس من السهل عليها نسيان الدور الذي لعبته تجارتها في مجتمع الطوارق.

---

[1] ينقــل الشماليون الى شعوب الجنوبيون بضائع أهمها القماش المختلف الألوان النسيج والفرش والمحارم والشالات والبرانس المصنوعة من الملف وأفضلهــا لــدى السودانيين التى هي باللون الأحمر ومزحرفــة بخيوط صفراء لامعة وهى مزركشة فى زخرفتها بخيوط بخيوط الحرير الرفيع اللماع والمرايا والأمشاط والمرجان والآبر والخزز وورق الكتابة والسيوف والملح. أما بضائع الجنوبيين الى الشمال أهمها الذهب والعاج وريش النعام والزهم والجلود والزبد والعبيد والمنسوجات والحيوانات. الشاوى اللاله البكاى، محاضرة طرق القوافل غير منشورة، ورقة 2.

[2] كان الإطلاع على ما جمعه بشير قائم يوشع وما له أثره بأن مادة الملح قد اغفل عنها بين البضائع التجارية المتداولة فى السودان. المؤلف.

ومن حيث أهمية هذه المادة وأثرها عند السودانيين يتضح لنا حين نعلم أن عند مبادلتها بمقدار وزن الملح بوزن الذهب سواء بسواء كما أشار إلى ذلك البكرى الشهير[1].

وفيها يقول الرحالة "ليو الأفريقي" عند حديثه عن مدينة تينبكتو قوله ولكن الملح هنا على جانب كبير من الندرة، فهو ينقل إلى هذا المكان برا من تغازا التي تبعد خمسمائة مائة ميل، وعندما كنت أنا في هذا المكان رأيت حمل بعير من الملح يبـــاع بثمان مسكوكة ذهبية "دوقات"[2].

---

[1] يعتبر الملح من السلع النادرة الوجود في السودان الغربي لذلك كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة لتجارة القوافل. إذ لا يمكن الحصول على الذهب غالبا إلا بمبادلته بالملح وكان التبادل يتم في بعض الأحيان منطقة بمنطقة أي قيم مقايضة منطقة ذهب بمنطقة ذهب ولا يمكن الحصول على الملح في الصحراء إلا بعملية شاقة جداً من البحث واعتمدت مبادلة الملح بالذهب على ما يعرف باسم التجارة الصامتة ولأهمية الملح كسلعة أولية بالتصدير إلى بلاد السودان نشأت مراكز لتصديره على أطراف الصحراء وقامت بتوزيعه على المدن التي تحتاج إليه ويحمل التجار إلى أهل السودان حجارة الملح على الجمال وهو ملح معدني فيخرجونه من بلاد سجلماسة آخر بلاد المغرب الأعلى فيمشون في الرمال كالبحار معهم الإدلاء يهتدون بالنجوم في القفار ويحملون الزاد لستة أشهر فإذا وصلوا غانا باعوا الملح وزنا بوزن الذهب وربما باعوه وزنا بوزنين ويصل في دواخل بلاد السودان حمل الجمل بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار. للمزيد انظر إبراهيم على طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر **1970**م، ص 72.

[2] تأتي القوافل التجارية القادمة من الجنوب إلى الشمال والتي تتشكل البضائع الأساسية لهذه القوافل المتعددة والمتنوعة وأهم سلع تجارة القوافل الذهب الذي يعتبر من السلع الأولى التي جذبت التجار منذ القدم وعرف أحد الطرق التي تربط بين غرب أفريقيا والشمال الأفريقي باسم طريق الذهب ويقول يوفيل : (وقد كان طريق تغازة – تمبكتو قبل القرن السابع عشر طريقا قامت شهرته على تجارة الذهب ثم تحول في تاريخ لاحق ليصبح رمزا للتبادل الثقافي مما جعله يحظى بأهمية فاقت غيره من الطرق التي أشير إليها ونشطت تجارة الرقيق في إطار العلاقات التجارية بين بلاد السودان وسواحل الشمال الأفريقي فقد كانت كل من غدامس وغات ومرزق من الموانى

ولقد أشرنا فيما رأينا إلى متاعب المنطقة بعد وصول المحرك إليها. غير أن بلاد الصحراء الكبرى كانت قد عوضت ما كانت قد فقدته بسبب ذلك التدمير الكامل الذي أصابها حينما قدم إليها المحرك الآلي الهائل القدرة والسرعة معاً والذي خلخل اقتصادها بالقضاء على حركة القوافل التجارية المألوفة والتي كان الجمل زعيماً لها في مختلف الدروب من شمال القارة إلى جنوبها وذلك الانحطاط الذي بدأ خلال السنوات 1913 للميلاد وما بعدها ولكن في أوائل سنة 1956 جعل بلاد الصحراء تستفيق من دهشتها بصفة تدريجية متجهة ببطء نحو الأفضل حينما انتشرت في أرجائها أموالا ذات أهمية ملحوظة من شركات غريبة متعددة.

مما جعل هذه الأرض الشديدة القسوة تصبح أرضاً ملائمة للعيش فيها رغم شدة طبيعتها قبل اليوم ولكن وجود الذهب الأسود كما يقولون النفط في أعماقها كفيل بتخفيف كل قسوة وكل الآلام من عناء وإرهاق حصل المنقبين[1] عنه عند استخراجه وبداية نتائجه، وهذا ما جعل منطقة الصحراء هذه تنقلب بسرعة من أرض عبور مخيفة قاحلة إلى منطقة تصدر منها أموالا هائلة[2].

الرئيسية لعبور قوافل تجارة الرقيق والذهب والعاج والملح التي يجلبها التجار من السودان الغربي ويستبدلوا بها بضاعة تجار شمال= =أفريقيا إذا كانت هذه الواحات تمثل محطة ضرورية في الطرق التجارية التي تربط بلاد السودان – اغادس – زيندر ، كانو – تمبكتو. يوفيل. تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير. ترجمة الهادي أبو لقمة. محمد عزيز. بنغازي. جمامعة قاريونس 1987م. ص 87 – 89.

(1) الصواب : المنقبون.

(2) يقوم الطوارق بتربية الحيوانات وخاصة الابل والماعز وأنواع من الضأن تخص المنطقة ويتخذ من ألبان الإبل طعامهم الرئيسي وكذلك من لحومهم وكما تدهن النساء الطوارق شعورهن وأجسامهن بالسمن ويتنقل الطوارق من منطقة إلى منطقة تبعا لرعى مواشيهم وكذلك يرحلون في الخريف نحو المياه لسقى الابل وكما يحترفون الزراعة وهي مهنة يحضهم والبعض الاخر يحتقر هذه المهنة ولا يحسونونها أصلا ويعتبرونها من عمل العبيد والطبقات السفلي ورغم ذلك فلهو انتاج الذرة والدخن= =وبعض الخضر ويشتغل الطوارق بالصيد وخاصة صيد الغزلان والوعول والنعام والزراف وكما اشتغلوا بتجارة الملح

القبائل الآزجرية الملتزمة برعاية أمن قوافل التجارة الماضية العابرة للصحراء الكبرى

فبموجب الاتفاق الذي تم بين تجار قوافل الشمال وبين طوارق إقليم آزجر على حرية مرور هذه القوافل بأمن فوق أراضى قبائل هذا الإقليم حتى دخولها أراضى غيرها من قبائل طوارق الجنوب، حسب الطريق المسلوك من القافلة مقابل رسم معين كإتاوة، وفيما يلي بيان تلك القبائل[1] :

اوراغن :

قبائل التجارة المحمية من قبل هذه القبيلة :

طرابلس :

- عائلة قنابة.
- عائلة القرقني.

الذي يحضرونه من بلما وتاودنى وكما كانوا يسيطرون على جميع الطرق التجارية ويستفيدون منها أما خبراء وأما حماة فلهم فى ذلك ضريبة تدفع لهم كحراس القافلة أو ادلاء. للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف. مخطوط الطوارق شعب الصحراء الكبرى. ورقة47.

[1] إن أمان الطريق من القضايا الأساسية فى تشجيع التجارة الصحراوية أو توقفها وهذا خاضع لظروف متباينة لم تكن دائما خاضعة لمعايير أكيدة إلا أن الشعوب بحساسيتها لمدينة ذاتها وللقبائل المحيطة بها كانت غالبا في الحسبان وقد جرى التعاون مع الزمن على ربط القبائل مصلحيا بهم وحرض أصحاب التجارة على رفع معين أو تقديم هذا بالمشائخ القبائل وبالاحرى لأشخاص معروفين وكل ذلك بغية الحفاظ على آمان القوافل. وأبرم الطوارق مع الأهالي اتفاقا على حمايتهم من المغامرين ويحافظون على قوافلهم عند ترحالهم الى الجنوب مقابل ضريبة تدفع الى اطوارق سنويا. ويبعث طوارق غدامس بجزء من الضريبة إلى طوارق آزقر واستمرت هذه الاتاوة الى المرحلة الايطالية كانت بقدر زهيد جدا يعيشون الطوارق على المساعدات التى تقدمها لهم الأسر الغنية. بالإضافة إلى الاعمال البسيطة الجلدية التى يشتهرون بها بضاعتها مثل الوسائد ومعدات المهارى وغيرها. كما يقومون بتربية الابل والمواشى. للمزيد انظر بشير قاسم يوشع. غدامس ملامح وصور. بيروت دار لبنان للطباعة والنشر 1973م.

غدامس : شارع مازيغ فروع قبائل الريكين.

- عائلة البوخاري تفرفرا.
- عائلة بني الموفق تصكو كيل اميهر.
- عائلة بني موسى تصكو.

منهم بني هيبت والمانع وبوزمالة كيل الركين.

ومنهم بني الحاج قاسم واق أحمد كيل ازيان.

امنان :

غدامس

- شارع أولاد بالليل.
- قرية تقطه قصر لولهاني سيناون.
- قرية قصر فوقانى سيناون.
- قرية عين علي سيناون – قرية أولاد محمود قرب نالوت.
- قرية الشعواء – قرية ماترس قرب درج.

امنغساتن :

غدامس

- شارع تصكو فيما عدا بني موسى وعائلة الموفق.
- شارع بنى درار تابع قناو – بنات اساو الذي هو أحد فروع قبيلة امنغساتن.
- غريان.
- نالوت.

اهخاتارن :

غدامس

- شارع جرسان جالوجن.

ولم تقتصر هذه الحماية على حدود ما أشرنا إليه من المرور والأمن التجاري القوافلي[1] فقط. بل تجاوزت[2] إلى أن شملت حماية الأشخاص الذاتية، كلما تعرض هؤلاء وأحفادهم للاعتداء من الغير هم وأموالهم في كل بقعة من بقاع الصحراء الكبرى[3].

ولاشك في أن إنزال العقوبة على المعتدي ذاته أمر قد يتعذر في كثير من الحالات لذلك كان رد الفعل على وجه أجدى إذ يتناول نفس المعتدي وأقاربه وأناس آخرين من قبيلته. فعلى هذه كانت المجتمعات القبيلية نفسها تمنع ارتكاب أعمال السطو والاعتداء على الآخرين خوفا منها من ردود الفعل الشامل الذي قد تتحمل مصائبه قبائل واسعة من قبائل مجتمعات أولئك المعتدين.

وقد نرى أثرها واضحا في معاملات محمودة يتبعها الأحفاد إلى الأبد بالرغم من إنقطاع تلك المصالح ومرور زمن طويل عليها[4].

---

[1] الصواب : للقوافل.

[2] يجب زيادة كلمة ذلك.

[3] يحتاج المسافرين الذين يمرون ببلاد الطوارق إلى حماية وآمان ولا يتم ذلك إلا عن طريق الشخص الذي يقدم الحماية ويدعى باللغة الطارقية آمد أي الصديق. ويحصل الأوربى على حماية زعيم قوي من الطوارق ذو ثمن عال على الرغم من أنه مبلغ متواضع إذا ما قورن بما دفعته رولفس **1879** إلى عرب الزويه في برقة إذا بلغ **100 – 200** ليرة (بوطير) نقدا (**400 – 800**) ماركا وبرنس وسيف وهدايا أخرى صغيرة تتراوح قيمتها بين **50 – 100** ليرة (**200 – 400**) مراكا وقد تكون الرسوم أقل من ذلك في حالة رحالة بسيط.. للمزيد انظر عماد الدين غانم، الدواخل الليبية، ص **157 – 158**.

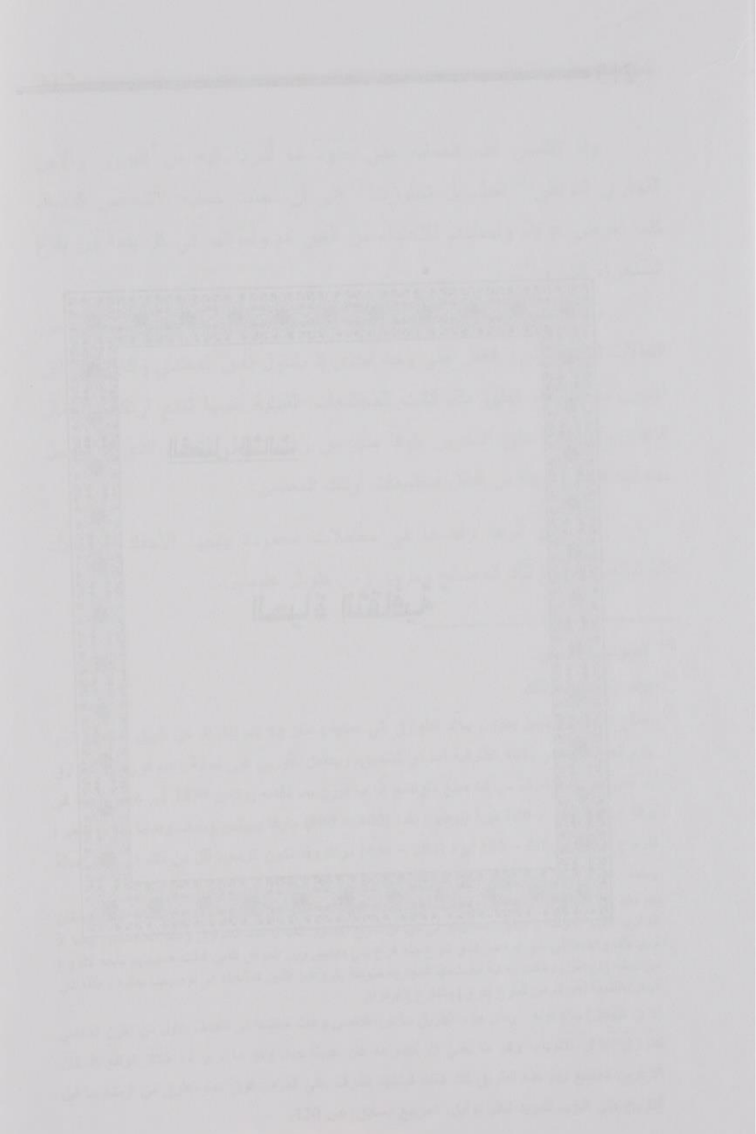
[4] مما يبدو من هذا ان امر الحماية ورسومها كانت حديثة العهد كما اشار الى ذلك مولف كتاب : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير لمولفه : بوفيل. كما يبدو لي من ان تفرع الاصول للقبائل عند الطوارق وعند الغدامسيين ايضا اذ نرى ذلك واضحا في بنى ابراهيم الذي تفرع منه فرع بنى موسى وبن الموفق الذين كانت حماياتهم تابعة لافروع من قبيلة |اوراغن| وكانت حماية مصالحها التجارية منوطة بفروعين اثنين كما جاء في توضيحنا بعاليه وهكذا كان الحال بالنسبة لغيرهم من شارع |درار| وشارع |تفرفرا|.

إلا أن (بوفيل) جاء قوله : وكان جزء الطريق ما بين غدامس وغات خاضعا في النصف الأول من القرن الماضي لطوارق الأزقر الأقوياء. وهو ما يعني أن خضوعه كان حديثا جدا. وهو ما نرى أنه خلافا للواقع إذ كان الازقرين تخضع لهم هذه الطريق فقد كانت قبائلهم تشرف على المرور فوق هذه الطرق من أزمنة ما قبل التاريخ حتى اليوم، للمزيد انظر بوفيل، المرجع السابق، ص **120**.



الفصل الثالث

الحياة الثقافية



أثـــار القدماء في الصحراء

أننا قد نعلم جزئيا من خلال ما كنا ولازلنا نشاهده في الصحراء الكبرى من صنوف أثار ذلك الإنسان الذي عاش فيها قبل آلاف السنين وهو ينتقل بين أطوار تختلف عن بعضها اختلافا بينا من بداوته التي حتمت عليه أن يضل باستمرار متنقلا على الدوام بين مناطق هذه الأرض الواسعة وبين طوره إلى حياته المستقرة وهي التي تلزمه بالإقامة الطويلة في مناطق معينة لها مطالبها ومعاييرها هي الأخرى.

فالإنسان ما قبلنا هو في واقع الأمر قد مضى وقد مرت على ذهابه عصور طويلة تعد بالآلاف من السنين، ولكنه مضى تاركا خلفه بصماته على مواقعه في مختلف مناطق هذه الأرض. ونحن أذن فما علينا تجاه هذا الإنسان إلا أن تتسع اهتماماتنا بما خلفه لنا من أثاره لكي نعرف ما كنا نجهله عنه حتى الآن من حيث تصرفاته الحياتية في تلك الأزمات الطويلة الخوالي.

فبما أن هذه الصحراء هي منطقة واسعة وهي قاسية في أن واحد ولذلك يراها العابر في صورتها تلك على أنها ما هي إلا منطقة واسعة من أجزاء ارض لا تعني شيئا يستحق أي اهتمام غير ذلك الاهتمام المتعلق فقط باجتياز تلك الأراضي والتفكير في مراحلها الكثيرة التي يقطعها المسافر وهو في ذهول غارق في التفكير عن متي يعبرها وهو سالم بتجارته أو يبلغ مقصده الذي سافر أصلا من اجله، فلا يفكر ولا يخطر بباله أبدا أن ما كان يمر به من ارض قاسية متعبة هي مناطق ذات أهمية بالغة إذ هي مستودعات فيه رائعة وحضارات قديمة للإنسانية تلفها الصحراء الكبرى بثوبها البالغ القسوة لدرجة عالية وهو يرتاب في كل ما كان مخبئا تحت هذه الأرض من أروع الفنون وثروات لائقة وقيمتها ولا تقاس، أن التقليل بأهمية الأرض ومدافنها عي أمراض نفسانية وأفكار عقيمة.

فهذه الأمراض والأفكار العقيمة لم تصب عالم الاستكشاف الألماني الذي قاده علمه وذكائه إلى أن كان أول واضع يده على هذه الفنون الحضارية ويعلن عليها للملأ ذلك المكتشف الألماني منوخ بارث في سنة 1851 للميلاد.

وفي ذات الوقت كان باستطاعته القول بأن هذه الحضارة وهذه الثروة الغنية لبالغة الأهمية إلى هذه الدرجة والمتكئة على صخور الصحراء كانت قد بقيت منذ تركتها أيادي فنانوها قبل حوالي خمسة آلاف سنة وهي في انتظار من يأتي لإماطة الستار عليها للاستفادة بها، ففي حالتها كانت صامدة فوق هذه الجبال المنتصبة على هذه الصحراء ولم تحضى بأي اهتمام حيث بقيت كذلك إلى منتصف القرن العشرين إذ كان تحرك العلماء علماء الآثار الفرنسيين تحركاً جدياً هادفا وكان يرجع الفضل إليهم في العثور على الأهم منها وبيانها بدقة كاملة ونشرها وإزالة المفاهيم الرامية إلى احتكارها ووصفها بأنها هي سوى خدوش وعبث الاقدمون، فهذه البعثة العلمية للآثار لاشك في أنها قد صرفت في مجالها العلمي هذا وقتا ليس بالوقت القليل مع ما يتطلبه الأمر من جهد مضن وانقطاع عن حياة الحضارة المألوفة في تلك الأراضي القاسية والصعبة الحركة لوعورة مسالكها الجبلية وقد أدركنا هذه المصاعب جزئيا من خلال مطالعتنا لكتاب العالم الفرنسي للآثار : هنرى لوث لوحات تاسيلي حينما يشرح لنا وقائع ما قد مرت به بعثته الصبورة أثناء هذا العمل من مراحل مليئة متاعب وعناء واجهها أعضاء البعثة بصبر جعل نتائجها أمور في درجة عالية من حيث الدقة المطلوبة في مثل هذا المجال الذي اعتبره أنه يتطلب من القائم به التحلي بالصدق فيما يجده في أثناء أعماله تلك.

كما أني اعتبر هذا العمل إظهارا لما كانت هذه الصحراء قد أخفته عن مدارك الناس منذ آلاف السنين.

وفي مجال الآثار القديمة يحسن بنا أن لا ننسي عمل الفرنسيون العسكريون عن طريق الأذكياء في مجال الاستكشاف خلال دورياتهم الاستطلاعية في الصحراء الوسطي منذ سنوات كثيرة يهتمون خلالها بآثار القدماء من أولئك الأقوام الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة واضطرهم ذلك الاهتمام إلى فتح قبور ما قبل عهد الإسلام ويرفعون تقاريرهم بجبهاتهم العليا مبينين فيها وصفاً دقيقاً لما وجدوا بها من هياكل عظمية بشرية وطرق الدفن وما إلى ذلك وأنهم لم يجدوا صحبة هذه الهياكل أية أشياء مما كان عادة يرافق الموتى داخل قبورها وكثيراً ما يجدونها على وضع قد رفعت منها الركبتان إلى أعلى، وقد يكون هذا الوضع دلالة تتعلق بدين ذا طقوس غير معروف لدينا في الوقت الحاضر وكانوا يعثرون أيضاً من بين هذه القبور قبوراً أخرى في شكلها وبنائها والحال أنها فارغة لا توجد بها هياكل بشرية ولا أية أشياء فيها. ولما كانت على حالتها تلك غير معروفة الغاية فإنه بإمكان تفسير ذلك أنه اتخذ لأمر من الأمور ولم يكن ذلك على غير مغزى، ومن المحتمل أن أشخاصاً يقومون بحفر قبور كهذه وبنائها على هيئة قبور ومدافن – ويوصون بدفنهم فيها بعد موتهم إذا هم ماتوا بالقرب من تلك القبور التي هيؤها بأنفسهم فإذا تعذر لبعد مكان الوفاة بقيت فارغة حسبما وجدها أولئك الضباط.

وطريقة حيازة واختيار مكان الدفن وحفر القبور وبنائها أمر غير مستغرب فلا يزال بعض الناس يستعملونه إلى عهد قريب.

كما كنا نشاهد مثل هذه الآثار بغدامس ما يشبه قلعة أثرية وهي مقامة على ارض مشرفة على البلدة بشكل كامل وتقع إلى شمال غربها بنحو 900 متر على وجه التقريب وتشرف أيضاً على أربع طرق للقوافل التجارية صادرة وقادمة إليها:

1- يتوجه نحو غدامس – تادمكت – قاو أو تمبكتو بمالى مرورا بعين صالح.

2- يتوجه من غدامس إلى مدينة وارقلا عبر رمال العرق الكبير الشرقي.

3- يتوجه من غدامس إلى وادي سوف وتقرقورت عبر العرق الكبير الشرقي.

4- يتوجه من غدامس إلى قابس ويتفرع منه فرع إلى بلاد الجريد.

وعلى ما يبدو من خلال هذا أن هذا المبني أقيم من حيث الأصل لأغراض جمركية لمراقبة البضائع الواردة إلى البلدة والمغادرة منها.

كما أن هذا المبني يشتمل في أعلاه على ما يشبه إلى حد كبير برج المراقبة، كما كان حوله سور قدر عرضه بمتريين كاملين وتقع بداخله أربع حجرات في شرقي هذا المبني تقدر المساحة الشمالية منها بأربعة أمتار في مثلها وبعدها مجاز إلى طريق يقدر بمتر واحد وبعده حجرة ثانية كانت مساحتها قدرت بأربعة أمتار في مثلها وبعدها حجرة ثالثة قدرت مساحتها بأربعة أمتار في سنة أخرى وبعدها حجرة رابعة كانت مساحتها قدرت بخمسة أمتار تقريبا وكلها مقامة بجانب بعضها ويحتوى على بئر ماء بداخل هذا المبني قد احكم طيه بالحجارة والجير بعناية إحكاما غاية في إتقان البناء كما تتناثر حول هذا المبني في جميع الاتجاهات قبور مبعثرة في غير نظام بعضها إلى بعض مما يفهم أنها كانت قد أقبرت قبل تأسيس هذا البناء ثم إلى شماله على مسافة أربعمائة مترا على وجه التقريب توجد أيضاً خرائب أخرى شبيهة بمقبرة من العهد الروماني، ويبدو أن أحجارها التي تكسى صفة رومانية كانت قد نقلت منها بعدهم إلى أماكن أخرى.

ولولا مشاهدتي لما عثر عليه من قطعة صغيرة حجرية نقش عليها بحروف لاتينية خالصة لما قلت أنها رومانية أصلاً وتقدر مساحة هذه الخرائب بمائة وعشر أمتار من الجنوب إلى الشمال وثمانية مترا من الشرق إلى الغرب

وتوجد أنصاب تقع نحو الغرب من البلدة القديمة وهي كان عددها أصلا ثمانية نصبا سبعة منها تتوسط مقبرة قديمة هي الأخرى ويبدو إلى أنها مقبرة جرمنتية لتشابه الانتصاب فيها على ما كانت عليه انتصابهم في حطية وادي الآجال.

كما أن انتصابهم بغدامس مقامة بالحجارة والجص كينما اتفق فليت أحجار البناء فيها مصقولة وغير مصقولة مما ينافس الشبه بينها وبين ما كان الرومان يشيدون به بناءاتهم، وقد قيل أن أحد أبناء الباشا يوسف القرامللي كان قد وضع كمية من البارود فهدم جزء منها خلال زيارته للبلدة حوالي سنة 1815 للميلاد[1].

ففي سنة 1912 - 1914 للميلاد قام الإيطاليون بهدم خمسة من هذه الأنصاب، وابقوا على ثلاثة منهم على حالتهم الأصلية حتى يومنا هذا، فيما قاما أي الإيطاليين بحفريات واسعة خلال سنتي 1936 - 1937 فاخرجوا من تحت أحد الأنصاب التي سبق أن هدمت في السابق عدد 40 أربعين جمجمة بشرية ثم أرجعوها إلى أماكنها بعد أن بقيت أياما في أربعة صفوف.

أما الحجارة التي لها أوصاف رومانية بصقلها وزخرفتها بالنقش لتلك قليلة جداً وقد يشاهد المرء منها في بعض المساجد عينات أدخلت ضمن قواعد هذه الأماكن.

---

[1] جميس ريتشارد سن، المرجع السابق، ص 255.

التيفناغ

أن ما سبق عمله من جانب علماء مختصين في ما أورده عن مجال هذه اللغة لهو بعيد عن الحصر والعد. ولكن ما نريد الوصول إليه بقدر الإمكان هو إماطة اللثام عن ما تبين خلال إشارات البعض من هؤلاء عن قدم هذه اللغة واستقلالها وإصالتها. وقصدنا في ذلك أن يصل الناس إلى فهم صاف بأنها وليدة تفكير الطوارق وابتداعهم الخاص.

أن "غويته" خلال تعرضه لموضوع الطوارق فيما كتبه قوله "وهم يتكلمون لغة البربر ويكتبونها ولهم حروف هجائية تسمي "تيفيناغ"[1].

وما قد[2] استخلاصه من كتاب الصحراء هو أن البربر ومنهم صنهاجة التي ينحدر منها الطوارق هم السكان الأصليون لشمال أفريقيا والصحراء. وليس أدل على هذه الحقيقة من أن الطوارق يحتفظون إلى الآن بالكتابة البربرية "التيفيناغ" التي هي من أقدم لغات الطوارق، وليس من أصل فينيقي كما ذهب إليه البعض لمجرد ما يلاحظ من أننا إذا جردنا الكلمة "تيفيناغ" من حرف "ت" بقي لدينا "فيناغ".

وأن الفينيقيين الذين أسسوا مستعمرات في شمال أفريقيا لم تسر عاداتهم ولم تنتشر لغتهم في عمق الدواخل، وفي القرن الخامس الميلادي نسيت تماماً

---

[1] تناول عدد من الباحثين لغة التيفناغ وأصولها وهي إحدى اللهجات العربية القديمة وحروفها الهجائية، فقد أورد التنواجيوى : أن الطوارق يرجعون أصلهم إلى صنهاجة وهم السكان الأصليون لشمال أفريقيا وليس أدل على هذه الحقبة من أن الطوارق مازالوا يحتفظون إلى الآن بالكتابة بالتيفناغ ويقول بعض الباحثين أن التيفناغ من أصول فينيقية وهي لغة الفينيقيين الذين سكنوا الشمال الأفريقي، للمزيد انظر محمد بن خى السالك التيواجيوى، فوائد من غابر الأخبار في أصول الأنساب، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 9.

[2] يجب زيادة كلمة تم.

حتى في السواحل، ولكن ما تشهد به الآثار القديمة أن المخطوطات والأشكال التي استعملتها أقوام الشمال الأفريقي المعروفون بالبربر منذ عهود ما قبل التاريخ مستقلة تماماً وليست لها أي علاقة من حيث المنشأ بأية مخطوطات قديمة أخرى[1].

وبعد ما مر وتبين بوضوح فإن من الصعوبة بمكان إقناع أنفسنا بالآراء الواردة باشتقاق لغة الطوارق الخطية "تيفيناغ" من لغة الفينيقيين. وقد أصبحنا على قناعة بما يعانيه هؤلاء من قدر لا يمكن تجاهله من شواغلهم الخاصة. بداية من وظيفتهم التجارية الدؤبة وهي عمادهم الأساسي وهي السبب المباشر في نزوحهم من وطنهم الأصلي في الشرق إلى شمال أفريقيا ثم انهماكهم في تأسيس مراكز وبناء مستوطنات لتأمين قدر من الراحة والهدوء لرواج تلك التجارة الضرورية بالنسبة لهم،. وهذا في نظرنا لا تقل تكاليفه عن تكاليف خوض غمار حرب مسلحة ذلك من الناحيتين المادية والنفسية معاً. وانتهاء من تبعهم كامل أيام مدة حياتهم بالشمال الأفريقي، ولم تفارق عيونهم الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وغيره من سواحل المحيط الأطلسي إن صح أنهم ارتادوا ساحله لغرب هذه القارة.

مما أجاز لنا القول بان مدة وجودهم على هذه الحال يمكن لغتهم من أن تضم تحت لوائها حتى تلك المناطق الواقعة بجوارها مما جعل أمر الوصول إلى مناطق الطوارق التي تفصلها عنها مغاور شاسعة يستحيل عليها اقترابها منها. ففي الوقت الذي بات فيه استعمال اللغة الفينيقية أمر مضمحلاً تماماً ومنتهياً. في حين لا تزال لغة الطوارق وحروفها "التيفيناغ" يتكلمها ويكتبها الملايين من الناس

---

[1] ويقال أن حروف لغة الطوارق تسمي التيفناغ وأن لغة الطوارق يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية وإذا حللنا الأبجدية التي يستعملها الطوارق اكتشافنا الوجاهة في ذلك الرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية استعادوها من الفينيقية.

حتى الآن، وفي الصحراء الكبرى أوضح الأدلة وأبرز الشواهد عن خطوط كتابة التيفيناغ، على صفحات الجبال المنتصبة في جميع مناطق الطوارق.

ومن كان لازال على رأيه وإيمانه بهذا الاشتقاق فلا مناص من أنه متعصب للفينيقيين لا مرد.

وإلى جانب دراستي لما أورده كثير من العلماء والباحثين لهذا الموضوع مما استبعدوا هذا الاشتقاق. فقد دفعني الأمر إلى وضع نسخ عن تلك اللغتين الخطيتين بجانب بعضها فوق طاولة واحدة ولم أبرح عاكفا ومقارنا كل حرف بما يقابله من الكتابتين. فوجدت أن فارقا واسعا يفصل بين الخط التيفيناغي والخط الفينيقي. إذ لم يرد حتى حرف واحد يشبه مقابله من حروف الخط لا في صورته ولا حتى من حيث معناه.

وهذا باستثناء حرف واحد فقط وهي حرف "التاء" والذي تطابق صورته وما يعنيه في كلا الخطين "التيفيناغي والفينيقي" حيث أن حرف "التاء" في كتابة "التيفيناغ" هو سمه هكذا "+" وهو أيضا في كتابة الفينيقين يرسم هكذا "+" لا فارق بينهما.

ولكن حرفا واحداً لا ينبي بموجبه حكم الاشتقاق وأن كان متطابقين في كل شئ غير أنه واحد فقط من جملة أربع وعشرون حرفا تيفيناغيا[1].

وعلى هذا الأساس فلا يمكنني اعتبار أن هناك وجها من وجوه الاشتباه باشتقاق لغة الطوارق تيفيناغ من لغة الفينيقين أبدا.

---

[1] بأن في نظرنا أن حرفا واحدا لا يجوز اعتباره موضوع يمكن أن يكون حجة للأخذ بالاشتقاق الذي قال بعض المؤلفين أن المقارنة بين حروف "تيفيناغ" وبين حروف "الفينيقيين" وأن نقوش مدينة (مآرب) باليمن هي الأخرى بعيدة عن أن تكون مشتقة منها حروف (تيفيناغ) أصلا. المؤلف.

هكذا كان ابتداع الطوارق لحروفهم تيفيناغ حسب الأشكال التالية:

طارقي	عربي	طارقي	عربي	طارقي	عربي
∴	ك	ⴼ	ف	+	ت
···	ق	Ǝ	ض	·|·	ج
ⵛ	ش	⁚	و	॥	ل
#	ظ	⁝	غ	]	م
ϴ	ب	ɤ	ث	|	ن
ⵣ	ج	ε	ى	⁚	ه
⸬	خ	ʌ	د	⊙	س
X	ز	ⴹ	ط	O	ر

وبما أن لغة الطوارق وأصواتهم من خمس حروف من تلك الحروف التي تشتمل عليها اللغة العربية فإنهم عندما دخلت هذه اللغة بلاد أفريقيا في خلال القرن السابع الميلادي وما تلاه. فإنهم وجدوا صعوبة وثقلا في النطق بهذه الحروف الخمسة وهي الثاء، والحاء، والذال، والعين، والصاد.

فبتكلف شديد وبتعلم طويل الأمد كان قد تيسر بعض الشئ على من كرس حياته للتعليم أو من عاشر منهم عائلات عربية لمدة أطول أن ينطق بحروف الحاء – والعين – والصاد. أما السواد الأعظم منهم فهو عاجز تماما على النطق بالحروف الخمسة السالفة بشكل سليم كما كان ينبغي، ويبدو أن ذلك هو نفس

السبب الذي جعل كتابتهم "تيفيناغ" لا تحتوى سوى على أربع وعشرون[1] حرفاً لا غير.

أما الحروف التي اعتبرها البعض في عداد الحروف التيفيناغية فإنهم مخطئون في ذلك إذا أنها ما هي إلا حروف مزدوجة تركب من حرفين اثنين فمثلاً ﺭ ما هي إلا حرف O أي "ر" وكذلك O فأنهما حرفي س و+ ت فهي أذن حروف لا تخرج عن كونها حروف من عداد الأربعة والعشرين حرفاً التي وجد الطوارق أنها تتطابق مع نطقهم.

الحركات المقترح إضافتها إلى الكتابة التارقية "تيفيناغ" :

في الوقت الحاضر ومنذ ما قبل التاريخ المدون، وخلال عصور بعيدة كانت كتابة الطوارق منذ نشأتها لم تحض بالعناية اللازمة لتطويرها مما أثار شعوري بهذا النقص البين فعزمت على سداد هذا النقص، وضبط الكتابة به باستحداث حركات كانت الحاجة تدعو إليها، وبالنظر إلى الكلام المتداول الجاري على ألسنة متكلميها وجدت أنه لابد لها من سبع حركات أساسية على أن تكون صورها متجانسة لصور الحروف القديمة نفسها كما يلي :

1- **T** مد كامل[2].

---

[1] الصواب : أربعة وعشرين.

[2] حروف التيفناغ : بلغ عدد حروف التيفناغ أربعة وعشرين حرفاً غير صوتي ولا يوجد فيها خمسة حروف التي تشتمل عليها اللغة العربية وهي الثاء والخاء والذال والعين والصاد وتبدأ حروف التفيتاغ بحرف التاء وقد شهدت هذه الحروف إلى تطوير وضبط من قبل المؤلف الشاوى اللاله وسوف ترى هذا في الملاحق. ويشير فون بارى إلى وجود صخرة كبيرة بالقرب من مدينة غات مليئة بنقوش كتابة التيفناغ فكلمة التيفناغ تعني بالطارقية الحروف التي تنسب للفينيقيين. والتيفناغ هي حروف يكتب بها الطوارق لغتهم وتتكون من اثنين وعشرين حرفاً وتكتب من اليمين إلى اليسار وتستعمل هذه الكتابة في حالات الخطر

2- T مد طبيعي.

3- T بين الفتحة والكسرة.

4- ⊢ كسرة.

5- H كسرة غير عربية E في اللغة اللاتينية.

6- < ضمة مثل العربية.

7- > ضمة غير عربية O في اللغة اللاتينية.

فيما أن هذه الضوابط لازالت غير معروفة لدى عامة أهل هذه اللغة فإني أحاول تيسر فهمها مبيناً كيفية استعمالها حسب المثال التالي:

1- ينطبق عليه ممدود كامل المد مثل : آزجر-اضاغ – آجدل – آير – آدمر –آغرم.

2- ينطبق عليه ممدود طبيعي مثل : أكال – افوس – اكوس – ألا – أجا.

3- ينطبق عليه ممدود بين الكسرة والفتحة مثل : أبدد – أقل – أمو – الكو – المز.

4- ينطبق عليه ممدود بالكسرة الخالصة مثل : أداب – اسايد – أمان – إنّا – إسكه – إجلا.

5- ينطبق عليه كسرة بفتح الفم مثل : امى – ارى – اغف – اغير.

6- ينطبق عليه ضمة خالصة مثل : أُول – أُونفاس – اودم.

7- ينطبق عليه فتحة مشبعة مثل : اورغ – اوغون – اوغول – اوزل.

تعريب الألفاظ الواردة ضمن هذا المثال :

والحرب في نختلف الاتجاهات من اليمين إلى اليسار وبالعكس ومن أعلى إلى أسفل وبالعكس أي في صيغة يصعب فك رموزها، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 181.

الفئة الأولى :

1- آزجر : الإقليم الشمالي الشرقي من بلاد الطوارق.

2- اضاغ : الإقليم الشمالي الجنوبي من بلاد الطوارق.

3- أجدل : أحد أسماء الرمح.

4- أي : الإقليم الجنوبي الشرقي من بلاد الطوارق.

5- أدمر : منطقة أزجرية "أودية ومراعي جيدة".

6- أغرم : اسم لكل قرية أو قلعة دفاعية.

الفئة الثانية :

1- أكال : بلد أو أراضي.

2- افوس : يد.

3- اهوج : ولد الفرس.

4- اكوس : قدح.

5- ألا : ورق الشجر.

6- أجا : دلو.

الفئة الثالثة :

1- ابدد : قُم.

2- افل : إذهب.

3- اسو : إشرب.

4- الكو : اغترف.

5- الكم : اقتف.

6- المز : إبلع.

الفئة الرابعة :

1- اوان : مجموعة من البقر الأليف.

2- اسكه : واحد قرون الحيوان.

3- ايسان : لحم.

4- إنا : قال.

5- إمان : الروح.

6- إجلا : ذهب – من الذهاب.

الفئة الخامسة :

1- إمي : الفم.

2- إرى : الرقبة.

3- إلم : الجلد.

4- إوى : ولد البقر الأليف.

5- إغن : رأس.

6- إغيد : جدى الماعز.

الفئة السادسة :

1- أول : قلب كل حيوان.

2- لُودم : وجه.

3- أنفاس : نفس – من التنفس.

4- أوللول : حبوب نبات السبط.

5- أولوم : الفتل أو البرم.

6- أفوى : اسكاب الماء.

الفئة السابعة :

1- اورغ : الذهب – المعدن الثمين.

2- اورج : زاوية جنبو العين.

3- أوظا : نبات عشبي عروقه غذاء للإنسان.

4- اوغوب : رباط.

5- اوغول : الرجوع.

6- اوطول : مد – مثل مد اليد – رخوه.

وعلى من أراد زيادة معلومات عن قواعد هذه اللغة من حيث النحو ومعاني ألفاظها ومفرداتها أن يطالع كتابي النحو والقاموس – من تأليف مؤلف هذا الكتاب والمحفوظين بمكتبه.

القواعد النحوية للتيفناغ

تتعلق القواعد النحوية في لغة الطوارق بألفاظ الأسماء وجموعها فقط. أما الأفعال فلا تخضع للتغيير النحوي مهما يكن العامل الداخل عليها.

فالأسماء تتغير متي دخل عليها أي لفظ ما عدا لفظي النفي بصفة ووْ إذ أن هذه الصفة لا تضيف للإسم أي معنى[1].

ينقسم الإسم إلى مذكر ومؤنث فالمذكر ما ليس أوله ولا أخره حرف "التاء" ويستثني من هذه القاعدة لفظي أجت - .

فالألفاظ مثل : أجيم - آجرا - أوكال - افلا - أجنا - آررا - ويلاحظ أن جميعها ممدودة للأول.

أما المؤنث فيعرف بحالات ثلاث هي : ابتداؤه وانتهاؤه بحرف "التاء" مثل قولك : تجانب - تداولت - تادهانت.

ثانياً : ابتداؤه بها فقط مثل قولك : تاوتا - تامتا - تاغدا.

ثالثاً : انتهاؤه بها فقط مثل قولك : اسراعت - ساغت - كوميت.

---

[1] يعالج نحو الطوارق وقواعده ما له علائق بالأسماء فقط ولم يكن ذا علاقة في شئ بالأفعال التي لا تتأثر أبداً بأي عامل مهما كان شكله، فلذلك كنت قد أكدت أنه لم يكن من المجدي أن ابحث أكثر مما سبق أن أجد نوع عامل يؤثر في شئ من الأفعال، المؤلف.

تعريب الألفاظ

1- أفيل : جهة اليمين أو نصف، أهل : النهار. أدرار : جبل.

2- تجانت : غابة من أشجار الطلح وغيره. تاودالت : بنت سنة من المعز. تادهانت : المرأة المعتدة عدة الوفاة.

3- تاوتا : الاقط المتخذ من لبن غير المغلي. تاسنا : البشرة : البشرة.

4- تاغدا : القط البري أو نوع من الرماح تثبت حيدتها عل طرفي العصا.

5- سرات : اسم شهر جمادي الآخر. ماغت : جبل إلى الشرق من وداي تارات بإقليم آزجر. كويت : غيم.

فلا ريب في أن لغة الطوارق لغة قريبة وذات مدلولات وألفاظ تغنيها عن غيرها. فهي في وضعها ذلك لا حاجة لها باستعمال ألفاظ أي لسان آخر.

كما يبدو فيها ازدواج معاني الألفاظ وأحد مزاياها أن عدد حروفها متطابقة مع مخارج أصوات متكلميها بصورة واضحة. ولا ينقصها شئ سوى عدم انتشار ضوابط حروفها عند الكتابة بها أي الحركات كالفتحة والضمة والكسرة وغيرها من الحركات الضابطة للكلام المكتوب وذلك لحداثة عهد نشوئها.

فلو اعتمدت كتابتها على هذه الحركات لأمكن القول أنها في وسعها أن تحقق نتائج عظيمة في ميادين العلوم والآداب مع قدرتها على نشر الوعي الثقافي بين أفراد المجتمعات الإنسانية في الأرض وأصبحت تساير غيرها من اللغات الأخرى في العالم.

إذ أن كتابتها الخالية من الضوابط تسبب في اشتداد التباس عميق لدرجة أن قارئها يطول به التفكير فيها إذا لم يهتدي إلى المقصود من الكتابة إلا باللجوء إلى قرينة الأحوال مما كان بصدد قرأته.

وللإيضاح ندرج هنا بعض الكلمات المجردة من الضبط "الحركات" والمتشابهة في الكتابة ويتناولها الالتباس مثل :

المضبوطة[1] المجردة من الضبط

المعنى العربي بحر

المعنى العربي : نوال

المعنى العربي : ضفدعة

[1] تبين هذه المجموعة الثلاثة من الكلمات المتشابهة في كتابتها الغير المضبوطة بالحركات الجديدة. وتوضح الفئة ذاتها المقابلة والمضبوطة بالحركات ذاتها كيف أنها تفهم بسهولة المضبوظة.

العلم والمعرفة عند الطوارق

إن كل ما حصل عليه الإنسان من علوم وتجمع لديه، وما قد يعلمه إلى الأبد هو نتيجة تجاربه، لهذا فإننا نرى أن ثقافة وعلوم مجتمع الطوارق كانوا قد بنوها على أساس تجاربهم الخاصة، إذ لا تقع أبصارهم على ما حولهم في صحرائهم وقراهم إلا وأجروا عليه تجاربهم للوصول إلى معرفة إيجابياته وسلبياته. فهذه النباتات من الأشجار وأوراقها وعروقها أجروا عليها تجاربهم، وتلك الأشجار الملقاة فوق سطح الأرض وتحت طبقاتها تمكنوا من معرفة خصائصها من منافعها ومضارها للاستفادة بالنافع منها، ولتجنب الضار، ونتيجة ذلك أدركوا الفارق الواسع بين المفيد والصالح لحياتهم وبقائهم بقاء سليماً سعيداً وبين ما كان مضراً ينطوي على متاعبهم في الوجود.

وهذه التجارب الشاملة لما حولهم هي الأسس المتينة التي أقاموا عليها صرح معارفهم، والذي يتعالى ارتفاع عليه باستمرار حتى الان[1] وهم[2] يفكرون ويميزون بين الغث والسمين في حدود تجاربهم، وممارساتهم الطويلة خلال وحدتهم واستقلالهم على مدى قرون طويلة معتمدين على ذاتهم وأفكارهم الخاصة تعلموا كيف يتعاملون مع ظروف بلادهم الواسعة والقاسية تارة والهشة أخرى مكونين على أساس تلك التجارب ثقافة نابعة من مقتضيات أوضاعهم الشاملة لجميع أوجه الحياة وبأفكارهم واعتمادهم على ذاتهم في عزلتهم توصلوا إلى ابتداع أداة للمخاطبة الخطية والتي تتمثل في أبجديتهم التي تستثني عندهم "تيفناغ" ولاشك في أنها من إبداعهم الخاص، والمجرد من كل تبعية، وعن أي اشتقاق من خطوط أي أمة أخرى.

---

[1] تستبدل الجملة (والذي يتعالى ارتفاع عليه باستمرار حتى الآن) بالجملة (الذي تتعالى وترتفع باستمرار).

[2] يجب زيادة كلمة الذين.

وهي التي يعتمدون عليها في رسائلهم عند الحالات التي تفصلهم عن بعضهم مسافات بعيدة بين مختلف مناطقهم، وأما[1] كانت هذه الكتابة تؤدي دورها على الوجه المطلوب خلال أزمنة بعيدة. فإنها لا تزال تحافظ على حيويتها القديمة وتلعب دورا هاما في العديد من منتجعاتهم حتى الآن.

وفي خضم الحديث عن العلم فإن فرص التعليم عند الطوارق كانت منحصرة في ناحية أخرى، فمنذ أن وصل الإسلام إلى ربوعهم دأبوا على اصطحاب مدرسي كتاب الله الكريم في منتجعاتهم وقراهم ليتولى هؤلاء مهمة تعليم القرآن بين أبناء الطوارق، وبناتهم، وبسبب استمرارهم على هذا النحو وهذا الاتجاه أصبح كثير من البنين والبنات ممن أتم تعلمه وكان منهم من يحمل كتاب الله ويقرأه عن ظهر قلب بحفظ ممتاز[2].

ثم انتقل اهتمامهم بالإضافة الى ذلك[3] مواصلة الاستماع لدروس الفقه[4] من علماء الدين والالتفاف[5] لتلقى الدروس بصفة أكثر انتظاما والتزاما حتى لمع من بينهم عدد من علماء الدين الإسلامي الحنيف[6]، نذكر منهم :

---

[1] الصواب : ولما.

[2] الصواب : سليم.

[3] الصواب : بعد ذلك.

[4] الفقه الذي يدرس عند الطوارق هو الفقه المالكي والسائد في السودان الغربي والكتب المعروفة التي تدرس آنذاك مختصر خليل وجامع المعيار وتحفة الحكام ومختصر الفروع والمدونه والرسالة وموطأ مالك. للمزيد انظر السعدى، تاريخ السودان، ص 93. خليل النحوى، بلاد شنقيط المنارةة والرباط. المنظمة العربية للعلوم والثقافة، 1987م، ص 53 – 58.

[5] يجب زيادة كلمة حولهم.

[6] ينقسم التعليم عند المجتمع الطارقي إلى :

التعليم المتنقل : فنحن نعلم أن شعب الطوارق يتنقلون دائما ولا يستقرون في مكان واحد وهم يتنقلون حسب الظروف معيشتهم فهم بدو رحل لا يستقرون في مكان واحد أينما انتقلت القبيلة

1- **الشيخ أحمد الملقب بالسوقي** : عاش هذا العالم خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي هاجر من سلطنة "تامزقدا" ووصل غدامس فوجد سكان من أبناء جلدته الطوارق خارج البلدة وقد تزوج من عائلة ينسب أحفادها إلى أوبدين. عاش الشيخ أحمد ولم يفارق المنطقة حتى توفي ببلدة غدامس وقبره معروف بالمنطقة الواقعة جنوب شرق غدامس. وخلف هذا ولداً اسماه الحاج الفقي وخلف هذا " أبا – موسى – البكرى – بابا – أحمد – موسى. وهذا موسى الأخير توفي قبل بلوغه سن الرشد وبعد وفاته رأوه في المنام وهو يطالب بنقله من قبره في الصحراء إلى مكان آخر فنقلوه فعلاً إلى بلدة – تيماسينين – وقبره يزار ولذلك يقال له أيضاً أبو قبرين.

وتعتبر هذه الأودية كلها روافد يضمها وادي "وأن امسككى" إلى الشرق من بلدة تيماسنين.

2- **الشيخ محمد عبد الله** : عاش حوالي 1801 وتوفي ببلدة زويلة في طريق عودته من أداء فريضة الحج، وخلف إبنة واحدة اسمها خوله وهي حملت أبناء البكاى.

3- **الشيخ ابن ابه ابن إبراهيم** : عمل قاضيا أثناء وجوده بإقليم أهقار، وكان جده "اوبدين" يعرف أيضاً باسم "وأن تلوهات" وأحفاده الآن ما خلفه احمدى وأخيه محمد لقبه والشريني. وهما أبناء محمد اق آخا اق توتا.

وعند نصب خيمته يجتمع عنده الأولاد والبنات يوميا ويخصص لهم فترات لتحفيظهم القرآن الكريم وفي الأوقات الأخرى يتلقون العلوم الدينية الأخرى مثل الفقه واللغة العربية ويتلقى الأولاد تعليمهم فى سن الخامسة أو السابعة والطفل يحفظ القرآن في ثلاث سنوات في الغالب.

أما التعليم النظامي : وهو التعليم المؤسس وقد ظهر هذا التعليم فى سنة 1950م. ويتسم هذا النظام بالاستقرار وقد اهتم أبناء وبنات الطوارق بهذه المدارس النظامية فسجلوا بمراحلها المختلفة الابتدائية والإعدادية والثانوية ثم بعد ذلك انتقلوا الى المدن لاستكمال دراستهم. للمزيد انظر محمد السويدى. بدوا الطوارق بين الثبات والتغير. الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م. ص 190.

4- الشيخ محمد كنى من قبيلة تينالكم : كان فقهيا ورعا ومن حيث هو عالماً كانت ترفع إليه قضايا المجتمع فيقضي فيها بعدل وروية، وعلى ما نعلمه فقد خلف ولدا اسمه سليمان وهو فقيه أيضا.

5- الشيخ إبراهيم السوقي : عاش في قبيلة امنغساتن في أوائل القرن العشرين الحالي وتوفي بوادي الآجال ولم يخلف أحداً من الأولاد.

6- محمد العبد بن سالم : كان فقهيا واعظا وقاضيا متطوعا ومصالحا بين الناس وكان عادلا فيما يعرض عليه من قضايا، وكان مسموع الكلمة. انتقل إلى وادي سوف حيث توفي رحمه الله مخلفا أسرة صالحة أبنائه وأحفاده لا يقل عددهم عن مائة شخص جميعهم صالح والمسموع عنهم خير.

7- الشيخ العربي نذير : من قبيلة امطريلان. عاش في النصف الأول من القرن العشرين، عمل في أول حياته مدرساً للقرآن الكريم بقبيلة امنغساتن ثم عُيّن واعظاً بوادي الآجال. باتم ما في الوعظ وحقيقته إذ كان في بعض الحالات يحرم نفسه من راحة الليل ويخرج إلى أحد الجوامع ويصعد المئذنة ويلقى مواعظه قبل الفجر بساعات، ولا يزال كذلك حتى يصلى الفجر، والصبح وكان سكنه ببلدة توه "توش" القريبة إلى الشرق من مدينة جرما الأثرية بالقسم الغربي من وادي الآجال وتوفي بها رحمه الله مخلفاً أبناء عديدون[1].

---

[1] وهناك علماء محدثين استفاد منهم كثير من المؤرخين عبر رواياتهم الشفوية عن شعب الطوارق أمثال:

1- محمد موسى وهو من مثقفي النيجر ومن طوارق طاوه نزح إلى الجماهيرية العظمى اثر محاولة الانقلاب ضد الرئيس النيجيري حسين كوتشى سنة 1983م وعاد بعد وفاة كوتشي وله معلومات هامة عن الطوارق وثورة كوتشي.

وكانت سنة 1950م سنة من سنين تاريخ الطوارق ذات النشاط الأكبر في ميدان العلم، فقد أخذ أبناء وبنات هذا المجتمع في الاتجاه بشكل ملحوظ نحو المدارس النظامية بعد أن اتيحت لهم فرص الالتحاق بها بصورة أيسر وأكثر ملائمة حيث لا يخفى ميولهم الواضح، ونشاطهم الجاد اتجاه العلم، والمعرفة.

وظهر ذلك من خلال اندفاعهم إلى المدارس الابتدائية ومواصلة نفس العزم بهمة وجدية فائقة نحو الجامعات إلى أن تمكن الكثير من الحصول على درجات عالية.

كما كان المرء يدرك بجلاء حقيقة هذا النشاط حينما يعلم أن اهتمام بنات الطوارق على حرص متزايد لمواصلة التعليم إلى الجامعات، وإلى غيرها من المعاهد العلمية الأخرى.

وهذا ما يبشر ببزوغ فجر وعى[1] متنامي بين أوساط هذا المجتمع وانتباهه لما له وما عليه تجاه وجوده في هذه الأجواء، والظروف ذلك من ابرز التحولات التي يشهدها الطوارق في حياتهم[2].

2- محمد عبد الرحمن عبد اللطيف : استاذ جامعي من عرب طوارق كل اغلال بالنيجر هو الذي ترجم كتاب كاوسن والثورة الفرنسية لمؤلفه اندرس ساليفو وهو رجل عالم بتاريخ المنطقة وله معلومات وافية عن ثورة كاوسن.

3- الخير حمدان من عرب طوارق اوراغن له معلومات كبيرة عن الطوارق.

للمزيد انظر محمد سعيد القشاط، من قيادات الجهاد الأفريقي محمد كاوسن، الرياض، ص 210.

[1] الصواب : جديد.

[2] اهتم الطوارق بالدراسة في جميع مراحلها التعليمية وبعد أن سجلوا بمراحل التعليم الأساسي ثم الإعدادي والثانوي، انتقلوا إلى المدن الكبيرة في ليبيا ومالى والنيجر والجزائر وبوركينا وفي جميع مناطق انتشارها في جامعاتهم وقد تخرج نخبة من المتعلمين على درجة علمية كبيرة ماجستير ودكتوراه في مختلف التخصصات وحصلوا على تقديرات مشرفة، مشاهدات المحققة.

الشعر عند الطوارق

لما تتصف به لغة الطوارق من جودة الشعر ووزنه فلابد من التفكير بأن الشعر عند هؤلاء القوم غير ذي قافية معتمدة على الحروف، مع ذلك أجده معتمداً على الوزن المعتمد هو أيضا على القافية الحركية.

فمثلاً البيت الذي انتهي بحرف مفتوح فسيكون البيت الذي يليه منتهيا بحرف مفتوح هو أيضا. وهكذا أما إذا خالف بيت الشعر هذه القافية فلا يعد شعراً إطلاقاً ويعتبرونه لحناً شعريا غير مقبول. ولبيان ذلك أدرج هنا بعض أسماء أولئك الشعراء مع اقتطاف أبيات من شعرهم. وقد يكون ما سأقتطفه توضيحاً للقوافي والوزن ولحرصنا على أن نصل إلى هدف الشاعر من شعره وهم كما يلي:

1- عيسى اق اونزق من قبيلة اهضاناريد : يقول في قصيدته :

غور مانين ورميد كبيل امانى والظاهر استمدويد اكنى

فول انين انفاس وانتيتى البرحيلا وراكنين انهجى

2- الطاهر اق الحاج أحمد من قبيلة افوغاس : يقول :

البركيلا أكد الشانق اولشايد وين فيرد ميستلتسا اكيونان

نيك يلك اكاجير غرمان أما السوق درتنسيه ادولان

3- محمد اق الخير اق ازرفاق من قبيلة كيل ابادا : يقول :

فيوت دالبركت أو غات نكسنتن ارهيدوت امناس نفلتن

تنزويت امنقت غورجيفين وايتلالاتماهارت دالاكواس

ماهيد يكتمن دغ ميضمانن ارامين اللرين إكلا الن

نرجيه انقاجراى الزنقوتن تجمضد بوزنا تموس اهوتمارث

اتجياتن اماغراس دابناون

4- اوتا محمد اق ساسا – من قبيلة افوغاس : يقول :

اجدلسيت اسولتد الكونفا وريتوى اسل النوشيك تمدا

مبدن تنيمستر كلتوسا اتا تقاقت امزاد ادجلا.

5- اناخا اق خجاجا من قبيلة كيل اوهنت اوقيلالن : يقول

فزاع قين الدهبا تيدرغين   انتوزان اس تمناليتن لالين

امناس نقانقيرا ابقاكيد تمزين   وين ليلان اوسن اقورنت ساتشين

اريجرارج ذات امود اتمهكين   اران اوغول انتيهارت اتقرنين

6- محمد اق باخى من قبيلة اغناتن : يقول :

تاتلاق اتقلد مام ازرى   واجبد اتلغت منايىنجى

فول هيويد اجوجغ فول ارى   تقرام ميمون اكيتينغ مادرى[1]

---

[1] هناك عدة شعراء أجادة بهم الصحراء غيرهم أمثال الشيخ المحمودي بن حماد الانصاري السوقى وعثمان بن حوالن الانصارى وأبو بكر بن حماد الاتوكندرى ومحمد المختار بن حود وحميدان سيدى قبلت ومحمد الطاهر احمد الانصارى ومحمد مهمن بن الأمين وغيرهم مما لا تسعنى الذاكرة في ذكرهم ولكن سوف أعرض قصيدة للأستاذ محمد أحمد الشمقيع وهو من عرب طوارق النيجر (كل اغلال) ولد عام 1940م في ابلغ ولايه طاو بالنيجر تعلم وحفظ القرآن فى سن سبع سنوات درس على مشايخ بلدته. علم العقائد والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف وظهر نبوغه القيادي بعد استقلال النيجر 1960 ارسل بعثة خارج بلاده إلى تونس والجزائر وفرنسا وجاء الجماهيرية في ندوة التواصل بكلية الدعوة الاسلامية فقال شعرا :

يا ندوة التذكير بالماضى المجيد   يا رمز عزتنا لإحياء العهود

أفريقيا الاسلام تشدو فرحة   يتجمع يرمى إلى هدف بعيد

يرمى الى استنطاق عهد زاهر   يتواصل الاسلاف فى عصر مجيد

عمل جليل نظمته مراكز   تهتم بالاسلام في جهد جهيد

تهتم بالبحث الدقيق لتتجلى   ظلمة الجهالة والضلالة بالسديد

كلية للدعوة الغراء قد   عرفت بابراز المآثر فى صمود

للمزيد انظر أعمال ندوة التواصل الثقافى والاجتماعى، عبد الحميد الهرامة، 1999ف، ص 4.

الأمثال السائدة لدى مجتمع الطوارق

أوجد الطوارق خلال وحدتهم وإقامتهم بأراضيهم منذ عصور وقرون خلت ثقافة خاصة بهم خالية من أي مزيج خارج مجتمعهم خالصة من تكوينات اتية من أجواء ومن ظروف غير نابعة من بلادهم الصحراء الكبرى المترامية حولهم، ومن هذه الثقافة : الأمثال[1] التي يسمونها أنهى ويقولون من لم يدرك أبويه الذين يعلمانه فانهي يكفيه منها نحن نقتطف للقراء من أمثال هؤلاء القوم ما يلي :

1- ارى تتيكرسن ميغاسنيت ايتتيار سيسن نيت

المعنى : من تسبب في تعقد الأمور فإنه عليه وحده إيجاد الحلول لها وتدبير مخرج مما صنعه بيده عندما تكون الحلول عسيرة.

2- اريدغ الشمنت توساتين اتهلنت تيلغين

من كان أصلح بجمع كثير من القبائل واجهته الخناجر.

المعنى: إذا ترتب ثار على قبيلة كان غرقه منها فإنه سيكون ضحية ذلك الثأر.

3- اولليد اماكن أوريد

كل ما ليس يكمن لك فيه ما لا يسرك.

المعنى: اغتصاب أموال الغير ستكون عاقبته سيئة على الغاصب.

4- تلى تيدت ورجنيت الان اشكان ورزكشيد

---

[1] المثل هو الشئ الذي يضرب لشئ مثلا فيجعل مثله، وهو يعبر عن واقعة لمناسبة اقتضت ورودها فيها ثم يتداولها الناس في الوقائع التي تشابهها دون أي تعديل والمثل منتشر بين الناس ويجري على الألسنة لما فيها من قيمة والمثل هو كل ما شاع وتكرر في المناسبات. للمزيد انظر ابن منظور، لسان العرب، مكتبة الحياة، بيروت : د-ت، ج 4، ص 131 - 133.

هناك حق لا يقال وهناك كلا لا يرعى فيه

المعنى : كلمة الحق عن جبار ليس بمقدور كل إنسان الإفصاح بها كما أنه ليس كل كلا يرعى فيه[1].

5- اسنيد اريملان اتند الهين اتهان

عندما ترى الثري تحسب أنه مجنون

المعنى: عندما تشاهد تصرفات الغني في ماله تتصور أنه بدون عقل.

6- اسغيرت تومد اتقايمد اسمسي نسن

حطب جمعته ستجلس إلى ناره.

المعنى : عملك الذي تصرفت به ستحصل نتائجه إن رداءة ما جمعته من حطب تتمثل في أنه قد يكون أخضر أو هو من عرق تحت الأرض تتحمل دخانه.

7- ارى كيكفن سفوس آينى امايا غن سين

من أعطاك بيد خنقك بأخرى.

المعنى : أن من أعطاك ملك بحيث انك لا تستطيع رد طلباته منك مهما طلبت يحذرون من الارتشاء بهذا المثل.

8- اكيت ايهن اجن سل تللمين

كم من أشياء في الغزو غير النوق

---

[1] للتوارق أمثال شعبية تضرب في المواقف والمناسبات وهذه الأمثال غير مدونة في كتاب وغير مدروسة في كتب بل يقولها الطارقي في مواقف معينة وهي خلاصة تجاربهم في الصحراء ولكل مثل معني= =معين وعميق وله معزا في حياتهم ومثال على ذلك عندما يقول الطارقي [أمان ايمان] وهو نفس المثل العربي [الماء آمان] ومعناها لكلاهما أي أن الماء هو الحياة والأمان. مشاهدات المحققة.

المعنى : يجب على من يفكر في غزو غيره أن هناك مخاطر كثيرة ولا يفكر في الغنائم فقط ويترك التفكير فيما قد يصادفه من مفاجآت.

9- ترن تناط ثاها تجنى تغهد تاجيد امانك تكنا

رأي الجماعة خير ولو أخطأوا من رأيك وحدك ولو أصبت.

المعنى : أن المرء ليس في صالحه أن يستبد برأيه فإن رأي الجماعة كثيرا ما يحالفه النجاح.

10- اهنجويرون وريتوماس امرى يينا ين

عدو قديم لا يكون حبيب جديد.

المعنى : لا تركن إلى عدوك القديم وتطمئن إليه فإنه سرعان ما ينقلب إلى عدو كما كان.

11- تيتنفيد اتتميد

المعنى : كما تقتل تقتل : يقال كما تدين تدان.

12- تطسير دغ انيك تتهيكيكيت ورتيندتنهاك تيكيت

ضحكت من أخيك مقهقها فماذا تدرى ما تخبئه لك الأيام.

13- اهاك اندرن سطكال انضوت سفطال

ما لم تستطع رفعه دعه إلى الأرض.

المعنى : اترك ما تعجز عن القيام به أفضل لك من محاولة ضارة بك.

14- اركى امجر توثي تروسلى

المعنى : الانسحاب قبل بداية المعركة أفضل من دخولك بها وأنت خاسر.

15- اللمان اسمنان

المهارى وسائل اللقاء.

المعنى : طول الزمن كفيل بأن تجمع بيننا يضرب هذا المثل لمن يقصد لوم مقابله بأدب.

16- ايجن يوف امجى

الرقيب خير من العامل.

المعنى : الواقف غير العمل أفضل تأثيرا من العمال المتشغلين مباشرة.

17- أرعاها كجن اورها سجير ايسين نفلا اورهاسليد

من فعل بك ما لم تفعله به فليس في فكك العلوي أسنان.

المعنى : أن لم ترد الفعل تعتبر عاجزا فاقد القدرة على رده.

أدب القصص عند الطوارق

لابد للمرء من مصدر لكل ما علمه من معلومات وهو أما أن يكون في صيغة وثيقة مكتوبة وهذه أرفع شأنا من حيث أنها أقوي وهي أقرب عند المراجعة في كل وقت أو ما كان يسمعه بوعي من أخبار أقدم منه سنا لدى مجامع فئة الكبار من مجتمعه[1].

---

[1] المجتمع الطارقي فى الصحراء تقاليد خاصة تتضمن العديد من الحكايات والقصص والأساطير التى أصبحت جزء من كيانه وأدب القصص يتضمن معلومات حول المستوي الثقافى لابناء هذا الشعب وتوضيح الموروث الشفوي الذي يتمثل فى الحكايات المتناقلة عبر أحاديث كبار السن والمشايخ وهم يقصون قصصا طويلة عن وقائع تسرد وتعقد الاجتماعات والميعاد فى ارض رملية يجلس الواصلون الاولون على هيئة قوس دائرة ويتسامرون ويحكون القصص والبطولات التى تحكى عن معاركهم وحروبهم وتصف شجاعتهم وأخلاقهم فى الحروب وهناك أعلام محدثين أمثال الكاتب والاديب ابراهيم الكونى الذي كان له إبداعات فى الكتابة الادبية وفى القصة والرواية تحدث فى كتاباته عن الصحراء= =وما فيها من جمال وروعة لا يدركها الا الشخص الذي يعيش فيها وأهم ما كتب هذا الأديب جرعة من دم وشجرة الرتم وتورات

كذلك كنت لا اترك فرص[1] تفوتني من هذه الاجتماعات ناصتا بشغف لما يدور بين أولئك المسنين من أخبار وقصص وهو يتعلق بشتي المجالات في حياتهم وحياة أقوام عاشوا في زمان ما قبلهم.

وهم يتناولون في أحاديثهم تلك حالة أمنهم وهدوئهم وعداواتهم وغزواتهم وغنائمهم وحروبهم وانتصاراتهم وهزائمهم وما تكبدوه من خسائر مختلفة الأنواع والأشكال كما كانوا يتحدثون عن تنقلات قبائل الرحل في الصحراء شمالا وجنوبا وهم لا يغفلون عن الحديث عن أقوام هاجروا إلى مناطقهم.

ونحن نولى حديث هؤلاء مزيدا من اهتمامنا لما لهذه الأخبار والروايات من أساس من الواقع ولذلك عزمنا على تناولها بالإشارة عن فقدانها للضبط التاريخي للوقائع المختلفـــة، إذ لو تركناها بسبب ذلك لترتب[2] أننا وضعنا جانبا من وقائع هذا المجتمع على حالة من الإهمال فلذلك رأينا أن نشير إليها دون إهمال منا لجليل الأمر منها ولا لحقيره.

لذلك فحاولنا أن نشمل بالإشارة كلما وصل علماؤنا تجاه هذا الموضوع تاركين أمر ضبط تواريخ الوقائع إلى أمور الاحتمال والافتراض المعقولين[3] تستوجبه كل مناسبة عند التعرض لها في مناسبتها الخاصة.

ولما كانت قبائل الطوارق هي قبائل متمكنة من الحركة السريعة بفضل ما لديها من وسائل النقل ذات القدرة والاحتمال الفائقة وهو الجمل وكانت دائمة

الصحراء الكبرى والقصص ونزيف الحجر وحريق الدرويش وصحرائى الكبرى وعشب الليل والفزاعة والدمية وعشب الليل والناموس والخروج الأول. مشاهدات المحققة.

[1] الصواب : فرصة

[2] يجب زيادة جملة على ذلك.

[3] يجب زيادة كلمة اللذين.

التنقل من شمال الصحراء إلى جنوبها وتعود مرة بعد أخرى وذلك هو السبب في أن كثيراً من القبائل لها وجود وفروع بنفس اسمها في الشمال والجنوب والغرب من الصحراء حيث يقيم بعضها في الشمال ويقيم البعض الآخر في الجنوب.

فبحكم الطبيعة ذات التأثير في ألوان الأقوام مما جعل لون البشرة البيضاء أو القريبة إلى البياض والشعر الأسود المسدول من سكان أفريقيا هو من نصيب الشمال وأن لون البشرة السوداء الداكنة والشعر المفتل كان من نصيب الجنوب، فإن الأقوام ذات البشرة والشعر المسدول، لاشك في أنها قد حفت من الشمال إلى جنوب الصحراء تاركة بقاياها في الشمال ولوحظ من هذه الصحراء عندما تستحكم[1] فيها سنوات الجفاف ترجع مرة أخرى عائدة إلى مواقعها السابقة حينما يجتذبها حنين أوكارها القديمة.

فتقول هذه القصص أن قبيلة اوراغن كانت قد رحلت نحو الجنوب فاستقرت في مناطق ازواغ، مما يبدو أنها متفرعة من قبيلة أولمدن المستقرة في تلك المناطق حتى الوقت الحاضر ثم رجعت إلى آزجر ورحلت مرة أخرى إلى اير حيث عقد علاقة ودية مع قبيلة اكزكزن هناك ثم رحلت من آير عائدة إلى آزجر مستقرة به مع بقاياها من كيل ازيان حتى اليوم ولما كنا بصدد الإشارة إلى حركة القبائل الطوارقية في رحلاتها من الشمال نحو الجنوب تصادفنا قبيلة امنان نتذكر أن هذا الاسم كان له وجود أيضا بين قبيلة سلطنة اولمدن كيل اترام ويبدو أنه كان نتيجة تلك الهجرات التي جرت في إبان محاولة الرومان بسط نفوذهم عبثا على جهات الصحراء إلى جانب ما تلي هؤلاء من عناصر عربية خلال القرن الحادي عشر الميلادي الذي اتسم بفوضوية غاية من الغلطة وسوء الأخلاق.

---

[1] الصواب : تتحكم.

الفلك عند الطوارق

ضبط الطوارق فصول السنة باعتمادهم على طلوع وغياب بعض النجوم التي يرونها تظهر في الآفاق الثلاث الشرقي والغربي والجنوبي.

وبواسطتها عرفوا دخول فصل الصيف ذات[1] بطلوع مجموعة نجوم الثريا الشيت اهض ما بين خطي سواء الليل وأصفار النهار عند الأفق الشرقي يقول أسد جضنت تطاسد اجمى تابيوق سامد[2].

وعرفوا دخول فصل الخريف بطلوع نجمة السهيل وادت بعد غياب الشمس وبداية انتشار ظلمة الليل في شرق الأفق الجنوبي وغيابها في هذا الأفق في الغرب يعرفون به نهاية فصل الخريف هذا.

أما فصل الشتاء فعرفوا طلوعه ببداية طلوع مجموعة نجوم الثريا بعد غياب الشمس وبداية ظلمة الليل في الأفق الشرقي.

وبطلوع النجوم الأوائل من الجوزاء امنار يعرفون به دخول الليالي ارهضاون ذلك عند غياب الشمس وبداية ظلمة الليل في الأفق الشرقي. ويعرفون نهاية الليالي بطلوع نجمة الموزع أو الشعواء أبدى وقالوا اسوضت توكايد اجمى تيبفق لأمر.

ودخول فصل الربيع يعرفونه بغياب نجوم الثريا بعد غياب الشمس وبداية ظلمة الليل ذلك غياب الثريا في الأفق الغربي.

يتضح من دراسة هذا الوعي أن شعب الطوارق كان يعتمد على نفسه اعتمادا جديرا بالتقدير إذ لم يكن في صحرائه جامدا لا يفكر فيما حوله، وفيما

---

[1] الصواب : وذلك.

[2] أن فئة المسنين في المجتمع هم الذين يحرصون لضبط الفصول عن طريق النجوم التي تطلع في أول تلك الفصول أو تطلع في منتصفها وهم ملامين إذا ما جهلوا معرفة أوقات طلوع تلك النجوم. المؤلف.

يواجهه من ظروف. بل تبين أنه كان شعبا حيا ومتحركا نشطا، وعل ذلك يجوز لنا وصفهم بأنهم جغرافيون وتجار ومقـاتلون ومفكـرون ومبـدعون ومنقبـون وفلكيون أيضا.

التنبؤات عند الطوارق

إنني لعلى يقين من أنه لا تدوم عزلة ولا تطول وحدة قوم في نطاق رقعة جغرافية واسعة كاتساع الصحراء الكبرى بدون أن تفرز هذه العزلة الطويلة أفكار وتطلعات من درجة أدنى إلى غيرها أعلى منها وابتداع ما لم يكن من قبل موجودا معينا وقد كانت الحاجة ماسة إليه، فمنها ابتداع الحروف التي أطلقوا عليها اسم "تيفيناغ".

ولقد جعلت هذه الانعزالية أفكار الطوارق تتطلع إلى محاولة الوصول إلى معرفة أمور غائبة عنهم وبعيدة عن مداركهم والمعروفة بظواهرها المعتادة.

ومن هذا النوع من الأفكار فكرة ادبنى وهو عبارة عن قبر ما قبل تدوين التاريخ. فها نحن نحاول الحديث عنه بشئ من التفصيل بناء على مشاهداتنا الخاصة لما كانوا يجرونه من أعمال وحركات تجاه هذا الأمر.

ونظرا لم هم عليه من بعد وانعزال في صحرائهم فنراهم إذا ما حاوروا وأهمهم أمر من الأمور، وكثر الحديث عنه في أوساطهم وفي مجامعهم مثل أن يغيب غزاتهم أو قافلة غيابا غير عادي أي غير مألوف عندهم فإنهم يلجأون إلى تكليف عدد من النساء لا يقل عددهن عن ثلاثة ولا يتجاوزن ستة وهن معروفات بالصدق سلفا ويطلبون منهن الذهاب إلى ادبنى ذلك القبر الذي يطلقون عليه اسم ادبنى الذي سبق إيضاحه قريبا وكان الذهاب إليه يشترط فيه أن يكون بلباس فاخر وأنيق وأن لا يكون معهن شئ من الحديد، ولو كانت إبرة وأن لا يتحلين بأى نوع من الحلى ولو كانت خرز أو أية مادة تتخذ كحلق، وبعد وصولهن إليه ينام الجميع عنده مدة ساعتين، وحين يرجعن إلى بيوتهن حيث الكثير من الناس

في انتظارهن فتخبر كل واحدة منهن ما رأته في منامها حيث يأتي المؤولين ليقرروا حل ذلك باهتمام بالغ.

وإذا كان هناك ما كان به غموض وعيت صاحبة الرؤيا وكذلك التي لم تر شيئاً إلى الرجوع للقبر فتنقلان منه أحجار صغيرة لتناما بجانبهما ذلك لاستيضاح الرؤيا أكثر ويرجعان الأحجار لمكانها. وإذا استغربنا هذه الأمور المألوفة عند الناس منذ آلاف السنين، فقد اخبرنا القرن العشرين بما هو جدير بالاستغراب أكثر وهو فكرة استحضار أرواح الموتى ويعمل المتعلمون والمثقفون جاهدين لإقناع الناس بتقبل هذه الفكرة كشئ صحيح ومعقول كما هي وقد برزت وخرجت من طور التفكير إلى العمل الحقيقي الواضح المبدئي فعلاً.

وحينما نجرى مقارنة بين ما يستعمله الناس مما هو متاح من مواد لإجراء تجاربهم لاستيضاح ما كان مجهولا لديهم من أحوال غائبة عنهم واستجلاء أخبار ما قبل آلاف السنين وبين ما هو حاصل اليوم من تجارب لغزو الفضاء الخارجي لوجدنا كلتا الحالتين على تشابه وذات أصل واحد وهدف واحد.

أليس نوم فريق من الطوارق على كومة ادبنى هو بعينه استحضار أرواح الموتى؟ وإذا اعتبرنا هذا سؤالا فلا نرتاب من أن يكون الجواب عنه هو نعم هو بعينه.

وما كان القمر قبل اليوم في نظرنا سوى جرم من الأجرام ينبعث منه نور نستضئ به في الأرض لا أكثر من ذلك، ولكنه أصبح بفعل تجارب كثيرة وأعمال مضنية شاقة وصلت في نهاية الأمر إلى أن وطئت أقدام الإنسان سطح هذا الجرم المجهول قبل ملايين السنين[1].

---

[1] أن الطوارق لديهم تنبوات واعتقادات سيطرت عليهم وعلى عقولهم فهم يتنبأون بقدوم القوافل أو بوقوع غارات من اتجاهات الرياح من شكل السحب وسيرها وعلى حسب ما يمليه عليهم تفاؤلهم أو تطيرهم يقدمون على ما عزموا عليه أو يعدلون عنها فإن احد أكابر الطوارق في قرية البركت

وهذه المركبات الفضائية المرسلة من العلماء حتى اليوم لاستكشاف كوكب المريخ البعيد، فهذه التجارب وهذه العمليات ذات أصل واحد وهدف واحد يتمثل في وصول الإنسان إلى كنه ما يراه ببعده ولا يعلم عنه شيئاً[1].

ومن ذلك اليكن وهذه الكلمة تعني التأكبر وهو عملية يقصد بها استجلاب أخبار الغائبين واستجلاء لما كانت عليه أحوالهم عن طريق عملية تقوم بها النساء وتتألف باتفاق النساء عليه زمن البداية ومكان العمل فيقرعن ببناء خيمة أو خباء صغير ضيق لا يسع سوى شخص واحد، وقد اختارت من بينهن واحدة كن واثقات من صدقها سلفاً ويدخلونها في تلك الخيمة وتدخل معها مرآة فإذا دخلت سدت جميع منافذ الضوء إلى داخلها، وتكون هذه المرأة موجهة نظرها دائماً إلى المرآة التي امسكتها بيدها تراقب ما قد عساها أن تراه وقد شرعت النساء فور دخولها الخيمة بحفلة من أروع الحفلات غناء – رقص – عزف – زغاريد.

وتستمر الحفلة ساعة أو أكثر ففي أثناء الحفلة تخرج المرأة من الخباء الضيق والمظلم مخبرة بما قد رأته في تلك المرآة.

أدعى في أحد الأيام وهو يشير إلى سحاب كثيف يصبحه رعد وبرق قائلا : "أن أخبار العدو ستأتي من هذه الناحية" ولدى الطوارق اعتقاد الاستعانة بأرواح الموتى : عندما يتطلعون لمعرفة أحوال الغائبين في الغزوات أو النازحين لديار أخرى لحمل البضائع للتجار أو غير ذلك من أخبار الغيب، تعمد النساء إلى بنت شابة فيلبسنها أجمل الملابس ويصحبنها إلى إحدى مقابر ما قبل التاريخ يسمونها (ايدينيين Idibinin) وهي مقابر من آثار ما قبل التاريخ وهي عبارة عن أكوام من الحجارة على شكل هرم تحيط بها دائرة من الحجارة فتقيم الشابة على القبور ليلتها وتقص على النساء في الصباح ما راته في منامها ومن الطبيعي أن تطابق الرؤيا الوقائع أحيانا نظرا للانطباعات المتركزة في مخيلتها عن الغزوات ووقائع الصحراء مما يقوى عقيدة هؤلاء القوم في هذه الأفكار الباطلة. للمزيد انظر عبدالقادر جامي، المرجع السابق، ص178.

[1] وأننا إذا ما علمنا أنه جرم كسائر الأجرام التي نراها فأنه تتضح لدينا المفاهيم عند غيره ولا سبيل إلى الاستغراب في الوصول إليها إذا وجدت الأسباب. المؤلف.

وإذا هي أخفقت ولم تر شيئاً استؤنفت العملية نفسها ليوم أو يومين تاليين. ومنها تيبلغين : هي مادة مكونة من خليط يحتوى على رماد أو نخالة مسحوق عظام تجمع إلى بعضها وتخلط بحليب ناقة بيضاء أو شاة بيضاء، وبعد خلطه يعد في شكل كرات حسب المستعدات بالقيام بهذا العمل وفور كل ما تأخذ كل واحدة نصيبها من تلك المادة كاشفة ذراعها الأيسر مالئة شفيها من الحليب المتبقي لينطبق كلامهن تماماً، وكان الوقت قد مضى من الليل قدر ساعتين على الأقل مصطحبات معهن أحد الذكور دون الخامسة عشر من عمره وهو يطبق جميع أعمالهن سواء بسواء ويسرن سيرا نشطا حتى يصلن مكانا لا تصل إليه أصوات ولا ضوضاء الناس حيث يقفن صفا واحدا وتحذف كل منهن بالكرة التي بيدها حذفاً قوياً أمامها ويفرغن في الأرض ما بأفواههن من حليب أمام كل واحدة وينكبن على ثراء ذلك الحليب ويستمر الحال ساعة أو أكثر حتى يأخذ البعض في النوم وقد يكون البعض بين نوم ويقظة، ففي هذه الحالة يرون ما كانت عليه حالة الغائبين وهل اقترب رجوعهم إلى الأهل أم كانوا على تريثهم أيام أخرى، كما يرون من بينهم من كان مريضاً طريح الفراش غير أنهن لم يصلن إلى درجة التميز بين أي شخص منهم بعينه.

اهتمام الطوارق بالصحة العامة

يولى هذا المجتمع اهتماماً وعناية متزايدة بالصحة، وذلك لمراقبة حدوث الأمراض مراقبة شديدة ومعالجتها حين وقوعها بما توصلوا إليه من أدوية مضادة نافعة حسبما تأكدوا منه عن طريق تجاربهم التي أجريت على النباتات ووجدوا أنها صالحة ومفيدة[1].

---

[1] **يعتمد الطوارق على أنفسهم في تشخيص الأمراض مستخدمين النبات وأعشاب الصحراء الطبيعية يتم استخلاص المفيد من أجزائها للتداوى، كما يستخدمون التعاويذ والأحجبة في علاج الكثير من الأمراض المنشرة بالمدينة، مشاهدات المحققة .**

وبخصوص الأمراض التي توصلوا إلى معرفة انتقال العدوى منها من شخص لآخر والتخفيف من حدتها وذلك بتعميم التلقيح بين الناس كما يتخذون لذلك وسائل واقية كعزل المريض عن المجتمع ونقله إلى مكان آخر لتبنى له خيمة خاصة بعيداً عن المخيم الأصلي، ويقوم بتمريضه شخص كان قد سبق وأن شفى من نفس ذلك المرض، ويمنعون منعاً قاطعاً هذا الممرض في حال وأثناء مدة قيامه بذلك التمريض بالاتصال والاختلاط بالناس مدة ما بقي على حالته. فإذا شفي بقى هو وممرضه بتلك الخيمة المنعزلة مدة أسبوع على الأقل، ففي هذه المدة يقوم بتبخير هذه الخيمة بأبخرة عيدان الأشجار التي لها خاصية معروفة لدخانها القاتل لعوامل العدوى وانتقالها كما تبخر جميع ملابسهما وما بداخل الخيمة من أمتعة وأوانيها.

طريقة اللقاح ضد مرض الجدري : الصحيح في ذراعه الايسر وبعد تجفيف سيلان الدم، تنقل مادة من إفرازات قروح المريض، وتوضع على المكان المقصود ويلف بما لا يقبل الامتصاص، وللطوارق اهتمام خاص بأمراض المواشي.

لا يقل اهتمام هذا المجتمع بصحة الحيوانات عن اهتمامهم بصحة البشر وخاصة الإبل والبقر إذ يخضعونه باهتمامهم بجدية كاملة، وقد كانوا يعرفون فوائده من خلال تعاملهم معها زمناً طويلاً ويدركون أيضاً نوع مرضها لمجرد النظر إليها وإصابتها به وقد كانت هذه الحيوانات جزءاً ذا أهمية بالغة من بين[1] ثرواتهم الخاصة وهم يعتمدون عليها أكثر من غيرها اعتماداً يكاد يكون كلياً في كثيرٍ من الأحوال، ولا عجب في ذلك وهي التي استطاعوا بواسطتها البقاء

---

[1] يجب زيادة كلمة كثير.

والعيش في عموم ربوع الصحراء على امتدادها وعرضها والدفاع عن كيانهم وممتلكاتهم ووجودهم بها.

ولذلك تراهم على مهارة في علاجها واكتشاف أمراضها كما أنهم يحافظون على سلامتها من أي شيء يسبب في إذايتها أو انقراضها ويعاملونها معاملة غاية في اللين والحسنى، وكيف لا يولونها هذا الاهتمام ويعاملونها أحسن معاملة وهي التي دكوا بمساعدتها أعظم حصن وسور منيع حال بين الشمال والجنوب لبلاد القارة الأفريقية الذي كان مانعاً شديداً لمدة أحقاب من الزمن دون اتصال سكان القارة ببعضهم.

التغذيـــة :

وفي مجال آخر من مجالات الصحة العامة عند الطوارق فهم حريصون على سلامة مأكولاتهم وأغذيتهم من التلوث ويحافظون على صفته الصحية السليمة، من ذلك استمرارهم على ملازمة تغطية كل ما له علاقة بالأغذية والأطعمة واقية من الغبار، ووقوع الحشرات والذباب عليها وبداخلها كالماء واللبن وجميع السوائل الأخرى، وينفرون من الأطعمة وبالأخص تلك التي تمر عليها كاملة مكشوفة دون غطاء، وهم يعتقدون أن الجان يستعمل هذه الأغذية طول الليل ويتغذى بها ويبتلعها حتى تصل إلى داخل بطنه ثم يرجعها مقذوفة من جوفه إلى أوانيها ويتركها كما وجدوها دون تغير ودون تبديل، وإذا كان هذا الاعتقاد بعيداً عن المفاهيم العلمية المعقولة. فإننا نجده أيضاً يمس صميم ما قد نادت به التوجيهات والمنشورات الصحية الداعية لنشر الوعي الصحي بين الناس فهو معقول طالما يجنب المجتمع من الوقوع في محظورات دعت الجهات العلمية إلى تجنبها.

<u>التبخير :</u>

يجري تبخير الخيمة ومحتوياتها من ملابس وأغطية وفرش واوان وغيرها كما أشرنا لذلك بأبخرة أشجار ونباتات عديدة كالبرميخ والعجرم والرمن والطرفاء والرقم والرمر التي كانت تفرز مادة قطرانية لا تطاق دخانها وتكفي واحدة منها عند عدم وجود باقيها.

وبطبيعة الحال فإن التبخير بعيدان هذه النباتات يكون بإحراقها بالنار ومراقبتها لكي يندفع منها الدخان الكثيف وهو المطلوب.

<u>اغلاشــم :</u>

وهو نبات ذو أوراق صغيرة لا يوجد إلا في أودية جنوب خط العرض 29 شرق غرينتش تلك الأودية القريبة من غات ونواحيها.

أما طريقة استعماله فهو يغلي في اللبن ويعطى للمريض بالزكام – انفلونزا فهو نافع جداً لتجنب هذا المرض والقضاء عليه، وبعد تناوله لهذا الدواء يغطي بأغطية بحيث لا يتسرب إليه الهواء.

كما أنهم قاموا بتجربة نبات "اجرج" لشفاء مرض الإمساك بغلي هذا النبات مع شئ من اللحم ويعطي مرقه للمريض فيتخلص من هذا المرض حالا ويوجد بالمناطق الواقعة جنوب خط العرض 29 شرق غرينتش أيضا.

كما أنهم تيقنوا من الاستفادة من تجربتهم للبن "ثمار الدر" لشفاء مرض الإسهال وكذلك البعض يدقونه ويخلط بالماء أو الحليب فيعطى للمريض بارداً دون غليه، وكان استشفاء به يسرع بالمريض إلى الشفاء حالاً[1].

الأمراض المعروفة لدى سكان الصحراء (الأوبئة)

الاسم عند الطوارق		الاسم العربي
فئة أولى	(بدى)	1- الجدري
	(لومت)	2- الحصباء
	(هقغ)	3- بو شوكه
فئة ثانية	أمراض عادية أخرى	
	خرنيط	1- السعال الديكي
	تكمانغف	2- صداع عادي
	اركل- سرطان الرأس	3- صداع غير عادي
فئة ثالثة	أمراض جلدية عادية	
	(الحوركور)	1- فرطة
	(انغوا)	2- حساسية

---

[1] توجد في المجتمع الطارقي عدة أمراض اهتموا بعلاجها والأمراض المعروفة عندهم هو مرض تفتوت وهو مرض يصيب البطن ويعالجونه بدق حبوب من النبات ويطحن ويسقى مع اللبن للمريض، وهناك مرض اسمه اغتص وهو مرض يحدث إذا رفع المريض شئ ثقيل فيقطع لحم من جسمه فعلاجه يكون بالحجامة وإخراج دم أسود وهناك مرض آخر اسمه افيتى وهو مرض يسبب الإرهاق ويعالجون هذا المرض بأن يحفر في الأرض حفرة عميقة ويضعون فيها المريض ويتركون رأسه ويمكث ساعة ثم يخرجونه من الحفرة ويجهزون له دجاجة أو غنم، وعندهم أيضا مرض الصغير الذي يعالجونه بشعبة تسمى أقسور ومرض الزكام ويعالجونه بعشبة اغلاشه ومرض الإمساك ويعالجونه بعشبة اجرجر وكذلك مرض العيون بعشبة نبات الديس وكما يعالجون مرضاهم بمنابع المياه الساخنة الموجودة في البلاد وكذلك يعالجونهم بالأدعية بأن يقرأ على المريض آيات من القران الكريم ويدعو له فيشفي، مشاهدات المحققة.

	(تيمزجو لال)	3- دمل
فئة رابعة	أمراض صدرية عامة	
	(واندمارن)	1- السل
	(تاغراون)	2- زكام
	(اجبورو)	3- أنفلونزا
فئة خامسة	أمراض باطنية معروفة	
	(منغو)	1- مغمى
	(تاقظلت)	2- كلية
	(أوسا)	3- كبد

العــلاج

الفئة الأولى :

1- ليس لهذا المرض علاج مفيد وقاضٍ في حال حدوثه أما من حيث الوقاية منه أو التخفيف من حدته فإنه يفيد فيه التلقيح الذي يجري لجميع الناس وهو : قصد ذراع إنسان سليم في ذراعه الأيسر وتنقل مادة من قروح المريض وتوضع على مكان القصد بعد جفاف دمه وكذلك عزل المريض عن اختلاطه بالأصحاء وقد شرحنا ذلك بالتفصيل عند مناسبته سلفاً.

2- نفس الفئة لم توجد لهذا المرض أية علاجات معينة ويغطي المصاب بثوب احمر اللون ويفضل البعض ماء متوسط البرودة أو أدناها.

3- نفس الفئة أن هذا المرض ذا أورام أو ما يسميه البعض حبوباً وهي ذات رؤوس حادة يميل لونها إلى حمرة بوجه عام وهو ليس كمثل الجدري والحصباء من حيث الخطورة والفتك بالبشر.

الفئة الثانية :

1- إن هذا المرض ذو خاصيات الأولى مكورة لا تطول معاشرته للمصاب به لمدة تصل إلى ثلاث[1] شهور والثانية محمودة لأنه لا يعود لمن كان قد مرض به ثانية.

2- إن المرض عبارة عن أوجاع الرأس ولم تلبث أن تزول بأبسط التبخرات التي تجري بصمغ الطلح وغيره من الأشجار ذات الساق الغليظ الذي يفرز مواد صمغية.

3- أن هذا المرض خبيث للغاية مع ندرته وهو شبيه بالسرطان أو الجذاع وإلى الأخير أقرب إذ يشعر المصاب به بأوجاع حادة جداً بالرأس أو نصفه ثم يدم كثيراً حتى تنبعث منه رائحة كريهة فتتحول عينه أو الاثنين إلى اللون الأزرق فتصاب بالتلف في آخر الأمر ولا يفيد فيه أي علاج حتى يؤدي بالمريض في النهاية إلى الوفاة.

الفئة الثالثة :

1- إن هذا المرض الذي يتركز في أماكن أصول شعر الرأس وهو ذو قروح خبيثة مع طول معاشرته للمصاب به فإنه محير لدرجة أن الناس يتقززون من رؤيته وليس له أي دواء مفيد، ولكن للتخفيف حيث يلجأ الكثير من المصابين إلى إحراق شملة النوق التي تلصقت عليها ابوالها وتخلط بمادة دهنية وتطلى بها قروح المصاب ولكن الأمل ضئيل في شفائه منها نهائيا إلا بعد بلوغ المصاب قدراً معيناً من العمر وهو ما تتراوح بين خمس وعشرين[2] سنة والثلاثين.

2- إن هذا المرض الذي يرى على أنه مرض خفيف الآلام أنه مقلق وبطئ الزوال.

---

[1] **الصواب : ثلاثة.**

[2] **الصواب : الخامسة والعشرين.**

3- فالدمل في حد ذاتها لا تشكل خطراً بذلك على الحياة وإنما من حيث آلامها الحادة فهي لها مضاعفات مقلقة إذ تنتج منها حرارة للجسم كحرارة حمى الملاريا وما عدا ذلك فهي سليمة العواقب على العموم.

الفئة الرابعة :

1- يعتبر هذا المرض من أمراض الصحراء المزمنة إذ لا يوجد له أي دواء بين نباتها إطلاقاً إلا ما كان تخفيفاً لكثرة سمعته الملازمة للمصاب ويمنع من تناول شراب اللبن الطازج إلا الحامض فلا يمنع من شربه.

2- فهذا يجب أن لا يعد مرضاً لاعتياد المجتمع الصحراوي ولا يعتني بعلاجه.

3- يصيب هذا المرض الناس عادة عند حدوث برد قارس فوق المعتاد أثناء فصل الشتاء فيعالج بأوراق نبات أغلاشم ومن طرق ذكرناها فيما سلف.

الفئة الخامسة :

1- أن المغص واللي أوجاع حادة بالأمعاء وتعالج بدقيق ثم السدر وقد أشرنا إلى طريقة استعماله بالتفصيل في مناسبة سابقة.

2- ليس لمرض الكلية أي علاج إطلاقاً.

3- يعالج مرض الكبد بمسحوق الطرونه محللاً منه قدراً في الماء الدافئ ويعطي المحلول للمصاب فيشفي منه حالاً.

المواد المستفاد بها وهي في باطن ارض

الصحــراء الكبرى

الاسم عند الطوارق		**الاسم العربي**
للطعام والتجارة وفوائد كثيرة أخرى	(تيسمت)	1- ملح
يدخل في تحضير دواء مرض العيون	(ازارمت)	2- شب
في صناعة البارود	(اوكسم)	3- قطرون
تطلي به الحيوانات المجروبة	(اوفيس)	4- كبريت

لصباغة الجلود بلون السواد القاتم	(تاونكت)	5- كبريت اصفر
لصناعة البارود	(تيدى اتتيكاط)	6- ملح البارود
يدخل في تحضير دواء العين	(ناظولتا)	7- الاثمد
لصباغة بيوت الجلود إلى حمرة	(تامجهويت)	8- مغرة
يدخل في تحضير أدوية أمراض العيون	(تيقتت)	9- مجوهش بلون أحمر
يدخل في صناعة البارود	(تازقريت)	10- مجرمش شد الصفرة

النباتات المغذية للإنسان في الصحراء الكبرى

الاسم عند الطوارق	الاسم العربي
(اولول)	1- حبوب البط
(آبكا)	2- النبق ثمار الدر
(اوظما)	3- البهماء
(أتنكه)	4- عروق
(آهليون)	5- عروق
(تارفست)	6- الكماة
(اسيين) أو اسفال	7- حبوب
(أفظو)	8- حبوب بوركية
(تابركا)	9- حبوب حنظل
(وزاج)	10- حبوب عشبية

1- إن **حبوب البط** هو ما يسمي عند عامي بعض الشعوب باسم الدرن ووقت جمع حبوبه في آخر فصل الربيع يطحن ويستخرج منه دقيق يصنع منه جميع أنواع الطعام.

2- إن **النبق ثمار الدر** فهذا ينضج في نصف فصل الصيف يدق ويستخرج منه مسحوق يؤكل نيئا.

3- إن **البهماء** فهذا له عروق كثيرة تحمل مادة سميكة يحفر عليها وتنشر حتى تجف وهي سريعة الجفاف اليبس إذا هرست وعرضت لأشعة الشمس قدر ساعة واحدة ثم ترحي فيستخرج منها دقيق لا يختلف عن الشعير والذرة عند طبخه.

4- إن **العروق** فهو عروق أيضاً تستخرج وتطبخ في النار قليلاً ثم تدق وتطحن فيخرج منها دقيق يطبخ مع غيره مقبولاً إلا أنه ردئ وغير مقيد بزمن.

5- إن **العروق** وهي تبدأ في الظهور من تحت الأرض في منتصف فصل الشتاء حتى آخر فصل الربيع وطرق استعمالها للأكل هي أنه يطبخ في النار حتى تنضج وتؤكل مباشرة وتؤكل أيضاً مع اللبن كما أنها تقطع قطعاً وتغطي وتردم تحت الأرض وتستخرج وتنشر لتجف وبعد تمام جفافها تطحن فتصبح دقيقاً على غير ألوانه ومطعم غيره مستساغ من كل ما سبق تفصيله كما أنها قابلة للتخريم لأكثر من سنة.

6- **الكماة** فإنه يبدأ ظهوره من تحت الأرض كالفقاع من آخر فصل الخريف في السنة الماطرة إلى آخر الربيع، أما بالنسبة للسنة التي يقل نزول المطر بصفة متوسطة فيبدأ ظهوره في آخر الشتاء إلى آخر الربيع.

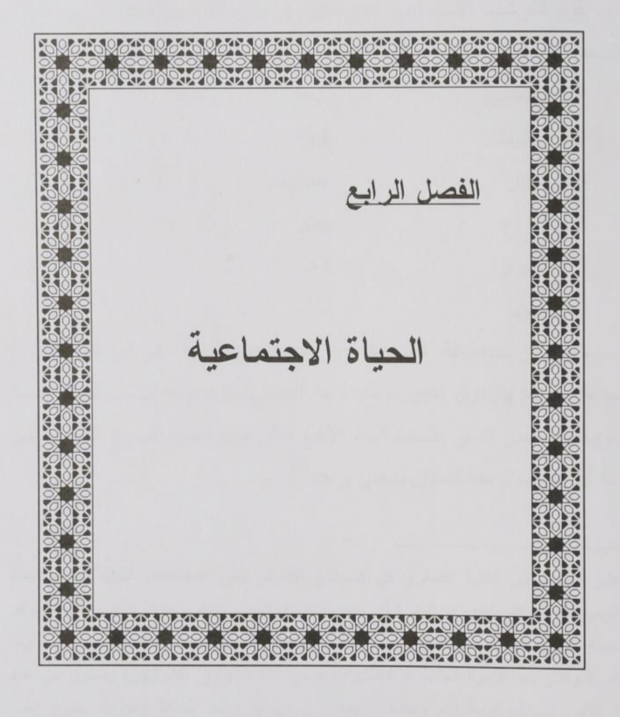
ولم يرى هذا النوع في أي مكان لم يكن فيه نبات خاص يسميه العرب بالرقيق أو الارقى أما الطوارق فيسمي عندهم باسم تاهاوت والغريب في الأمر أنه لا يصل بينه وبين هذا النبات أي عرق إطلاقاً فسبحان الفعال لما يريد.

7- **الحبوب** فهو حبوب صفراء اللون تنضج في وقت تصبح أعشاب المناطق ذات الحرارة المرتفعة ففي وقت نضجه يجمع بمقادير معتبرة ويتحمل طول مدة التخزين لأكثر من ثلاث سنوات يسميه الطوارق ايسيين تشبيهاً لبيض الجراد الذي يطابقه في اللون وقد أشار البكرى إلى أن بربر تادميكت أنهم يتغذون بنوع من الحبوب تنبت في الأرض بدون زراعة.

8- **حبوب بوركيه** هو حبوب ينتجها نبات يسميه العرب بوركيه ويسمي عند الطوارق باسم فظو يحصد وتجمع حبوبه بعد نهاية فصل الربيع فيطحن ويستخرج منه دقيق فيطبخ وهو طعام طيب.

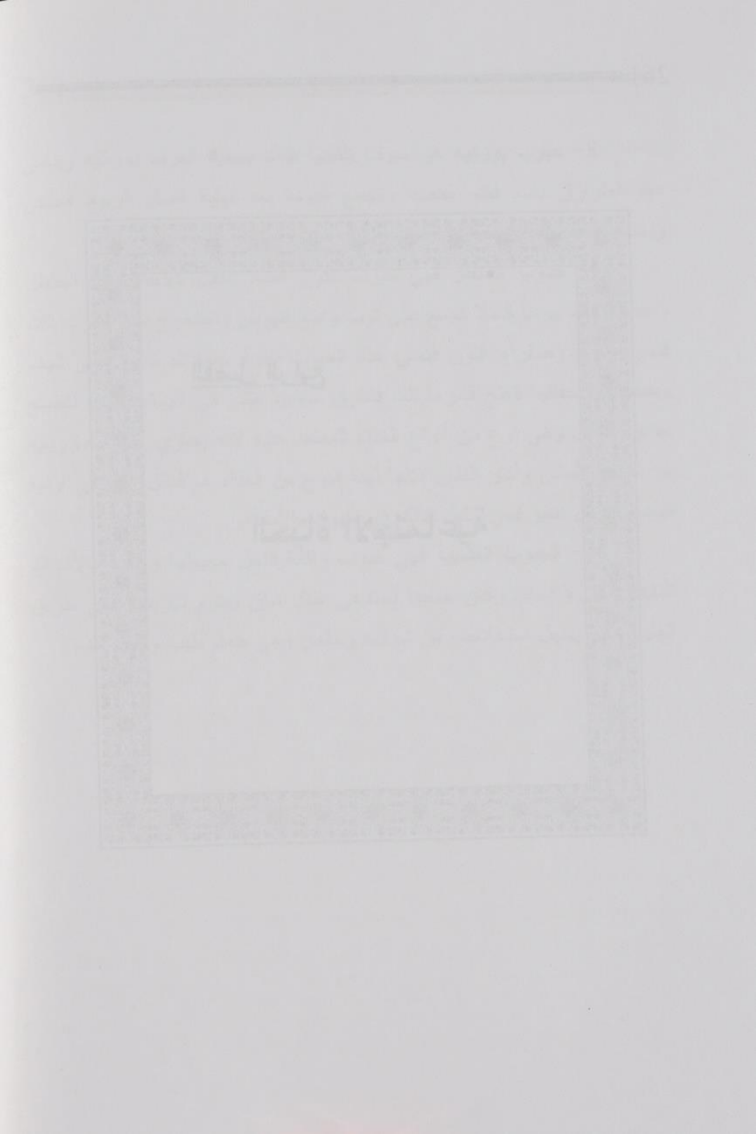
9- **حبوب الحنظل** فهي حبوب تكون أصلاً داخل دلاعة نبات الحنظل وعندما تجف يبوساً كاملاً تجمع على ثوب واسع فتهرس وتستخرج منها حبوب ذات قشر حمراء وصفراء اللون فتغلي هذه الحبوب تغلية جيدة ثم تنشر حتى تجف وعندما يتم جفافها تتفتح قشرها تلك فتفارق حبوبها فتنثر في الهواء بلطف لتصبح جاهزة للأكل وهي نوع من أنواع الغذاء المعتمد عليه لأنه يحتوي على مادة زيتية من حيث الأساس وأكثر الناس إنتاجاً لهذا النوع من الغذاء هم قبائل التبو في أودية تبستي وقبائل امقيرغسن وكيل تنالكم في سهول مالأملت.

10- **الحبوب العشبية** فهي حبوب واقعة داخل محيطها والتفت بالأشواك الدقيقة الكثيرة الحادة وكان جمعها يستدعى عمل شاق يعتزم تهريسه على طريق الهاون حتى يسهل استخلاصه من شوائبه وتطحن وهي طعام طيب ومفيد أيضاً.



الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية



الأقسام الاجتماعية عند الطوارق

يقوم التركيب الاجتماعي عند الطوارق وفق التفصيل المبين أدناه. يتألف هذا الشعب من مجموعة من الأسماء هي كالآتي :

1- تامعتمى شعب

2- توشيت قبيلة

3- اعزن عمارة

4- امزاغ بطن

5- اغيوان فخذ

6- ايهن بيت

ويبين أن مجموعة اهنان يكونون اغيرن ومجموعة اغيرهن يكون امزاغ ومجموعة امزاغ يكونون اغيون ومجموعة اغيونن يكونون توشيت والمجموعة من يتوماتين تسمي تامتي بتشديد التاء الأخيرة في مفهومها الواسع تؤلف معنى الأمة أو الشعب وهما كلمتان بمعنى واحد[1].

---

[1] تعتبر الأسرة هي الخلية الصغرى في المجتمع الطارقي وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة وتسمى الأسرة عند الطوارق (ايهن) أي الخيمة وكذلك العرب أيضا يسمون الأسرة (البيت) وهو الخيمة الأسرة العائلة التي تتكون من الأب والأم والأولاد وعدد من الخدم حسب مكانة رب الأسرة وتأتي بعد الأسرة العائلة أو العشيرة وتسمي عند الطوارق (كل ايهن) وتتكون من عدد من الآسر تربطهم قرابة الدم وعادة ما ينحدرون من جد واحد للعائلة ومن ثم يتكون الحي (أغيوان) الذي يتكون من مجموعة من العشائر يكونون تجمع يؤسس في الحي مسجد الصلاة ولإلقاء الدروس الدينية وتعليم الأطفال على يد الفقيه وهناك القبيلة التي تسمي عندهم (توشيت) وهي تتكون من مجموعة من الأحياء التي تنتمي إليها وتتجمع في منطقة واحدة متقاربة تضمها منطقة الرعى واحدة ومجموعة من الآبار لسقى= =حيواناتهم ولشربها وتجمع القبيلة كافة طبقات المجتمع، للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط، مكتبة المحققة، ورقة 62.

تفاصيل عن طبقات الطوارق

إن المتحدث عن أي قوم من الأقوام بأمانة يجره الأمر إلى حقيقة الوقوع في كثير مما لم يكن مستساغا عند البعض، ولما كانت الأحوال سانحة وأمكننا[1] الكتابة عن المجتمع الطوارقي وأحواله فأرى أن[2] الشمولية أن لا يفوتني أيضا أن أضع أمام القارئ وصفاً في شئ من التفصيل مشيراً إلى ما كنت أعتقد أنه مما تخطته أقلام أولئك الذين تناولوا الكتابة عنهم فيما سعى ذلك النظام القائم عند المجتمع حتى الآن فرأيت أنه جدير بالملاحظة وهو الطبقة فهذه كانت قد وردت الإشارة إليها بشئ من الإيجاز ومتسم بالغموض ذلك من قبل بعض الكتاب والمؤلفين، وللمرء حقه أن يسأل عن منشأ هذه الطبقات وعن أسباب نشأتها وقيامها حتى اليوم فأقول :

أما عن الطبقة التي يسمونها باسم أهقارن[3] أي النبلاء فهذه يبدو أنها القادمة أصلاً من الشمال إلا أنها رحلت من المناطق القريبة من ساحل الأبيض المتوسط فاستقرت منتشرة في مختلف البلاد الأفريقية الكبرى وعلى ما كانت عليه من قوة عديدة ومن غلطة طباع وخشونة سمحت لها بعرض نفسها على

---

[1] الصواب : أمكننا.

[2] يجب زيادة كلمة من.

[3] تتكون طبقة أهقارن من النبلاء ويطلق عليهم باللغة الطارقية (إماجغن – إماشاغ – إموهاغ) وهم طبقة السلطان وشيخ القبيلة، ويتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية العريقة، ولهم مكانة مرموقة بين الناس ومستواهم المادي كبير ويفرضون شخصيتهم على الآخرين وهم أقوياء وجرئيين، ومن هذه القبائل كل ناف واراولن وتنكربكيت وكل اقرس كلهم والشريفن وافوغاس وكل اغلا وأهقارن وامنغساتن واوراغن وامتان وادتان وهو لا يقومون بأي نشاط خاص ولا يهتمون بالتعليم ولا بأي نوع من الثاقفة ويقتصر نشاطهم على دعوى سيطرتهم على الطبقات الأخرى ونهب ممتلكاتها كلما سنحت الفرصة بذلك وبكل الوسائل بما في ذلك العنف والخداع، للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط الطوارق شعب الصحراء، مكتبة المحققة، ورقة 19.

المجموعات البشرية السابقة وبمرور الزمن قررت ضريبة معينة عليها إذ أنها اعتبرت نفسها الحاكمة المسيطرة والغالبة فأصبحت تقود الفيئات الأضعف والأقل تنظيماً واتحادا.

كما أصبحت تؤلف جماعات أرستقراطية في أكثر قبائل الطوارق حتى الوقت الحاضر وهم يطلقون على أفرادها اسم أهقارن وهي جمع أهقار نسبة إلى جبال أهقار الشاهق المنتصب في وسط الصحراء وبه سمى عامة سكان الإقليم ويقول الطوارق أن هذا الإقليم الأوسط هو المكان الذي تفرعت منه قبائلهم في الأصل وتوزعت باتجاه الغرب والجنوب خلال أزمنة ماضية لم تعرف بعد.

أما عن المناطق الواقعة إلى الشرق من أهقار فوصلت إليها جماعات أخرى في نفس الظروف وعلى نمط سياسي تشابه ويسمونها آزجر ويعني بلغتهم محل أو زعيم ولما انتشرت هذه الجماعات من جبل نفوسة شمالاً نحو ما يعرف بفزان اليوم وامتدوا في بلاد الصحراء نحو الجنوب.

أما الطبقة التي تسمي امغاد[1] فهي قديمة جداً وأنها السابقة قبل أهقارن إذ لا توجد لديها أية قصص شعبية تتحدث عن مكان نزوحهم إلى المناطق الجبلية التي كانت تتخذ منها مساكنها حتى الآن ولذا فلا نجد بين أيدينا سوى ما أشار إليه علماء الأجناس البشرية صحيحاً إذ يوجد في متحف الأقسام الصحراوية

---

[1] طبقة امغاد : بما أن طبقة النبلاء هي الطبقة المتمسكة بالعادات والتقاليد فإن طبقة الأمغاد هي طبقة تكونت من أسر وعشائر لم تتمسك بالعادات والتقاليد الطارقية ولم يحفظوا على الضوابط الاجتماعية الصارمة التي التزم بها النبلاء وأصبحت تحت حكم النبلاء لضعفهم فهم رعاة للمواشي في مضارب القبيلة المضيفة وأهم هذه القبائل كيل ولى والبكان وكل البردة وابركالن وتاغت ملت وامقرغسن وابرضيانن وايوغلتين ويقتصر عملهم على حرفة الصيد ومرافقيـــن لسلاطيـــن وزوجاتهم لكى يقوموا= =بخدمتهم. للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط الطوارق شعب الصحراء، مكتبة المحققة، ورقة 20.

قصص تروى عن شعب يسمي البافور لا هو بالأبيض ولا هو بالأسود وعلى الرغم من عدم وجود دليل معين فمن المحتمل أن يكون أبناء الصيادين وأنهم هم أمغاد اليوم، ويجوز لنا الاستدلال على ذلك بأنهم يمارسون مهنة الصيد بمعناه اللغوي ويتمسكون بها بشكل عام حتى اليوم كما يقول خبراء الرسوم الموجود في مواضع جبهات تاسيلى آزجر أن صور البشرية في تلك المراحل نادرة وعندما تظهر فإن الرجال غالبا ما يكونون[1] من الملثمين وأمتعتهم من جلود الحيوانات، فهذه الملابس التي هي من جلود الحيوانات كنت شخصيا قد شاهدتها وهي شائعة الاستعمال بين أفراد هذا المجتمع إلى وقت قريب جدا وتسمي عند الطوارق باسم استغان وواحدها ابتغ فهذا مما نعتبره دليلا أيضا عن[2] احتمال تسلسل قوم الصيادين، وكان ذي اتصال بأقوام طبقة امغاد الحاضرة، وأن اختلافهم عن طبقة أهقارن يعتبر دليلا آخر على أن امغاد قوم خاص متميز عن أهقارن بوجود فارق تختص به طبقة امغاد وهو فارق جسماني واضح فيهم ولو تساوى القومين[3] في لون البشرة أو تقاربت وكان لون الشعر واحد وكان الفارق الجسماني يلازم السواد الأعظم من فئة امغاد وكان باديا في تركيباتهم الجسمية خاصة في أصابع اليدين واصابع القدمين التي[4] تتخذ شكلا ملتويا بعض الشئ نحو إصبع الإبهام وعند البعض ترى إصبع الإبهام متوجها نحو الأصابع الأربعة الأخرى وتارة تجد أصابع القدمين ذات وضع متراكب.

أما من حيث شعر هذا القوم فهو أسود اللون ومسترسل في تمام الانسدال وقل أن ترى الشعور المفتلة عندهم.

---

[1] الصواب : يكونوا.

[2] الصواب : على.

[3] الصواب : القومان

[4] الصواب : اللتان.

ولأن كانت هذه الصفات المميزة تظهر أحياناً عند أفراد من طبقة أهقارن إلا أنها نادرة وقليلة جدا، وهم على سجايا حسنة محمودة هو الكرم وترحيبهم في نجوعهم، وبالعناية بمن يلجأون إليهم وهم لا يحجمون عن كلمة حق يواجهون بها سلطان المجتمع يناقش بصراحة شارحين له كل أخطاء صدرت عنه أو تصرف بدر منه كما كانوا يناقشون أفراد أهقارن عما يرونه قد صدر منهم مما يخالف أعراف الطوارق وعاداتهم الاجتماعية والسياسية السائرة. وهم في هذه الأحوال يعتبرون بمثابة صحافة المجتمع المتحررة.

كما وأنهم متجولون بتجاراتهم لا يسأمون التنقل في الأسفار أبدا.

وأنهم غزاة ومقاتلون على درجة عالية من الشجاعة وشدة البأس. كما أنهم اجتماعيين متخصصين مع كل الناس.

أما الاسم الشائع لهؤلاء عند أفراد طبقة أهقارن فهو كيل أو للى أي أهل الشاه ذلك الاسم المهذب ولا ينم عما يحط من كرامتهم.

وأما طبقة العبيد أو اغلوين ذات البشرة السوداء الداكنة وأنوف عريضة وأصابع في الغالب أقصر وغير متنافسة وهؤلاء تكونت طبقتهم عبر الزمن عن طريق تجارة الرقيق أو عن طريق الإغارة فثبت وجودها عند الطوارق الأقل الناس عرضها في الأسواق لتباع ويرى الطوارق في عدم بيعها أساسا أنها ساعدا مهما وقوة لا يستهان بها في الحروب وعلى هذا الأساس نمت لديهم نموا ملحوظاً وتعددت فروعها لدى كثير من قبائل المجتمع وعند الحرب نجد أنهم محاربون بطبيعتهم وأنهم مقاتلون أشداد، والاسم اللائق عند أفراد طبقة أهقارن هو اغويلن أي السمر[1].

---

[1] طبقة اغويلن وهي طبقة العبيد والموالى وتسمي باللغة الطارقية (ايكلان – ايدرفان – ابروكن) وهي طبقة العبيد الذين يحملون بشرة سوادء داكنة زنوج يستخدمون لدى القبائل القوية وامتزجوا بالمجتمع الطارقي وأصبح كل شخص ينتمي إلى سيده وعلى مدى الزمان تحرروا

وأما طبقة انيض أو الصاغة أو الحرفيون[1] وهم ذوى[2] بشرة سوداء داكنة وملامح زنجية وشعر مفتل لدرجة أن لا يشعر المرء بوجود أي فارق يميزهم عن الزنوج أبداً فالبرغم من أوصافهم البدنية المتشابهة لأوصاف الزنوج بشكل عميق فإنهم أحرار لم يدخلوا أبداً تحت ملكية أحداً من الناس فهم يعملون لحسابهم الخاص.

وهؤلاء هم الصاغة أو الحرفيون بمعناه اللغوي الكامل فهم يجيدون صناعات كثيرة من الحديد والنحاس والذهب والفضة وتجارة الأخشاب ولا يرون شيئاً من مصنوعات غيرهم إلا وهم قلدوها وصنعوا مثلها تماماً وعلى درجة متناهية من الجودة والإتقان فهذه المهارة الفائضة عن هؤلاء الناس يمكن اعتبارها دليلاً على أنهم أحفاداً لأولئك الفنانون المهرة الذين قاموا بتطوير أروع ما صورته يد الإنسان في تلك الأحقاب الموغلة في القدم وقبل التاريخ المدون في صور الصحراء الكهوفية ورسوماتهم تجعل الإنسان معجبا بمهارة أيدي هؤلاء وهندستهم الفائقة، وكانت فئة انضن فئة محايدة لا تقاتل ومن جهة أخرى فإنهم يوصفون بكرم عظيم إلى درجة أن لا تخلو بيوتهم من ضيوف سواء كانوا من المعروفين لديهم أو هم من الغرباء.

ويقول الطوارق عنهم أنهم يرجعون أصلاً إلى أمم من العصر القديم وأنه في الواقع ومن حيث اللغة الطوارقية كلمة انضن تعني الماضي فمثلاً يقول انضن أهل معناه النهار الماضي حيث يسبقون الصفة على الموصوف ويقولون أيضا

وأصبحوا جزءا من قبائل الطوارق وينسبون إليها، أما في أصلهم الأول جاءوا من أفريقيا كرقيق عن طريق الشراء أو الخطف والإغارة وأما عن شغلهم فهم يقومن بالرعى لأسيادهم وخاصة رعى الإبل وخدمة المنازل وبالزراعة وجلب المياه والحطب. للمزيد انظر عبد الرحمن عبداللطيف، مخطوط الطوارق شعب الصحراء، مكتبة المحققة، ورقة **20**.

[1] الصواب : الحرفيين.

[2] الصواب : ذوو.

انضن ايهض معناه الليلة الماضية وهكذا توضح أن كلمة انضن تعني في اللغة شخص من فئة الحرفيين حتى تضاف إليها كلمة تفيد الزمن فتكون معنى للماضي ككلمتي الليل والنهار في المصطلح اللغوي عند الطوارق ويقول الطوارق أن الكتابات والنقوش القديمة في الصحراء والكهوف هي من صنع انيض[1].

أما الأسماء الأخرى التي يطلقها عليهم أهقارن ويعتبرونها أسماء لائقة ومقبولة لا تشتم منها رائحة احتقارهم وتشرف الجميع فهي:

كيل أوللى بالنسبة لفئة أمغاد.

وأغويلنى بالنسبة لذوى البشرة الداكنة السوداء والجدير بالاهتمام أن هؤلاء يعرفون أيضاً باسم ادرفن الذين تحررت أجدادهم من حالة الرق من زمن سابق فكان اشتقاقه من كلمة تدارفين التي تعني انعتاق.

وهناك اسم آخر عن مكان آزجر يتعلق بطبقة السود يطلق على سكان الحواضر والقرى منهم وهو : اكوارن ومفردها الحوار وأرى أن هذا الاسم كان أصلاً جاء اشتقاقه من اسم منطقة واحات كاوار التي مركزها مدينة بلما وذلك لخلوه من أي تحريف وكان يروى لنا المؤرخ ابن خلدون عن تباويين أنهم من نسل الملثمين وهم من عشيرة صنهاجة إلى أن يقول وكبر تجمعهم هو واحة أقزم الواقعة في الجهة الغربية لتبو كاوار.

---

[1] طبقة (انيض– ايكنون – ايكدمان) ومعناها بلغة الطوارق ابن العصر القديم ومفردها (انياض) وأن الكتابات والنقوش القديمة في الصخور والكهوف هي من صنع (انيض) أي الصناع التقليديون وهم الذين يقومون بصناعة كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية، القصاع والأقداح وأوتاد الخيمة والخيمة من الجلد، كما يصنعون السيوف والخناجر والرماح وآلات الحرب وحلى النساء الخواتم والأقراط والأساور والخلاخيل، لقد شاهدت المحققة ذلك في مدينتها غدامس والتمست هذه المعلومات عن قرب عند الطوارق، للمزيد انظر محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط الطوارق شعب الصحراء، مكتبة المحققة، ورقة 20-21.

وقد جاء اسم اقزم ضمن الرد العثماني عن المعاهدة الفرنسية الإنجليزية المؤرخة في 1890/7/20م أما في مناطق أهقار فتعرف هذا الطبقة باسم ازقاغن وواحدهم ازقاغ أي الحمراويين وهم ذوى البشرة المتأرجحة فهي لا بالبيضاء ولا هي بالسوداء مما بدته تدفق دماء البيض في عروق السود غالباً ما يكون شعرهم معتلاً ومن المحتمل أن يكونوا أحفاداً للزنوج وهذا هو الأقرب.

وهؤلاء في أغلب الأحوال نراهم يمتهنون الزراعة في حقول أسيادهم مقابل حصة من الناتج وفي العادة خمسة ولذلك كان الناس في بعض الأحوال يطلقون على من يعملون في الحقول اسم خماسين. وقد أطلق عليهم سكان موريتانيا اسم : الحر الثاني بعد تحرره من أسياده فانقلبت مع الوقت إلى كلمة الحرطاني[1].

وعندما أخذ مناصر من أصول عربية بالاستيطان في عدة مناطق من تيديكلتني ترات أخذ أعرب يسمونهم باسم الحراطين لما يرونهم يشتغلون في خدمة الأرض وحراثتها ولم تكن التسمية قد جاءت من الطوارق ولا علاقة لها بلغتهم إذ هم لا ينطقون حرف الحاء ولا يوجد بين حروفهم تيفيناغ.

ومما يتميز به الطوارق تجاه طبقاتهم هذه أنهم لا يلزمونهم بألقاب إضافية كسيدي أو مولاي فالعبد المملوك لا ينادي مالكه سوى باسمه المعروف مثلما كان معروفا به عند عامة الناس ولم يكن الطوارق يستعملون هذه الألفاظ أبداً[2].

---

(1) تسمي هذه المجموعة في موريتانيا (الحراطين) وقد يتزوج السيد من أمة فينتج ابنا هجينا يصبح حرا بحكم مولده وهكذا يتكاثر السود في القبائل الصحراوية والطارقية من أبناء الإماء وخاصة في سلطنات تمزقدا وكيل اقرس وآيير.

(2) تقوم بين الطوارق ثلاث طبقات من القبائل :

1- قبيلة نبيلة وهم الأهقارن.

إلا إلى أنهم في الدرجة الثانية من الحرية والغالب على الظن أنها تلك التسمية تحولت إلى الحرطاني وسار عليها الناس.

المرأة ومجتمع الطوارق

تتمتع المرأة عند الطوارق بمكانة مرموقة واحترام واسع كما أنها تتمتع بحقوقها الإنسانية المشروعة، وهي في هذا ملكة المنزل باعتبارها العنصر الوحيد في الأسرة الذي يملك رصيداً وافراً على تحمل مسئولية في غاية الأهمية والخطورة. واقصد بها مسئولية رعاية أعز ما لدينا في هذه الحياة إلا وهو أطفالنا فلذات أكبادنا ومحط آمال مجتمعنا، فلقد أثبتت التجارب عبر التاريخ جدارتها التامة على القيام بأداء رسالة التربية والرعاية على أكمل وجوهها. وذلك لما أودعه الباري جل وعلى في قلبها من عطف ورحمة واحتمال المصاعب في سبيل تنشئة هذه البراعم وتنشئة أجسامهم وعقولهم تنشئة صالحة مشرفة. فتبذل في حمايتهم وإسعادهم ما لا يمكن لعنصر الرجال تحمله مثله. كما تسعى بجهود مضنية وخدمات بالغة الأهمية دائبة لا تعرف الملل ولا الفتور حتى تجعلهم في

2- قبائل الموالى وهم طلاكاون.

3- قبائل الرقيق. وهم امغاد.

وهذه الطبقات الثلاث لها أرقاؤها (الاكيلان) وهؤلاء ليسوا من الطوارق ولا يحمل شعار القبيلة أو شعارا خاصا سوى النبلاء أو الموالى ممن كانوا نبلاء في السابق يدعى ذلك فى الطارقية (اشوولن) بينما يحمل الارقاء شعار سيدهم ولما كانت معرفة هذه الشعارات ليس عديمة الأهمية فإنها ستكون موضوع دراسة قصيرة وأن المجموعتين الكبيرتين من الطوارق الاهقار والازقر تتكون من مجموعة اكبر من القبائل ويقوم على رأس كل قبيلة شيخ يدعى في الطارقية أمغار وفي الهاوسا (صوفو) أو بابا وهذا يعنى الكبير ويدعى الرئيس العام لاتحاد مجموعة القبائل (ملكا) وبالطارقية امنوكال. للمزيد انظر عماد الدين غانم. الدواخل الليبية، ص 76.

مستوى لائق تؤهلهم للانتقال للمرحلة التربوية الثانية آخذة بأيديهم إلى أبواب تلك البيئة الجديدة.

ولما شهد التاريخ على كفاءتها بدرجة عالية في هذا الميدان، سلمت لها بالإضافة إلى خدماتها السابقة الذكر مهمة الإشراف ورعاية شئون المنزل الداخلية على اختلاف أنواعها وأصنافها، كما أجيز لها صنفين تقديم المساعدة للمحتاجين والحفاوة للزائرين وإكرام الضيوف وتصرف في ذلك ما تراه مناسباً لتقديم العون اللازم للفقراء وما يتصل بذلك بأعمال الخير دون منازع ولا معقب.

لهذا يرى الطوارق أن اللباس الخاص الذي حدوده للمرأة لا يتنافى وأحكام الشرع الإسلامي الشريف هو بعينه جانب هام من جوانب الحجاب في نظر هذا المجتمع، كما أن تمسكها بأحكام هذا الدين وعفتها وحرصها الشديد على المحافظة على مركزها الاجتماعي من العوامل الرئيسية الفعالة لتجنب الانحراف والمجون الذين هما من الأسباب الحقيقية للوقوع في مزالق الأعمال التي قد تضر بدينها وتحط من سمعتها في المجتمع، وذلك بفضل دروس التوعية الاجتماعية والدينية التي تتلقاها في المدرسة القرآنية منذ الصغر حيث كانت تتعلم القرآن الكريم في مدرسة وحدة تضم البنين والبنات إلى أن يحفظن القرآن حفظاً جيداً وتمكنت من معرفة أصول الدين وهي لهذا حريصة كل الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها، والصلاة تنهى عن الفاحشة والمنكر.

وإلى جانب ما منحها الشرع الإسلامي من حقوق في الميراث فإن الطوارق قد راعوها من ناحية أخرى على أنها قد تعجز يوما ما على معالجة مشكلات الحياة المعيشية ومتطلباتها لذلك فقد أوصوا بتخصيص جزء من أموالهم وممتلكاتهم وقفا عليها لتكون في أمن من غفائل الزمان مدى حياتها.

وقد بلغت النسبة المئوية العامة لمجموع أوقاف الطوارق أربعة وستون بالمائة خاصة بالبنات[1].

اللـــباس

يختلف لباس الطوارق عمن سواهم من سكان الأرض قاطبة حيث أن هذا الاختلاف يكاد يكون شاملاً جميع أحوالهم في الحياة، فنراه في لغتهم سواء منها الناطقة أو الخطية كما هو واضح في عاداتهم وفي نمط حياتهم، وفقا ما قاله غوتيه : أن الطوارق لهم شخصيتهم الخاصة، ويتفقون مع التبو في لبسهم اللثام.

وإذا نظرنا إلى هذا وحده حق لنا الحكم على أن هذا الشعب هو من أقدم أمم العالم أنه كان يمارس حياته بحرية مطلقة وبنظام في وحدة قومية منيعة الجانب في عموم جهات الصحراء حتى نهر النيجر جنوبا.

---

[1] المرأة عند الطوارق تحتل مكانة مرقومة محترمة بين المجتمع الطارقي بصفة عامة حيث لازال الإرث من جهة الأم قائما خاصة في تولى أمور سلاطين الطوارق حيث يشترط ذلك وقد قامت المرأة بدور كبير في إصلاح ذات البين. فقد قامت المرآة الطارقية بدور كبير في الحياة السياسية، فقد أدت زينب زوجة يوسف بن تاشفين دورا عظيما في إدارة دفة أمور دولة المرابطين فقد كانت هذه المرآة ذات رائ صائب وحسن سياسة وتدبير وكانت المخططة ليوسف بن تاشفين ويرجع إليها في عظائم الأمور= =ويعتمد على رأها الصائب، وقد كانت المرأة الطارقية تصلح بين القبائل المتنازعة وقد ربطت العلاقة بين عدة قبائل وأصبحت الرباطة الدم والنسب وقامت بهذا الدور من أجل توطيد وترسيخ العلاقة بين القبائل حيث كانت تتمتع المرأة عندهم بنفوذ وكلمة مسموعة فوق كل اعتبار ولا يرد لها طلب ولا يقطعون دونها أمر يفرطون في احترامها وتقديرها حد يفوق الوصف والخيال حيث قيل إن المرأة الطارقية ليست كتلك التي تقطن الساحل الأفريقي أو المرأة المسلمة بوجه عام. فالمرآة تتمتع بقدر كبير من الحرية ولا تلبس الحجاب وتشارك في الرأي في كل ما يتعلق بأمور الحياة وأن الرجال يبدون اهتماما كبيرا بهن وهو ما أعطاهن وضعا مختلفا تماما عن بقية نساء المسلمين. للمزيد انظر جيمس ريتشاردسن، المرجع السابق، ص 322.

ونعود إلى لباسهم الخاص فإنه كان على الدوام هو قميص من الاتساع إلى درجة الإفراط يتخذونه من قماش أبيض وآخر أسود يميل نوعا ما إلى الزرقة وهو عريض يبلغ مترين ونصف المتر، أما الطول فحسب قامة لابسه، ويحق لنسائهم لبسه أيضا ويشمل لباسهم سروالا أبيض أو أسود على أن يكون طوله من خاصرة صاحبه حتى الكعبه من القدم، ويهتمون بشكل أساسي وفي استمرار غريب بلباس العمامة على الدوام من البلوغ إلى الوفاة وتشمل العمامة عدة قماش أبيض وآخر أسود ذاب إلى اللون الأزرق ذا صبغة نيلية براقه شديد اللمعان في حال جدته ويضيف الرؤساء والمسنين في حال ما يدعون للقاء أوسع يقتضيها بحث مشاكل المجتمع، وهذه تكون حمراء اللون ومن الصوف الناعم وذات خطوط حريرية زاهية، وليس لهذا اللثام تأويل ولا أي تفسير أصلا والحفاظ عليه دوما، ولكنه أخذوه بمرور الزمن شعارا لا يمكن تركه ومن تجاسر وتركه يعد قد كسر قوانين مجتمعه.

ويلبس الطوارق نعلا واسعا وعريضا يصنع من جلد ماعز جيد الدباغة مصبغة باللون الأحمر مثبت على قطعة من جلد الجاموس أو جلد البقر المحتمل لعوامل التآكل ومقاومة الاحتكاك بالأرض، وأما في سائر الوقت فلباس الرجال قميصا أبيض وسروال مهما يكون أما العرض فيشمل ما أشرنا إليه، أما النساء فالبرغم من استعمالهن أقمصة زرقاء في أثناء المناسبات إلا أنهن لهم أقمصة خاصة فهي ذات طول بالغ حتى الكعبه من القدم وأضيق من أقمصة الرجال وله كمين كانت دائرتهما ثلاث متر أو اقل بقليل ولكن يرى أنه زاد على ما كان قبل العصور الماضية إذ كان يشاهد وهو يجر من ورائهن في الأرض وهذا ما اعتبره افراطا في قدر هذا اللباس.

لباس الأطفال حدد الطوارق لباسا لأطفالهم بحيث لا يتجاوز عرضه مترا واحدا ويكون طوله ما يجعله ينتهي فوق الكعبه بقدر ما ولا يخاط منه سوى

الجيب ويتجنبون إجراء أي خياطة به ويقولون أن خياطته يؤخر نمو الطفل خاصة تكوينه[1].

الزواج والخطبة عند الطوارق

أن الطوارق كانوا يحرصون كثيرا وهم يهتمون اهتماما بالغا على أن تلقى خطبة أولادهم قبولا وموافقة جميع من لهم أي صلة قربى ولو عن بعيد بالفتاة المراد خطبتها.

ويتجلى ذلك في أنهم لا يتركون أحدا ممن تربطه علاقة بها إلا واستشاروه وعرفوا رأيه.

وفي العادات التي يسير عليها هذا المجتمع حتى هذا الوقت هي أن يتولى والد الشاب أو من يقوم مقامه القيام بالخطبة لأبنة لدى والد الفتاة التي رغب ابنه في الزواج منها.

---

[1] أن لباس الطوارق موحد من الناحية الأساسية وأكثر بساطة وأساس اللباس عند الطوارق قميص وسروال من القماش الأبيض ويضيف الذين حالتهم ميسرة ثوبا أزرق غامقا من صنع السودان ويلبس الرجال اللثام وهو خمار يوضع على الوجه. والشبان الذين لم يتزوجوا بعد لا يضعون على رؤوسهم أي شيء يسترون وجوههم بنقاب فقط أما رؤوسهم فعارية ويتركون حاجرا من الشعر يطول إلى أربع أو خمس سنتمترات في وسط الرأس كخط يفصل الرأس إلى قسمين. أما الرجال المتزوجون فيغطون رؤوسهم بالطاقية ذات الذيل الأزرق وعليها أعداد من النسخ والتمائم ويتلثمون بلثام أزرق يسمونه توكيولموست ويضعون فوقه نقابا أبيض شفافا من الشاش (اشاش) والفرق بين ملابس النساء والرجال قليل جدا فالثوب عند السناء طويل يمسح الأرض ويضعن على رؤوسهم غطاء أزرق يتدلى من الجهتين وفوق كل ذلك يرتدين رداء عربيا أو لحافا أبيض يسمى العبروق والحذاء سواء عند الرجال أو السناء عريض يثبت في الرجل يسير من الجلد يدل ما بين الإصبع الكبير والاصبع الثاني يجره لابسه جرا فيضطر إلى التمايل إلى الجهتين في مشيته. للمزيد انظر عبد القادر جامي، المرجع السابق، ص 170.

ومن جهة أخرى تقوم قريبات هذا الشاب من المسنات بالمساعي نفسها لدى والدة المخطوبة وخالاتها وقريباتها بخطبة تلك البنت من الشاب المذكور[1].

ويكلف أناس آخرين من طرف أهل الشاب لاستطلاع آراء جل أقارب المخطوبة حتى ولو كانوا لقرابة أبعد.

يقول الطوارق في هذا الموضوع يجب استشارة الجميع ولو كانوا خدما أو موالى لمعرفة آرائهم.

وبعد التأكد من موافقة الجميع يتم الاتفاق بين الطرفين على تحديد يوم معين لبداية مراسيم الزواج ويعطى الإعلان عنه وقتا كافيا لإعلام الناس حسب اختلاف مواقع منتجعاتهم ومحال تواجدهم، أما نفقات العرس فتنقل إلى بيت أهل العروس قبل بداية العرس بيوم أو يومين على الأقل حتى تتمكن المعنيات بأمره والخدم في متسع من الوقت من تجهيزات كان لابد منها لأستقبال المدعوين وما يتوجبه الأمر من الإعاشة والإيواء.

وبعد حضور المدعوين واكتمال جميع اللوازم يشرع في الحفلات من طرف النساء لمدة ثلاثة أيام تتخللها إيقاعات الطبول وزغاريد النسوة وأغانيهن، وبعد ذلك تقام حفلة اكبر وأوسع يخرج إليها سكان المخيم مساء إلى ساحة واسعة تناسب أجواء المسابقات التي يقوم بها الفرسان وتتجمع عليها ضاربات الطبول والمغنيات حيث ترتفع زغاريدهن ليأتي الفرسان الممتطين صهوات المهارى

---

[1] الخطبة عند قبائل الطوارق هي أول مراحل الزواج حيث يخبر الشاب أمه أنه يريد خطبة الفتاة التي اختارها وأنه في هذه الحالة بدورها تخبر والد الشاب ووالد الشاب يبعث من يراه أهلا لذلك إلى والد الفتاة يطلب يدها وعندما تتم الموافقة من أهل الفتاة يبت إعلان هذه الخطوبة في ذلك النجع، للمزيد انظر مانى شاوى اللاله البكاى، نبذة مختصرة عن قبائل طوارق آزجر بالجماهيرية العظمى حدودهم وعاداتهم الشعبية القديمة وأهمية موقعهم الاستراتيج، بحث منشور 2005ف، ورقة 5

بكامل زينهم من أنواع الملابس وأفخرها، ويشرعون في حركات منظمة في نسق واحد يسايرون في تلك الإيقاعات من الطبول والأنغام الغنائية المنبعثة من التجمع النسائي منقسمين إلى فرقتين تقف كل فرقة في جهة من الحفلة وترسل أولاهما اثنان من فرسانها نحو المجموعة الأخرى في حركة متزنة كما ذكرنا وبالقرب من الطبول والتجمع النسائي حتى يصلوا موقف المجموعة المقابلة لترسل فرسانها هي الأخرى، وهكذا تصل الحفلة في استمرارها إلى غروب الشمس وعندها ينطلق جميع الفرسان في مسابقة في أروع صورة لما كان عليه هذا النوع من الجمال المهارى من درجة عالية من السرعة العجيبة من الركل وما عليه أولئك الفرسان من ثبات على ظهور هذا النوع الممتاز[1].

---

[1] تبدأ مراسم الزواج عند بيت العريس يوم الاثنين ثم تنتقل بعدها إلى بيت العروس وعادة ما تكون يوم الأربعاء حيث تنقل لوازم العرس كلها من بيت العريس إلى بيت العروسة حيث تبدأ هناك مراسم العرس التي تستمر أسبوعا كاملا وعند مساء ليلة الدخلة تقام حفلة كبيرة بالمهارى وتسمى حفلة الوجان (التمايز بالمهارى) ويحضرها جميع الناس وتستمر الحفلة حتى أذان المغرب وتنتهي الحفلة ويذهب المدعوين إلى تناول وجبة الوليمة وقراءة فاتحة العقد وبعد أن يتم تناول الوليمة بعدها تكون الدخلة حيث يسبق العريس إلى بيته مع أنداده خطوة بخطوة بالتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يصل إلى بيته حينها وتأتي النساء بالعروسة وهنا قبل أن تدخل العروسة إلى بيت العريس جرت العادة أن يقدم العريس هدية تتمثل في مداس من الجلد للعروسة (اغيتمن) وهو مداس من جلد تلبسه المرأة والرجل على السواء وبعد أن تأخذ الهدية ويتسلمها ابن خال العروسة حينها تسلم النساء العروسة إلى عريسها ويفترق الجميع وفي صبحية الدخلة ينحر جمل فيه عدة عادات وتقاليد لأنداد العريس وأنداد العروسة حيث عظام الكركرة للعراسة وعظام الضلوع لأنداد العروسة ثم يقسمون الباقي على أفراد النجع وتقام مراسم العرس هذا سبعة أيام يشكلون في اليوم السابع يخرج العريس والوزير ويذهب إلى أم العروسة حيث يجدها هي والنساء في انتظاره يكون العريس في هذه الحالة بأبهى زينته ويقدمون لهم كوب من الحليب وبعدها يذهب العريس إلى منزله وتنتهي مراسم الزواج، مانى الشاوى اللاله، المرجع السابق، ورقة 7.

المهر عند الطوارق

المهر مع أن مجتمع الطوارق كان يتصف بالتغالي في مهور النساء إلا أنه يختلف بين فتاة وأخرى اختلافا بينا ومثيرا للاستغراب والحيرة في آن واحد للمرء أن يتساءل عما كان السبب في هذا التباين؟

الجواب هو : أن المجتمع الطوارقي كان طبقيا منذ زمن بعيد لا يمكن التعرف عليه بصفة دقيقة ولكن يمكننا أن نوضح من بعض الوجود حقيقة الأمر من تصنيفه التالي :

فالنبلاء أي اهقارن يرون أنهم هم الأحرار وأنهم هم الأصليين عن الطبقات الثانية.

كيل اوللى وهم الأتباع : نزل هؤلاء إلى هذه الطبقة لدخولهم تحت حماية اهقارن ورضاهم لدفع الضريبة لهم[1].

الموالى والعبيد : نزل هؤلاء إلى هذه الطبقة لوقوعهم تحت ولاء وملكية اهقارن عن طريق الشراء أو القوة أو أي سبب من الأسباب، وذلك مما أدي إلى وجود هذه الطبقات، وهو السبب نفسه ما أوجد اختلاف في قيمة مهور النساء إذ يصل إلى عدد ثمانية رؤوس من الإبل ويندرج إلى سبعة وإلى أربعة ثم إلى جمل

---

[1] أن العادات والتقاليد في المجتمع الطارقي لابد أن تأخذ في الاعتبار التقاليد التي تختلف من مجتمع الى آخر ومن إقليم عن إقليم وتتغير العادات من مكان إلى مكان ونلاحظ هذا في الاحتفالات والمناسبات عند الطوارق فهي تختلف في مدة الفرح بين الماضي والحاضر تختلف الايام. ففي الماضي يستمر الفرح ثلاثة عشر يوما والآن أصبح أسبوعا. وأما بالنسبة للمهور فهي تختلف حسب طبقات المجتمع الطارقي السابق ذكرها والشيء الوحيد المتفق فيه الطوارق هو اللباس واللغة واللثام.

واحد أو عشرة شياه من الغنم. وهذا التباين الواضح كان قد أقرته درجة الفتاة من درجات السلم الاجتماعي عند الطوارق[1].

الحفلة الليلية عند الطوارق

أن هذه الحفلة التي لا يجريها الطوارق إلا في وقت كان منذ مضى من الليل ثلثه ذلك لانشغال فنانيها أثناء النهار في أعمالهم ففريق منهم كان يساعد على طهو اللحم وإعداد طعام الحاضرين وفريق يحضر أمكنة تجمعات المدعوين ومنهم من كان يقوم برعي المواشي فلم يتمكنوا من التفرغ لها إلا في وقت معين كما أشرنا وتسمي تهيجالت[2] وقد عرفت أيضا باسم تهيملت وذلك لاستناد إحدى أغنيتها على حرفي الهاء والميم مثل هيمانه الذي يرددونه بصفة دائمة في تلك الحفلة ويقوم فنانون هذه الحفلة الليلية لهذه المناسبات منها مناسبة الزواج، تعيين سلطان القوم، تعيين رئيس قبيلة من القبائل، توقف في حالة الموت ثلاثة أيام وفي مناسبة الختان.

---

(1) عادة ما يكون مهر المرأة عند لطوارق هو سبعة من الإبل يقدمها الرجل مؤجلة أو عاجلة وهذا شرط متعارف عليه منذ القدم.

(2) تهيجالت: هي آلة تستعمل في الأفراح وتسمى الطبل مصنوعة من جلد الغزال أو المعز وهي مثبتة على تاغهوت وهي أداة من أدوات الأكل مثل القصاع والأقداح والمهاريس. تصنع من جذوع أشجار الطلح حيث يبدعون في صناعتها وزخرفتها ويولونها اهتماما كبيرا لأنها من الأشياء الضرورية التي تلازمهم في الحل والترحال. وتستخدم هذه الآلة في الأفراح كالإيقاع لسباق المهارى لأنه أجل وأقدر من ذلك فهو رمز السلطة وعنوان هيبتها ورمز قوتها وإذا ضرب الطبل يستمع كل الطوارق لعدد الضربات ونوعها وهي مستعملة في عدة مناطق وتجلس النساء في الحفلة الليلية في جلسة دائرية يدققن على الطبل.

الأغاني عند الطوارق

إن أغاني الطوارق هي أغاني محزنة على نحو عميق إذ بمجرد سماعها أو سماع الآلة التي تعزف عليهـــا هذه الأغاني التي تسمي ايمزاد[1] فإنك تشعر بالجميع أنهم في حمة رهيب وليس هناك بينهم متكلماً طالما كانت هذه الأغاني تعزف على هذه الآلة، كما تلاحظ انشغال أياديهم بتصليح عمائمهم وتضيق لثامهم أكثر فأكثر.

وبالرغم من وجومهم هذا لدى سماعهم هذه الأغاني إلا أنهم شديدوا الحماس إلى الإنصات لتلك الأغاني وموسيقاها ولحنها أيضاً. فاستوى في هذا صغارهم ومسنيهم.

وقد كان لسماع هذه الألحان المحزنة لغز قد حير الناس إذا لم يوجد هناك حل لأسبابه المحزنة حتى الآن.

فقد أجاد شعرائهم[2] بما لا حصر له من القصائد التي يمجدون فيها هذه الألحان ورفع قيمة هذه الآلة وشأنها[3].

---

[1] ايمزاد – الربابة : آلة موسيقية ذات وتر واحد وقوس، عرفها الطوارق منذ القدم وهي من الآلات الموسيقية القديمة وتعتبر آلة موسيقية نسائية لا يعزف عليها إلا نساء الطوارق وهي عبارة عن قدح من اليقطين مشدود عليها جلد غزال في وسطه عود مثبت مربوط بوتر واحد من شعر ذيل الحصان وبه فتحتان لإخراج الهواء وفي وسط الجلد عودان على شكل مثلث يسمى الفرس وعود آخر مقوس مربوط على طرفيه وتر واحد من شعر ذيل الحصان يسمى القوس للعزف عليه. مشاهدات المحققة.

[2] الصواب : شعراؤهم.

[3] أن أغنية الطوارق أضبط لحنا وأكثر تناسقا من الأغنية البدوية العربية. أن صوت الربابة الصغيرة المسماة (ايمزاد) الخاصة بالنساء ونغماتها المتناسقة المتواصلة تتناسب وتأثير الجو الصحراوي وغير ايمزاد هناك الدفوف التي يضربنها في الأعراس وغيرها من المناسبات حيث يجتمع الشباب من الرجال حول هؤلاء المضربات ويشتركون في الغناء وفقا لنغمات ايمزاد

حيث يقول بعضهم :

تان ايفرادا وتمويتين خفوان   يويم

أما التماس هذا الفن ممن هم تأثروا بالأسفار وجادت قرائحهم من السفر في الصحراء الكبرى ووسعها وامتدادها فهم عديدون إلا أننا لم نتعرف على أسمائهم بعد، ولكن ذلك لا يشكل مانع من إيراد بعض الأشعار لنعلم من خلالها مقدار ما تحمله هؤلاء من مخاطر أسفار القوافل التجارية القديمة تلك، يقول أحدهم :

نوتظ فول كاتلن اكيغ اناراب   تاجانغ تين كسراضت تسو كساض

تيفاس ورتريد كوتريد اسماض   تامدورت ارد افرانغ تيظاجج

امناس ورهين الجاص   اوستلان ورنتيثار امضرار

قال ثان :

تنيرى تافيغ لاتيفنسا   ورتد ينكض اراضهان توسكا

داى اهان ميهى أهل ديوا   ادماس ستيقظنت فولاس يللا

اومستلان ورنرى تينسى   اكنانين تينكليرين دغ تينى

ثم يقول ثالث :

ازاغغ هيغ اجادا نيراون   اميغست براضين سيربمني

افليغ ازيزلغ سيسيركلين   اوسيغ غات ورد سكليغ ارين

غور زنقاخ تظماسن تلليلتين   نوتظ فول اندبيرن نتتويتود

انتسليت تفوت نزييرهتن   تفنتن فول اضوهن اريق

اديجادات امود تكفاستين   داوتلاغ الموس اضولن

الخافتة، وتختلف الأغاني وإيقاعها ومن بين هذه الأغنيات أغنيتين أحداهما يبين التفاخر والأخرى في الغرام، للمزيد انظر عبدالقادر جامى، المصدر السابق، ص 183.

تمد اتافساست اوليتر اوران   اقالن تنهاف تزايمين

إن هذه المقتطفات من أشعار هؤلاء عامل أوضح لنا مقدار تعامل الطوارق مع ظروف الصحراء الكبرى، فيما يبين ما هم عليه من صبر على الشدائد، وتحمل المصاعب، ومصارعة المخاطر ليتمكنوا من التغلب عليها وإخضاعها لإرادتهم ومصالحهم رغم فظاعة شدتها، وقد فعلوا ذلك في جميع أطرافها الواسعة مما جعلهم أسيادها دون منازع كان[1].

وأيد ياقوت الذي كتب بعد أربع مائة سنة أن الزغاوة قوم من السودان.

ولكن ابن خلدون وصف الزغاوة من الأقوام ذات اللثام. أي البربر الساكنين الصحراء.

وقد يمكن التوفيق بين هذه الآراء. بافتراضنا أن الزغارة يرجعون في أصلهم إلى التبو والزنوج، وأنهم قد خضعوا بعض الوقت لطبقة من الطوارق البربر.

الميلاد عند الطوارق

يولى الطارقي اهتماماً بالغاً لما تطالبه به عادات مجتمعه وهو في انتظار مولود في الأيام القريبة المقبلة.

وما تفرضه عليه تلك العادات لذلك اليوم مهما كانت حالته المادية عالية أو متدنية إذ لا يعقبه أي عذر من تحضير نفقة خاصة لهذه المناسبة على أن تكون كافية لتمويل صديقات زوجته من نساء مجتمعه والوافدات من أماكن بعيدة ولمدة أربعين يوماً على الأقل لتصرف عليهن يومياً عقب واقعة الوضع مباشرة

---

[1] الشعر هو في حد ذاته فن من فنون البشر كانت أحد الأشياء التي تلازم هذا الإنسان مدى حياته وهو إحساس لا ينفك فيه أي أحد مهما كان سنه. وللعلم فإن شعر الطوارق عموما يبدو أنه أبيات يظهر فيها القصر بوضوح ولا يقبل شعرائهم إلى إطالة قصائدهم ومع هذا فأنها ذات أوزان رفيعة بالحركات التي يبدأ بها البيت وتنتهي بها القصيدة، المحققة.

وتكون هذه النفقة من قمح وهو الأفضل عند الناس ومن غيره من الحبوب ما عدا الشعير والدخنْ فلا مُسْتَصاغانْ كما تشمل هذه النفقة السمن وهو المطلوب فإن تعذر إحضاره لعدم وجوده، فالزيت كافياً لعوضه ثم ما يتبع ذلك من حرارات وبهارات لا عد لها وغيرها من أشياء لا يمكن تجاهل لزوم حضورها.

أما الوضع فإنه ساعة وقوعه يعلن عنه بارتفاع زغاريد النساء وكل زائرة تزغرد ثلاثاً إذا كان المولود ذكراً، أما إذا كانت أنثي فيكتفي بزغردة واحدة ومن عصور السلاح الناري أخذوا بإطلاق النار بسبب أن المولود أضاف إلى المجتمع قوة زادت له فسيكون في المستقبل رجلاً من رجال القبيلة الأقوياء وهكذا تنشغل النساء جميعاً وتبدأ بزيارة الواضعة لكي يقوم فريق منهن والخدم بتحضير الطعام الذي يختصون بتناوله والصبية[1] دون الرجال وبعد أن يصل المولود يومه السابع يصنع الطعام للجميع ويقدم لتناوله الرجال والشبان والخدم والرعاة على حد سواء.

حيث أن اليوم السابع هو يوم التسمية فإن الاسم عادة يتولى أمر إقراره أكبر سناً من الرجال جهة الجد للأب وهو الذي يختار له الاسم الذي يراه مناسباً ويكون عادة خلفاً لأحد أسلافه أو يكون مطلوباً من شخص أو أشخاص وإذا تعددت الطلبات ففي تلك الحالة يبث في الاسم عن طريق الاقتراع.

تعارف الطوارق على منح هدايا للطفل الجديد تتمثل في جمل عند أهل الإبل وبقرة عند أهل البقر وشاة عند أهل الغنم وتكون أنثي الأصناف المذكورة وتعطي هذه الهدايا من قبل أقارب المخلوف ومن قبل من وقع عليه الاختيار عن

---

[1] تستبدل الجملة (الذي يختصون بتناوله والصبية) بالجملة (الذي يختص بتناوله الصبية).

طريق القرعة أو سواها، أما عن الهدايا فإنها تبقي محفوظة باسم الطفل وعلى حسابه وتكون نواة لثروتـــه في المستقبل[1].

الختان عند الطوارق

لم يحدد الطوارق سناً معيناً لختان الطفل فمنهم من يجريه في اليوم السابع وهو يوم التسمية بالذات والغالبية منهم يرجونه إلى الثالثة[2] سنوات من عمره وحتى إلى الخامسة في بعض الحالات فتقام لهذه المناسبة حفلة تكاد تكون رمزية إذا نراها أقل شأناً عن غيرها مما يقوم به المجتمع الطوارقي من الحفلات الأخرى[3].

---

[1] أن المجتمع الطارقي لديه عادات في الولادة فإن المرأة تبقي بجوار والديها إلى أن تلد المولود الأول. وهذه العادة متعارف عليها عند جميع قبائل الطوارق وعند إعلان ساعة وقوع الولادة ترتفع زغاريد النساء فإذا كان المولود ذكراً فإن النساء يزغردن ثلاثاً وأن كانت أنثى يكتفين بواحدة فقط ثم يسرعن إلى الوالدة ويهنئنها ويقلن لها بلغة الطوارق (أقرنغفا) ومعناها وجدت رأسها وتقوم الداية أو القابلة بالاهتمام بالمرأة والمولود وتمكث معها يومين تقدم لها الأكل والشراب والمديت المكون من الدخن يطحن ويخلط مع الماء ويطبخ ثم يقدم إلى المرأة وتخرج الملعقة المسمى (تغوجت) والتي خبأتها إلى هذه المناسبة لتأكل بها ويصنع لها المديت أسبوعاً وفي اليوم السابع ينظفون البيت ويحتفلون بتسمية المولود ويقيمون حفلة تذبح فيها الخراف، ويقدمون الشاى والأطعمة للمهنئين الذين يتقاطرون على بيت والده. ويسمي الطوارق أولادهم بأسماء عربية إسلامية ويسمونهم أيضا اسماء طارقية، للمزيد انظر بشير قاسم يوشع، المرجع السابق، ص **319**.

[2] الصواب : الثلاث.

[3] عادة يختن الطوارق أولادهم في اليوم السابع من الولادة والبعض الآخر يتركونهم إلى السابعة من عمرهم فتقام بمناسبة الختان حفلة رمزية وتعد الولائم ويلبس الطفل قميصاً جديداً من القماش= =الأبيض ويوضع حول عنقه أحجبة وسكين صغير حماية من العين وبعد تجهيزه يحمل إلى المكان المعد للختان ويجلسونه فيه وتحجب عينه حتى لا يرى آلة الختان وعندما تتم عملية الختان يهرول به الرجال إلى تجمع النساء اللاتي ينتظرنه بالزغاريد والفرح، للمزيد انظر نور الدين مصطفي الثنى، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس، ص **186**.

أما عما يقام من الولائم في هذه المناسبة فإنهم يبالغون فيها مبالغة مجحفة نظراً لم ينفقونه من مؤن زائدة عن اللزوم وعن الكفاية إلى حد بعيد وذلك إضافة إلى ما يذبح من رؤوس الأغنام دون حدود ولا ضبط عدد هذه الأشياء ولا حصر من يستهلكها حيث لا يولون اهتماماً لكثرة عدد الناس ولا لقلتهم اللهم أن هذه الولائم تقام وتقدم إلى جميع سكان النجع بدون تمييز، ويراعى في هذه الأطعمة وتقديمها اعتبار السن فيما يتعلق بتوزيعها فالرجال المسنين[1] من جميع الطبقات يختار لتجميعهم بيت أكبرهم تنقل إليه وجبات من هذه الوليمة وهكذا بقية الشباب يختار لهم بيت مناسب لتجمعهم وهكذا الشأن في تجمعات النسوة كل على حسب سنه وأترابه.

إجراء عملية الأختان

يعد للطفل قميصاً جديداً من قماش أبيض وأحجبة تكتب فيها بعض آيات من الذكر الحكيم تلظم في سير من الجلد مع موس صغير، وذلك كله القصد منه وقاية من العين وطرد الأرواح الشريرة عن الطفل المختون، وبعد أن يلبس الطفل وقميصه وأحجبته ويؤتي به إلى مكان الختن حينها يجلس على مرتفع نسبياً كالهاون عادة ويحجب بصره عن رؤية آلة القص يمسك به شخصين[2] لكي تقل حركته وليتمكن القاص من إجراء عمليته بهدوء وبالسرعة المطلوبة وفي حال نهاية العملية يقفز به الشخصان مهرولة[3] إلى التجمع النسائي حتى يصلن حينها تتعالى زغاريدهن إلى عنان السماء، وتسمع في أقصى المخيمات الأخرى والتي هي على بعد نسبي من المخيم المعني، أما الأدوية فمحلية خاصة وهي كما تعارفها الناس منذ زمن طويل حيث تتخذ من أوراق الأشجار كالسدر

---

[1] الصواب : المسنون.

[2] الصواب : شخصان.

[3] الصواب : مهرولان.

والقرض تحضر في شكل مساحيق وتذر على الجرح بعد رشه بماء بارد صباحا ومساءً ويعتني بتضميده بقطعة خاصة ذات صبغة نيلية ولها خاصية في امتصاص الافرازات المحتملة[1].

مساكن الطوارق ومطابخهم

يسكن الطوارق في بيوت اتخذوها من جلود الحيوان بعد دباغتها وتلوينها بصبغة حمراء تسمي تامجهويت وهي عبارة عن مغرة شديدة الحمرة ينقبون عليها تحت طبقة غير عميقة من الأرض وأحيانا يحدونها في شكل كدى صغيرة تحت وجه الأرض قليلاً رافعة ما كان فوقها من التربة إلى الأعلى قليلاً ثم يخيطونه ويزينونه بخطوط وبين كل جلد وآخر شراشيب من الجلد نفسه ويرفع على أعمدة وعند وسطه أما جانبيه يرفعان بقوسين تؤخذ من أقوى عروق الشجر وبعد عملية تقويمها بواسطة ململتها في النار وبعد المل وإخراجهما تربط أطرافهما بحبال حسب سعة القوس وتسمي هذه الأقواس إججان وواحدها اججو وهكذا كان المسكن الشتائي والربيعي. أما في حالة الصيف والخريف فهم يسكنون في زرائب يتخذونها مما حولهم من أعواد الأشجار والنباتات والقش كما يسكنون في كهوف بالجبال التي اعتادوا الإقامة بها منذ عصور بعيد[2].

---

[1] من العادات الجميلة في المجتمع الطارقي روح التعاون والتعاضد والتكاثف فيما بينهم فعندما يكون في الحي عدة أطفال للختان فهم يجمعونهم في يوم واحد ويأتي متخصص مرة كل سنة ويقدم له الأطفال المطلوبون للختان وفق مجموعات تضم الفقير والغني حيث يتم ختنهم جماعيا، مشاهدات المحققة في مدينة غدامس.

[2] أصل مأوى الطوارق ليس الخيم كالبدو من العرب بل الأكواخ والزرائب المنصوبة من الحصير تصوروا أربعة أعمدة طويلة في ارتفاع **1,20** متر مركوزة في أرض رملية أحيطت بحاجز من الحصير هذا هو المسكن الذي بلا سقف بيت الطوارق الذي لا يأوون إليه نهاراً ولا يدخلونه إلا في الليل للنوم، والذين حالتهم متيسرة يصنعون مظلة فوق حواجز الحصير، أما الخيم المصنوعة من الجلد السوداني التي تصادف عند كبار المشايخ فقليلا ما تشاهد والفقراء من

أما المطابخ : فتتكون من دائرة من الحجارة بحيث يقل ارتفاعها عن المتر الواحد وتكون بعيدة عن المسكن بقدر ما ويسمونها إكديون أي الحجارة. وهذا الاسم الشائع للمطبخ حتى عند المستقرين منهم منذ القديم في غات – جانت – فزان[1].

الأخــلاق المطلوبة عند الطوارق

دأب الطوارق على الحفاظ عن الخصال التي أقر مجتمعهم أنها أخلاق إنسانية فاضلة ويرون أن الخروج عنها أمر غير مقبول لديهم.

الرجل في أسرته : فمهما تكن حالة الرجل المادية مرتفعة أو متدنية فالزوجة هي سيدة البيت[2] في كلتا الحالتين فلا تنازع على هذه المنزلة وما كان

مغاطه يسكن أكثرهم المغارات وفي جذوع أشجار الكبيرة وفي الأكواخ التي يبنونها من هذه الأشجار إلا أن الطوارق الذين في غات وما حولها يسكنون أكواخا على نمط أواسط أفريقيا التي توجد في فزان وفي طرابلس نماذج منها وقال المؤرخ هيرودوت عن الليبيين : "قبائل رحل مساكنهم أكواخ من الحصر والبردى المضفور ينقلونها متى شاءوا إلى أين شاءوا غذاؤهم لبن الضأن ولحمه وهذا نجده عند الطوارق"، للمزيد انظر عبد القادر جامى، المرجع السابق، ص 173.

[1] المطبخ عند الطوارق شيء أساسي فهي يصنع الطعام وغذائهم يعتمد أساسا على الحليب والتمر وهي الوحيد الرئيسية عندهم والثاني القمح والشعير والقصب حيث يصنعون منه أنواع من الأطعمة يطحنون القمح برحيها ويخلطون الدقيق بالماء ويصبونه على الحجارة المصهورة ويغطونه بمثلها وهكذا ينضج الخبر ويشوي اللحم على هذه الطريقة كما يقتات الطارقي على بعض الأعشاب الصحراوية المغذية وذلك عند الضرورة القصوى ويستعمل في الأكل ملعقة من الخشب وأهم أكلاتهم تليجات واستيك وتاجلا وخبزة الملة والكسكسى والفتات والكوه وتغمزين والثيشت وتاركيت، مشاهدات المحققة

[2] إن وضع المرأة عند الطوارق يثير في الغالب الانتباه في جميع أنحاء العالم الإسلامي عن مجتمع تلعب فيه المرأة هذا الدور المتميز فهي تتمتع بقدر كبير من الحرية ولا تلبس الحجاب وتشارك في الرأي وفي كل ما يتعلق بأمور الحياة وأن الرجال يبدون اهتمام كبيرا بهن وهو ما أعطاهن

بداخل بيتها من الأثاث والمؤن فهي على درجة عالية من الحرية في التصرف ومن ذلك استقبال الضيوف عند غياب زوجها أو أقاربها والعناية بهم ومؤانستهم إلى أن يأتي الرجال فإذا قدم أحد أقاربها انسحبت هي لشواغلها لإعداد الطعام للضيوف فهي على حرية فيما تراه لائقا بضيوفها. وهي بذلك على جانب كبير من الاحترام في حين لا يطغي ذلك على أن تكون مطيعة لزوجها وفي جميع ذلك فلا تقهر ولا تهان ولو كانت قريبته، وإذا ساءت العلاقة الزوجية[1] إلى حد الفراق خرج هو تاركاً لها بيتها اهكيت التي أتت به أصلاً من بيت أهلها يوم اقترانه بها وترك لها جميع ما يحويه من الأثاث وترك لها أولادهم[2] الصغار.

معاملة الأولاد : كان على الأب أن يعدل بين أولاده في كل شئ خاصة فيما يهبه من مال وملابس وعند توزيع الأعمال بينهم فلا يفضل أحد منهم على غيره، ولا يؤنب أحداً منهم عند بلوغه سن الرشد ويكتفي بالتوجيه والإرشاد فقط.

وإذا كلف أحدهم بالتجارة حاسبه حساباً وقتياً فإذا فقد بعد الحساب بعض المال فلا يطالبه به أبداً.

وضعا مختلفا تماما عن بقية نساء المسلمين ويتمتعن بنفوذ لا حد له ولها الرئاسة في البيت يحترمها زوجها ويقدرها وقد قامت المرأة الطارقية بدور كبير في الحياة السياسية قديما، للمزيد انظر جيمس ريتشارد سن، ص322، وابن حوقل، المصدر السابق، ص 71، وابن بطوطة، المصدر السابق، ص 21.

(1) **أن المجتمع الطارقي أعطى المرأة حقوقا كثيرة تمتعت بها ومنها عندما تدخل بيتها اهكيت وهو نوع من الخيام تقوم بتثبيت العمود الذي في المدخل ولو حصلت أي مشكلة بينهما فيما بعد تقوم المرأة بإسقاط العمود الذي في المدخل، فيفهم شيوخ العائلة من كبار السن أن في هذا البيت مشكلة ولو ازدادت وتطورت ووصلت إلى الطلاق يقومون بتغيير وجه البيت من الشرق إلى الغرب ويعرف أن الأمـور بينهم انتهت ويترك الرجـل البيت لزوجتـه، للمزيد انظر جيمس ريتشارد سن، مصدر سابق، ص 97.**

(2) **الصواب : أولادهما.**

بموقع بعيد نسبياً عن مخيم التجمع العام وفي مكان مستور، ومن عادة هذا القوم أنهم إذا ما عزم شخص أو قافلة على سفر وقد أكمل إعداد زاده "مؤنة السفر" أن يأخذ قدراً من زاده ويعطيه للمحتاج أو يعد منه طعاماً لجماعة قصدته أو طلبه أي شخص في ذلك ويسمي عندهم تيزوناه وهذه الكلمة تعني بلغة الطوارق مرسى كمرساة الحصان أو الجمل يدور مع مرساته ويرجع إلى مكانه وهذا تفائل به للرجوع لأهلهم بسلام.

فإذا غادر المسافرون مجتمعهم أو قريتهم وبعد موادعتهم وقد غابوا وتواروا عن أنظار الناس شرعت النساء بجمع تبرعات من بيوت أولئك المسافرون، ومن هذه التبرعات يقمن بإعداد الطعام والشاي الذي يتولون تناوله والصبية فقط.

والمقصود من ذلك أصلاً صدقة لكي يعود المسافرون بعد قضاء مآربهم بدون أن يروا مكروهاً ويسمونه ايبتنكرت ومعنى هذه الكلمة المناظرين أي أنها مركبة من كلمتين ايبت ومعناها القطع ونكرت ومعناها الإجمالي الرجال قاموا بالمغادرة قطعاً[1].

---

[1] كانت ومازالت قبائل الطوارق تتمتع بخصال وصفات العربي للأصيل من كرم وحسن خلق رغم ما قاله عنهم الرحالة الأوربيين من غلط في أخلاقهم فالطارقي يتمتع بصفات وأخلاق فهو يحترم ضيفه في ضيافته فيقدم له الطعام ولا يسئله عن مدة الإقامة بل يبقي في إكرامه ويبنى له خيمة بعيدة عن التجمع ويكرمه مدة إقامته ومن صفاتهم معونة الغير عند السفر فهو ينقص من ماله من أجل الغير وهم شعب كريم عطوف متعاون وليس كما قال الرحالون أنهم صعب المراس لحوحين معائدين قساة القلوب وأجلاف الصحراء، للمزيد انظر عماد الدين غانم، الدواخل الليبية، ص 156.

التعاون عند الطوارق

كان ولا يزال الطوارق من جملة المجتمعات التي يسود بين أفرادها التعاون[1] وهو لفظ ذا معنى واسع جداً حتى أنه لا يمكن تحديده ولا حصره في ناحية معينة ولا يعنيها وكان صفة إنسانية تتصف بها مجتمعات وأفراد خاصة.

فالطوارق متعاونون في كل ما في هذه الكلمة على[2] صعوبات ما حولهم من صحرائهم حكمت بها قساوة بيئتها الشديدة.

فكان تعاونهم على حفر آبار فيها لكي تقضى[3] الماء لهم ولصحرائهم وللمارة أيضاً وتعاونهم على مهاجمتهم الأعداء وتعاونهم في الإسفار.

ولم يغب هذا التعاون في نجوع مخيماتهم حيث لا يتركون فقرائهم يعانون الحرمان والفاقة إذ يخصصون عدداً من الجمال أو البقر أو الغنم تحت تصرف الفقراء للاستفادة بظهروها وألبانها وتسمي عندهم باسم تييت حتى انك لا تشعر بالفقراء منهم وليست هناك أشياء ينعمو فيها هذا التعاون إذ تراهم حريصين في البحث عن المحتاجين منهم وهذا لم يكن ليتضح لجميع الناس لذلك

---

(1) الطوارق شعب متعاون وتسوده هذه الروح المتمثلة في المساعدات التي يقدمها الطارقي إلى أخوته الطوارق في كل مكان فهم متعاونون في كل مناحي الحياة على الصعوبات التي تواجههم وتحيط بهم في تجوالهم في الصحراء من حفر آبار وبناء خيام بحكم تنقلاتهم المستمرة فهم مجتمع متكاثف بمعنى= =الكلمة ويعطفون على الفقراء منهم وتجدهم يتقسمون الزاد معهم ويخصصون لهم بعض الإبل والغنم والبقر تحت تصرفهم للاستفادة من ألبانها ولحمها وقد لا نجد فقير بينهم من روح التعاضد الموجودة بينهم فهم يتفقدون بيتهم وبيوت الغير عن طريق النساء من أجل الإبلاغ عن حاجة أي بيت لكى يبلغوا الكرماء منهم لسد حاجاتهم وإكرامكم، مشاهدات المحققة.

(2) الصواب : من.

(3) الصواب : تتوفر.

معها يستطيع أن يرافق القافلة حتى وهو فارغ ولما[1] من ذلك داويناه تركناه على البئر الذي ماؤه فوق وجه الأرض، ومن الصدف كان[2] قافلة تجارية قد بدأت رحلتها من بلدة سيناون إلى غات هي الأخرى فلما لم يتبق بينها وبين البئر المذكور سوى حوالي أربعين كيلو متراً غربت الشمس هناك فباتت فهبت عليها عاصفة هوجاء حالت بين القائمين برعاية جمال القافلة وبين الجمال فرجع الجمال إلى وطنهم فما كان من رجال القافلة إلا أن قصدوا البئر مشياً على الإقدام فوصلوه فعلاً بعد أن قطعوا هذه المسافة فلما لم يستطيعوا حمل ما يتعدهـم[3]. لمدة طويلة على ظهورهم نفذ ما كان معهم من الطعام واستمر ما كذلك على الماء وحده[4] وأيقنوا أن لا محالة من الهلاك إلا الالتجاء إلى نحر الجمل الذي تركناه على البئر فنحروه فعلاً وانقدهم من الهلاك في أرض خالية من كل ما يلجؤ إليه الإنسان لإنقاذ حياته. وهكذا لم يطالب مالك الجمل بقيمته أبداً إذا لم يكن متعارفاً لدى المجتمع مطالبة قيمة ما قد ينقذ به حياة الآخرين[5] قد الجأتهم الضرورة إليه.

وقد تحركت قافلة أخرى في الآونة ذاتها من غدامس ولعدم حصولها بما يكفى إبلهاوالناس من بئر انزار فكانت القافلة قد غادرت البئر رغم النقص الواضح في الماء ورغم حاجة إبلها له ولكنها اقتحمت الصحراء القاحلة بهذا الوصف وفي أثناء سيرها ليلاً لتصل إلى البئرْ الذي ٌيبعد قرابة 11 كيلومتراً حصل أن ضلت اتجاهه في أثناء الليل ولما أصبح النهار عرفوا الاتجاه الصحيح

---

[1] يجب زيادة كلمة تأكدن.

[2] الصواب : كانت.

[3] الصواب : يكفيهم.

[4] الصواب ، ولم يبق معهم إلا الماء وحده.

[5] يجب زيادة جملة وهو ما.

معها يستطيع أن يرافق القافلة حتى وهو فارغ ولما[1] من ذلك داويناه تركناه على البئر الذي ماؤه فوق وجه الأرض، ومن الصدف كان[2] قافلة تجارية قد بدأت رحلتها من بلدة سيناون إلى غات هي الأخرى فلما لم يتبق بينها وبين البئر المذكور سوى حوالي أربعين كيلو متراً غربت الشمس هناك فباتت فهبت عليها عاصفة هوجاء حالت بين القائمين برعاية جمال القافلة وبين الجمال فرجع الجمال إلى وطنهم فما كان من رجال القافلة إلا أن قصدوا البئر مشياً على الإقدام فوصلوه فعلاً بعد أن قطعوا هذه المسافة فلما لم يستطيعوا حمل ما يتعدهـم[3]. لمدة طويلة على ظهورهم نفذ ما كان معهم من الطعام واستمر ما كذلك على الماء وحده[4] وأيقنوا أن لا محالة من الهلاك إلا الالتجاء إلى نحر الجمل الذي تركناه على البئر فنحروه فعلاً وانقدهم من الهلاك في أرض خالية من كل ما يلجؤ إليه الإنسان لإنقاذ حياته. وهكذا لم يطالب مالك الجمل بقيمته أبداً إذا لم يكن متعارفاً لدى المجتمع مطالبة قيمة ما قد ينقذ به حياة الآخرين[5] قد الجأتهم الضرورة إليه.

وقد تحركت قافلة أخرى في الآونة ذاتها من غدامس ولعدم حصولها بما يكفى إبلهاوالناس من بئر انزار فكانت القافلة قد غادرت البئر رغم النقص الواضح في الماء ورغم حاجة إبلها له ولكنها اقتحمت الصحراء القاحلة بهذا الوصف وفي أثناء سيرها ليلاً لتصل إلى البئرْ الذي ؟يبعد قرابة 11 كيلومتراً حصل أن ضلت اتجاهه في أثناء الليل ولما أصبح النهار عرفوا الاتجاه الصحيح

---

(1) يجب زيادة كلمة تأكدن.

(2) الصواب : كانت.

(3) الصواب : يكفيهم.

(4) الصواب ، ولم يبق معهم إلا الماء وحده.

(5) يجب زيادة جملة وهو ما.

واخذوا الطريق إلى البئر ولكن ضلت إبلهم تتراجع إلى الوراء في حين بلغ معهم العطش مبلغه ولجئوا[1] إلى الجبل لما يتوفر فيه من ظل الاحجاف وقد مر عليهم جماعة القافلة السابقة وأعطاهم المرحوم بنونى خليل جمالاً لنقل زادهم وما هو أهم من بضاعة قافلتهم المتروكة في الطريق ولما مروا عليهم سقوهم وذهبوا نحو البئر فلما وصلوا إليه وأخبروا بأن الجماعة تركناهم بعد أن أسقيناهم فهنا استشاط بنونى غيضاً إذ لو أتوبهم معهم لكان أفضل من تركهم العطش ولكنه ملأ قربة بما يكفي من الماء وخرج بمعية المرحوم عبد الرحمن اق امالاى وقصدوا الرجال المتروكين بدون قطرة من الماء في أشد أيام القيظ.

وهكذا كانت الإسعافات في طرق الصحراء تجري منذ كانت هذه الصحراء مليئة بالحركة رحم الله بنونى ورفيقه عبد الرحمن.

ولم يكن بد من استصحاب بعض رجال هاتين القافلتين الذين حمل بنونى أكثرهم إلى غات وقد استصحبنا نحن جزء منهم إلى غدامس.

الانفــتاح عند الطوارق

أوجد هذا المجتمع صنوفاً من الانفتاح الذي قل أن وجد عند شعوب العالم الأخرى وهو على قاعدة محددة في أمرين اثنين:

أولهما أن يربط بين شخصين نسب كأن يكون أحدهما ابن خال الآخر بطبيعة الحال الثاني ابن عمة الأول وسواء كان الخال أخ لأمه أو ابن عمها القريب أو البعيد وتسمي عندهم باسم تبويها.

---

[1] الصواب : ولجئوا.

وثانيهما أن تكون الرابطة بين الشخصين رابطة المصاهرة وذلك كان[1] يكون شخص متزوج بأخت الآخر وهو يعتبر جميع أخوة الزوج والأخوات وأخوة الزوجة وبنو العمومة مشمولين في هذا الاعتبار وتسمي عندهم باسم تيضوال.

وتجيز هذه الأحوال جميع أوجه الصراحة بين المعنيين ويصارح بعضهم بعضاً ولا يرون حرجاً في ذلك طالما كانوا يرتبطون بالروابط السالف ذكرها.

وتنتقل من تبويها وتيضوال إلى أن يطلق عليها اسم توكشوت ذلك لتقادم الزمن على نسب وعلاقة الاسمين الأولين وابتعاد العلاقة بين منتسبيها بحكم الزمن حتى تشتمل[2] قبيلتين ولما كان من عادة الطوارق أنهم نادراً ما يصارحون بعضهم إما[3] كان ذلك لسبب استيحاء بعضاً[4] من بعض أو لأي اعتبار آخر فإنهم وجدوا في هذه العلاقات أنها تقيم لديهم مقام ما كان قد منعه السفراء لتذليل ذلك الحياء وغيره من موانع أخرى قائمة في المجتمع فبأساليب الانفتاح هذه استطاع هذا القوم إفراز أشخاص عن طريق ما سلف ذكره لهم الاتصال بمن شاؤا وقد كانت الحاجة ماسة إلى مفاتحته ومصارحته ولا يرى السامع أي حرج فيما يوجه إليه من الأقوال أجازه هذا القوم ولعل هذا النوع من الصراحة ما ذهب ببعض المؤلفين إلى القول بان الطوارق ويكذب بعضهم بعضاً بقولهم : باهو باهو كذب في حضورهم.

---

[1] الصواب : بأن.

[2] الصواب : تشمل.

[3] الصواب : سواء.

[4] الصواب : سببا لاستيحاء بعض.

وجها لوجهه وأقول أن الطوارق بحيائهم الفارط لا يلجؤن أبدا إلى أن يكذب شخص منهم الآخر.

ذلك لتمسكهم بعادة تمنع بينهم كل تلك الأقوال الخسيسة بطبيعتها.

وقد وظف الطوارق هذه الفئات لتقوم بوظيفة مبعوثين في مهام كان كل مجتمعات العالم يشعرون بوجودها مثل الخطبة التي كانت بذاتها توجب قدراً بالغا من الخجل والحياء عندهم.

وقد يرسلون إلى قبائل تربطهم بها تلك الروابط ذاتها ويقومون بتدابير كل شئ حملوا رسالة ويحرصون على مناصرة مرسليهم إلى أقصى حدود الحرص.

الـــرد على الأقوال الخالية من كل مبرر

كان من المؤسف حقا ومن الغريب فعلا ومما يثير السخرية أيضا أن بعضا من المؤلفين كانوا قد وصفوا في كتاباتهم المجتمع الطارقي بما شاؤوا من أخس صفات الغير[1] مقبولة أن يوصف بها مجتمع آدمي واسع كهذا ذلك مثل قوله[2] : قتلة – نهابون – سلابون – جيرة سيئة وما إلى ذلك من أحط النعوت وأدنى الأوصاف.

إلى[3] يعى هؤلاء أن هذا المجتمع هو الذي استمر يشن غزوات على المناطق الشمالية ضد الرومان طوال قرون عديدة تحمل الرومان أثنائها الكثير من المتاعب وهو الذي أوقف امتدادهم نحو الصحراء الكبرى واتصالهم بشعوب جنوبها بواسطة الجمل الذي كان قد أوتي من القدرة ما مكنه من عبورها وهو الذي ساعد على امتداد الدين الإسلامي وأوجبه بسيوفه ورماحه على الوثنين الزنوج من السنغال وأعالي نهر النيجر في غرب أفريقيا إلى شعوب الهوسا وبلاد البرنو في الشرق وهو الذي دحر جيوش الأسبان في معارك ضارية بالاندلس حينما كانت طوائف المسلمين في أمس الحاجة إلى العون والمؤازرة وهو الذي قاوم الاحتلال الأجنبي بكل ما أوتي من إمكانيات حتى غلب بفعالية الأسلحة المتطورة من رشاشات ومدافع على جميع الأشكال وتناسى أولئك ما مر

---

[1] الصواب : صفات غير.

[2] الصواب : قول بعضهم.

[3] الصواب : الى أن.

على الإنسانية من صنوف أعمال شنيعة تصم الأذان من سماعها وقد تجاهلها أولئك ولازموا الصمت بشأنها[1].

فهل فعل الطوارق عشر ما فعله الهكسوس؟ أم فعل الطوارق عشر ما فعله التتار؟ أم قام الطوارق بعشر ما قام به الهلاليون وبنى سليم؟

الجواب هو[2] كلا فإن الطوارق لم تكن إنسانيتهم لا ترضى حتى بواحد من المائة من أفعال أولئك الأقوام.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل يرى هؤلاء أو يظنون[3] أن[4] يحدق بالطوارق خطرا فيقفوا تجاهه مكتوفي الأيدي؟ أو يظنون أن يفعل الطوارق مثل ما يفعل طير النعام الذي إذ رئي[5] خطرا يهدده ردم رأسه في التراب؟

---

[1] كان حكم الفرنسيين للصحراء عامة وللتوارق والعرب خاصة حكما قمعيا لا وجود فيه للثقة بين الفرنسيين والتوارق وعامل الفرنسيون مستعمريهم الجدد بكثير من العسف والاضطهاد وضغطوا عليهم كثيرا لإجبارهم على التنصير ودفعوا بموجات من الرهبان والمبشرين إلى ارض التوارق لتنصيرهم وردهم عن دينهم وشوهوا حقيقتهم وكتبوا عنهم بكثير من الحقد والازدراء والتشويه والضغى في أصولهم العربية ليحولوا بينهم وبين أمتهم العربية في الشمال وليقتطعوهم منها وخلقوا لهم تاريخا مزيفا ملئت سطوره بالشك والبغض بين التوارق وإخوانهم العرب في محاولة من الفرنسيين لتمزيق الأمة العربية وأخوة الدين الإسلامي. فقد قابلهم الطوارق بالرفض العنيد وقاطعوهم وقاطعوا مدنهم ومدارسهم وانفردوا بعيدا في صحرانهم في إباء وشمم متمسكين أكثر بدينهم وانتمائهم الصنهاجي العربي. محمد سعيد القشاط. المرجع السابق. ص 212.

[2] الصواب : تشطب هو.

[3] الصواب : يظنوا.

[4] الصواب : بأن.

[5] الصواب : رأى.

وعما له علاقة بعدم عفة نساء الطوارق بصفة خاصة قول بعضهم إن نساء الطوارق ليست لهن بكارة ولما يثيره هذا القول من استغراب ومن العجب أقول : إن من حقنا ذلك إذ يصدر هذا الكلام من رجل لا يعرف هذا المجتمع ولم يعاشره مدة ثلاث ساعات فقط وللإنسان أن يتساءل : فهل[1] هذه المدة القصيرة إلى هذا الحد هي مدة تكفيه للإحاطة بعلم ما بداخل مجتمع واسع منتشر في أرجاء الصحراء الكبرى ولو كان معه حاسوبا كمبيوتر؟

وهل كانت بيده عصا سحرية تمكنه من معرفة ما كان خفياً عن مدارك الناس؟ أم أوتى خاصية لمعرفة ما كان محجوباً من علم العامة وبصائرهم خلال وقت قصير للغاية؟ الجواب عن هذه التساؤلات هو : أن صاحب هذا الزعم كان قد لطخ بيده كتاباته بما خالف الحقيقة طولاً وعرضاً باقترافه في نفس الوقت جريمة في حق نساء الطوارق. فلو كنت قاضياً لعاملته بنص الآية الكريمة الخامسة من سورة النور ولاصدرت حكماً بغلق أبواب مداخل هذا المجتمع في وجه كل مغتر وكذوب بعد اختباره[2].

فنســاء الطوارق هن على درجة عالية من العفاف وصيانة أنفسهم[3] من الوقوع في تلك الرذائل المشينة فهل يكفي عدم وجود بيوت عمومية للعواهر والمنحرفات في جميع جهات هذا الشعب أو لم يكفي أيضاً أن قوم الطوارق

---

[1] الصواب : هل.

[2] الآية الخامسة من سورة النور "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانية جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم".

[3] الصواب : أنفسهن.

ومجتمعهم لم يكن فيه مكان لوجود اللقطاء كما كانت تعاني منه مجتمعات كثيرة أخرى مما أقطر[1] مسئولي شعوبها إلى إصدار قوانين تنظم أحوال اللقطاء وغير الشرعيين وتفرد له فصلاً خاصاً من فصول قانون هذه الأحوال[2].

---

(1) الصواب : اضطر.

(2) لقد لفت انتباهي ما ورد في بعض الكتب التاريخية خاصة المتأخرة منها وما تناولته من موضوعات حول عادات الطوارق وتقاليدهم، وللأمانة التاريخية تقتضى منا تصحيح ما كتب عنا ولم يكن موجودا ومعروفا في تراثنا لكى نعطى للأجيال الصورة الواضحة والحقيقية لهذه المعلومات مع العلم أن أغلب هذه الكتابات لم تخصص بل شملت جميع الطوارق أينما وجدوا وفي الوقت الذي يجب على الباحث أن يخصص ولا يعمم، فالطوارق قبائل متعددة وكبيرة جداً ومنتشرة انتشارا واسعا في ربوع الصحراء الكبرى ويوجد لديهم اختلافا كبيرا في العادات والتقاليد أن استثنينا اللباس واللغة واللثام فهذا يتحد فيه جميع طوارق الصحراء الكبرى، ومن الخطأ أن تنسب عادات وتقاليد تخص قبيلة من قبائل الطوارق إلى جميع القبائل، وهذا الاختلاف تبعا لاختلاف البيئة والمناطق التي يسكنون فيها حيث تأثرت تلك العادات والتقاليد باختلاف المناخ. مثلا هناك قبائل تخرج العروسة من بيت العريس لأسباب يرونها ضرورية لها إلى بيت آخر تحتجب فيه، فلا تحكم في هذه الحالة على أن العريس محتجب والعروسة تخرج لأن هذا يعد خروجا إضطراريا لأسباب معروفة لدينا، وهناك قبائل أخرى لا تخرج العروسة من بيت العريس وتبقي إلى نهاية أسبوع العراسة والباحث قد ذكر نصف المعلومة وأبقي في جعبته النصف الأخر، في الوقت الذي تتحتم عليه الأمانة التاريخية أن يذكر كلتا الحالتين ويبين وجه الاختلاف ويذكر الأسباب ولا يحكم حسب مزاجه إذا كانت تهمه الأمانة العلمية وأن لا ينقص من أية معلومة فليذكرها للتاريخ كما هي معروفة حيث قال أن العريس محتجب والعروسة تخرج فهذا غير صحيح والصحيح ما ذكرناه، وذكر أيضا حادثة أكل الدم أي الطوارق يأكلون الدم لمجرد أنهم جاعوا وكذلك هذا غير صحيح، وربما قد تحدث حالة فردية من هذه الحالات عند الضرورة القصوى لانقاذ حياة من موت محقق هنا فالضرورات تبيح المحظورات أما مجرد الجوع فلا ولا يصدق قائلها ولو اتي ببراهين الدنيا كلها وهذا شيء لا يقع للجميع بقدر ما يقع لافراد معدودين للضرورة القصوى فليس من العدل والإنصاف أن تنسب ما قام به شخص أو حدث لافراد يعدون على الأصابع لمجتمع كامل بأسره ونعدها من عاداته.

ونشير أيضا إلى ما قاله محمد الحشائشي في كتاب رحلته قوله:

وقال ابن خلدون واسم الطوارق أطلقه عليهم العرب لتركهم الحق في الصدر الأول.

أنه من دواعي الاستغراب أن العلامة العربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون قد أجاز لنفسه الجزم وإقرار هذا التأويل المفتقر لما يضفي عليه صفة

وهناك مثلا آخر أن أولادهم يبقون عراة طيلة ثمانية سنوات أما البنات فيسترون عورتهن بقطعة من الجلد وهذا خالي من الصحة، والذي تراه في مجتمع الطوارق أن الأولاد والبنات على السواء يلبسون قطعة قماش مشقوقة في الوسط ومعقودة الجانبين الأسفلين وليس بها أكمام فمناخ الصحراء الكبرى قارس شديد الحرارة صيفا والبرودة شتاء وهذا الطقس كفيل أن يصيب الأطفال إذا بقوا عراة بالأمراض، وقد ذكر أيضا أن للطوارق اختبارات في الوفاء وذكروا قصص وخرافات واضحة أنها هزلية وأضفى المؤرخين عليها صفة غريبة لا توجد في البشر وأظهروهم في صورة فوق صورتهم الآدمية يتحملون أكثر مما يتحمله البشر وكأنهم لغزا محيرا وكل من يقرأ هذه القصص والخرافات يتخيل له أنهم من عالم آخر غير العالم الذي تعيش فيه وهناك زعم آخر في قضية توريث ابن أخت (الأمنوكال) للحكم بسبب الدم النقي الذي يجري في عروقه بخلاف الأخوة والأبناء الذين يشك في نقاء دمهم فلا دخل لهذا التفسير السئ الغير صحيح بهذا الإرث لا من بعيد ولا من قريب والسبب الصحيح هو أن الطوارق قد اوقفو هذا الأمر على البنات دون غيرهم منذ القدم ولابد أن يكون امنوكال ينحدر انحدارا متسلسلا من أمهات تلك البنات والأسر اللاتي أوقف الطوارق عليهن هذا الأمر النساء الأحرار. وهناك زعم آخر أن الطارقي إذا تزوج يبقى عند أصهاره حتى ينجب الطفل الأول حينها يحق له أن يصطحب زوجته حيث يريد فهذا عندنا غير صحيح فهذه المعلومة التي اوردها المؤرخين بهذه الطريقة تعد معلومة بتراء وناقصة والذي نعرف أن بقاء الزوج عند اصهاره متعلق بإنجاز شرط عرفي متعارف عليه بين القبائل أن وفى الزوج بهذا الشرط وأنجزه فلا مانع من أخذ زوجته حتى من الليلة الأولى للدخلة أن أراد ذلك ولذلك على الباحث أن يميز بين القصة الحقيقية التي تؤخذ منها العبرة والحكمة من القصة الهزلية التي لا جدوى منها ومن المعلومات المعقولة التي يقبلها العقل وينسجم معها من المعلومة الرديئة التي يرفضها العقل منذ الوهلة الأولى وأن الأقوال الخالية من أي مبرر عديمة الفائدة وتشوه مجتمع الطوارق باسره. للمزيد انظر مانى شاوى اللاله البكاى اماهين. تصحيح أخطاء كتبت من عادات الطوارق وتقاليدهم الشعبية. محاضرة. ورقة 1-2-3.

الدليل المعقول على الأقل. كما أنه لم يأت بما ينفى الالتباس عن هذا الحق ما كان يعنيه به.

ولما لم يكن من هذا القبيل أي شئ جاز لنا اعتباره أنه الإسلام كما هو الأقرب إلى الاحتمال. وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإن العلامة قد انحرف قلمه نحو الخطأ بشكل مؤسف للغاية. إذ لم يكن الطوارق ولا سكان شمال أفريقيا ولا جنوبها أن تركوا هذا الحق في الصدر الأول ولا ما عاشوا في حضيرته حتى اليوم.

وقد غاب عن ابن خلدون أو تجاهل تلك المجاهرة التي تجاهر بها الكثير من القبائل التي أعلنت ردتها عن الإسلام فهذا طليحة الأسدي وقومه ومن أزره من عبس وذبيان وهذه اليمامة واليمن والبحرين قد أعلنت الردة عمداً وإصراراً والقبائل التي آزرت الردة عن الدين الإسلامي غير قليلة ولم يذكر من أطلق عليه لقب المرتدين بعد رجوعهم إلى الدين تحت وطأة سيوف ورماح أحد عشر لواء من ألوية المسلمين التي عقدها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يلقب أحداً بلقب المرتد بعد ذلك.

وإذا علمنا أن الطوارق لم يكونوا قد تركوا أية حقوق فكيف أجاز هذا العالم لنفسه أن يورد في تأليفه ويجزم بتأويل ترك الحق بشأن شعب واسع كهذا في الوقت الذي نحن على علم بأن راحلة بن خلدون لم تقف أمام مساكنهم ما كان على قيد الحياة.

ولو كان ابن خلدون حيا لطالبه الطوارق بإبراز ما يؤيد تأويله.

أن ما ذكرناه عن حرب قبيلة أولمدن[1] ضد إقليم آضاغ[2] وأسبابه هو رواية قليلة الشيوع ولم يتكرر ذكرها وقد شككت كثيرا في صحتها وذلك لأنها قليلة الذيوع والانتشار ورغم البحوث الطويلة عنها. ونظرا إلى أن رئيس إقليم آضاغ وهو : الطاهر اق ايللى ما يفك يرسل إلى رئيس بعض قبائل أولمدن كيل اترام بهدية سنوية تتمثل في بيت من الجلد اهكيت ولعل هذه الهدية هي نفس الضريبة التي أشير إليها ووصفت باسم الضريبة[3] ولوجود هذه القصة كنا قد أثبتناها بقطع النظر عن شكوكنا في مدى صحتها ولمعاصرة الظاهر لفهرون كانت قد أمضت وقتا طويلاً لا نرتاب في صحة الهدية المرسلة بينهما غير أننا لا نعلم شيئا عما كان يجري قبلها بالنسبة لما كانوا عليه رؤسائهم في الأزمنة السابقة لما قبل وصول أجداد الطاهر اق ايللى وفهرون اق انسار.

ولكن سكان آضاغ في طبقة أدنى في اعتبار اق شاغ وقبائل أولمدن وهكذا.

الرحالــة الأوروبيون

لا شك في أن قائمة الرحالة الأوروبيين عبر بلاد الصحراء الكبرى قائمة طويلة في الواقع وهي منطوية على آلام ومصائب مفجعة كان قد صادفها بعض من أفراد هذه القائمة كان ذلك عن طريق القتل فجأة أو كان بطريق الوفاة بسبب أمراض عادية ذلك كانت أخباره مزعجة أيما إزعاج.

---

[1] وهى قبيلة واللمدان أهل الشرق وهم فرع من سلطنة تاقريقرايت التى تعنى الوسطى نظرا لان موقعها يتوسط سلطنات الطوارق بحيث يحدها من الشمال الهقار والجنوب كيل افرس ومن الغرب اللميدان كيل اقرام من الشرق تمزقدا وآيير ومركزها طاو وتتكون هذه السلطنة من خمس وعشرين قبيلة جلها أولمدن ومعناها بالطارقي لا يتعلمون. مشاهدات المحققة.

[2] الشمال الجنوبى من أراضي الطوارق.

[3] الضريبة هي تقع على أصحاب البضاعة يدفعونها في كل مرة يطأون فيها أرض من يحميهم .

ولكن هذه القائمة نعتبرها ذات نتائج لا تقدر قيمتها في أن واحد. أن هذه القائمة نفسها كانت قد جلبت من بين ما جلبت أسباب انتقادات لاذعة وجهت لمجتمع الطوارق ولم يكن هذا المجتمع قد نفى عن نفسه تلك التهم والانتقادات إذ يرى الطوارق أن المجتمعات التي تتألف منها الشعوب الأوروبية هي شعوب مدركة أن المجتمعات البشرية كلها تتألف من أشخاص صالحين وآخرين من ذوى السلوك الحيواني الذي يفضل الافتراس على ما سواه من أعمال إنسانية خيرة.

وما يزال مجتمع الطوارق حائراً لا يعرف شيئاً حتى الآن عمن وراء هذه الأعمال والدوافع الحقيقية لها. فهل هي آتية تحت عوامل تنافس التجار كما كان محتملاً حول تجارة السودان التي تحتل المرتبة الأولى من أولويات الموارد الاقتصادية في ذلك الوقت. أم هي نتيجة الصراع السياسي للحكومات حول أمور اقتصادية وتوسيعه إذ كانت تلك طبيعة الدول أصلاً.

أم هي نتيجة الأمرين معا بمساندة كل منهم الآخر إذا أنهما يلتقيان في النهاية عند نقطة واحدة وهي المصلحة المشتركة.

فالتجار حريصون كل الحرص على المحافظة على سرية التجارة والتكتم المبالغ على كل ما له صلة بأحوال التجارة حتى من بعيد باعتبارهم أن الناس جميعا ينافسونهم مكاسبهم.

وعلى أية حال فأننا لا نرتاب في أن أولئك الرحالة الذين ساعدهم الحظ ونشرت نتائج استكشافاتهم في بلاد أفريقيا كانوا قد فتحوا عيون شعوبهم على مجهول لم يكونوا يعلموه قبل نشر هذه النتائج، في حين كانت نتائج أولئك الرحالون قد أنارت طريق مكان أفريقيا وفتحت أبصارهم لاستيعاب المعرفة ومختلف الثقافات والوعي الاقتصادي والقومي بين السكان. الأمر الذي كان مفقودا تماما لدى سكان بلاد الجنوب الأفريقي أن لم نقل في شمالها أيضا فاستوى

في هذا الوصف حاضرها وباديها ولقد تبين نتائج هذا الوعي ما قد وصلت إليه شعوب القارة من استقلالات الواحد تلو الآخر وما نراه اليوم من دول افريقية ذات سيادة تحكم نفسها بنفسها.

وإنما إذا تذكرنا ما كان قد صادفه البعض من هؤلاء الرجال من أنواع قتل بدم بارد فإنه يتملكنا الأسف والخجل لا وصف لهما ولكن يتضاعف عندنا الشعور بالأسى والخجل كلما تذكرنا فضيحة قتل امرأة آمنة مطمئنة تتجول كما يتجول غيرها من الناس. تلك هي قصة قتل الآنسة الكستاندرين برونيلاتين[1] فهذه الواقعة تعد واحدة من جملة الخسائس التي تنعدم فيها مشاعر الرحمة والإنسانية وغاب كل قدر يمكن اعتباره ذو صلة بأوصاف الآدمية فخيم ضباب الطمع فيما بأيدي الغير على ضمائر هؤلاء فأنساهم ما سيستوجبونه لدى مجتمعهم الذي ألبسهم رداء عار وخزي ونبذهم بإقصائهم ما كانوا على قيد الحياة فإذا كان هناك عار تلطخ به وجه هذا الشعب فهو قتل هذه الآنسة. إذ يرى الطوارق في قتل امرأة هو بمثابة ارتداء ثوب في غاية من القذارة والاتساخ ذلك لما يوليه الطوارق من عطف متزايد واحترام لهذا الجنس وتجنب الإضرار به.

ولا تقاس تلك الخسيسة عند الطوارق بتلك المذبحة على فظاعتها التي ارتكبها الجنود الفرنسيون من تقتيل المدنيين جماعيا بالسيوف والحراب والفؤوس.

---

[1] أخطأ المؤلف في اسم الآنسة الهولندية التي قتلت في طريق مرزق وهي تدعى الآنسة (الكسندرينا تينه) وهي رحالة هولندية من الأسرة الحاكمة ولدت في لاهاي في 17 أكتوبر عام 1834م من أب إنجليزي وأم هولندية عرفت برحلاتها إلى مصر والسودان ونتيجة لثرائها وإسرافها عرفت عند الأهالي باسم (بنت الري) أي بنت الملك وتوجهت الكسندرينا في 5 يونيو إلى مرزق وقد عرض عليها الرحالة تاخيتغال الانضمام إلى قافلة ولكنها رفضت وتوجهت نحو غات وقتلت عند بئر (قيق) في فزان وبالتحديد في الجنوب الغربي من مرزق في أغسطس 1869م. للمزيد انظر اتيلو موري. الرحالة والكشف في ليبيا. ترجمة خليفة محمد التليسي. طرابلس. مكتبة الفرجاني 1971. ص 81.

ذلك على اثر إخماد ثورة فيهورن اقانسار[1] سنة 1916م بقوة في انقال[2] بجنوب الصحراء الكبرى وإذا ما لتمسنا معذرة لأعمال هؤلاء وأولئك وجدنا أنفسنا لا نملك

---

[1] فهرون بن الانصار: هو سلطان قبيلة لمتونه (والليمدن) أهل الغرب والتي تشمل شرق مالى الحالية وشمال فولتا العليا (بوركينا فاسو) وصلته رسائل المجاهدين الليبيين يحثونه فيها على الجهاد ضد المستعمرين النصارى الفرنسيين فقرر الثورة وعلم الفرنسيون به فقبضوا عليه وأودعوه السجن في داكار ثم أعيد وسجن بمنكا شمال شرق جمهورية مالى الحالية، وحاولت فرنسا استدراجه وكسبه إلى جانبها فأصدرت مرسوما يقضى بتعيين فهرون ملكا على التوارق ولكن فهرون كان يخطط لضرب الفرنسيين ففر من السجن وأعلن الثورة وهاجم المواقع الفرنسية في منكا ودفلنكى واستولى على ما فيها من السلاح والذخيرة. وحاولت فرنسا تدارك الامر فأرسلت إليه بنسخة من المرسوم القاضي بتعيينه ملكا على التوارق وبأمر العفو عنه ولكن أكد تصميمه على الجهاد قائلا: إن تعييني ملكا على التوارق لا تملكه فرنسا ومنها هاجمته فرنسا وطوقته لإخماد ثورته واستعانوا بأعدائه من الوطنيين أمثال بادى حمادى شيخ تنبكت وقبائل الهجار وأحاطت به هذه القوات الكبيرة القادمة من مالى= =والنيجر والجزائر وذلك في بلدة آضر يوكار وجرت معركة عنيفة غير متكافئة سقط فيها مئات الشهداء من أنصار فهرون واستطاع أن ينسحب بقلة من جنوده خارج الحصار وتولى الفرنسيون القيام بمذبحة كبيرة ضد النساء والأطفال والشيوخ وكل ما هو حى فى أحياء فهرون بن الانصار وأثناء انسحابه اصطدام بمجموعة من توارق الهقار الاعداء التقليدين لقبيلة والليمدن والمتعاونين مع فرنسا وأثناء المعركة سقط فهرون بن الانصار شهيدا وبذلك تمت ثورته التى فجرها عام 1916م. للمزيد انظر محمد سعيد القشاط. أعلام من الصحراء. ص138.

[2] انقال: انقل تقع جنوب شرق أغاديس وهي مدنية موغلة في القدم وتعتبر من اهم مناطق المراعى للطوارق حيث يقام فيها سنويا مهرجان الرعاة (كورسالى) حيث يتجمع فيها كل الرعاة بحيواناتهم من قطعان الابل والبقر والماعز والضأن فى جمع هائلة ويشاركهم فى ذلك قبائل الفلان (اليوررو) الذين يعيشون فى منطقتهم. كما يعيش في مدينة انقل التى هي عبارة عن واحة للنخيل قبائل من الاشراف وصلوها عن طريق التجارة بعد الفتح الإسلامى لشمال أفريقيا ولا يزالون يحتفظون بمكانتهم بين قبائل الطوارق ويتصاهرون معهم. بعكس قبائل الفلان الذين لا يزالون يتمسكون بمجتمعاتهم ولا توجد بينهم صلة المصاهرة مع الطوارق رغم كونهم يتعاشون معا منذ أوائل القرن التاسع وتعتبر أنقل من أقدم طرق التجارة الصحراوية إلى الشرق الافريقي.

مبرراً للقيام بأعمال خسيسة وفظيعة كتلك إلا ما هو متعلق من بعض الوجوه بحكم الزمن في أيام تلك الأوقات التي انعدمت فيها كل القيم الفاضلة وحلت محلها تلك الأعمال الحيوانية لتلك القائمة التي أثبتها جمس ويللارد في كتابه : الصحراء الكبرى فاختار لها عنواناً يراه مناسبا قوله :

"تاريخ استكشاف الصحراء خلال مائة سنة 1790 – 1890"

السنة	البعثة	عدد المفقودين
1789	بعثة لوقاس – لديار عبر الصحراء مات فيها جون لديار الأمريكي بالقاهرة	1
1790	بعثة الماجوردينال هاوتون إلى تمبكتو قتل في بلاد السودان	1
1801	فردريك هورنمان مات في بلاد السودان	1
1806	مانغوبارك : نهر النيجر قتل أو مات غرقا في النيجر كما مات 46 جنديا بريطانيا يقودهم بارك	47
1819	بعثة رتش – لبون : عبر الصحراء مات منها رتش في مرزق	11
1820	اودنى – كلابرتمرن – دنهان مات الدكتور اودفى في بلاد السودان	11
1825	كلابرتون : إلى النيجر مع أربعة مرافقين مات منهم أربعة بما فيهم كلابرتون في بلاد السودان	1
1826	الماجورلينغ : من طرابلس إلى تمبكتو قتل قرب اردان بل قر اردان	1
1827	رينه كاييه : من تمبكتو إلى طنجة	–

1835	الدكتور افيدسون : من مراكش إلى تمبكتو قتل في الصحراء	1
1850	ريشاردسون – افريونغ – بارت – فوجيل : من طرابلس إلى بحيرة تشاد إلى تمبكتو	
	عام 1851 مات دريشاردسون في برنو	1
	عام 1852 مات اوفرويغ فيْ بحيرة تشاد عام 1852 وصل بارث تمبكتو	1
1856	قتل فوخسل في بلاد السودان	1
1859 – 1861	بعثة دوفير بيه إلى الطوارق	–
1862	فون بورمان بحثا عن فوخسل قتل شمال بحيرة تشاد	1
1866	جيرارولتيز الصحراء الكبرى	–
1869	الآنسة تين : من طرابلس إلى بحيرة تشاد قتلت قرب مرزق	1
1869-1874	الدكتور غوستاف ناختيغال الصحراء الكبرى	–
1872-1874	بعثة دورنو – دويير – جوبيير الفرنسية من إلى تمبكتو قتل ثلاثة قرب غدامس	3
1876	بعثة الاباء البيض قتل ثلاثة رهبان قرب واحة الغوليا متعبة	3
1877	الدكتور ارفين فون بارى : إلى تمبكتو بطريق	1

	الهوقار قتل في الصحراء(غات)	
1	الدكتور اوسكار لينز يصل إلى تمبكتو	1880
60	مشروع سكة حديد عبر الصحراء الكبرى الكلونيل افلتيرز وفرقته يقتلون في الصحراء	1879-1881
3	بعثة الاباء البيض الثانية إلى تمبكتو ثلاثة رهبات يقتلون قرب غدامس	1885
1	الدكتور بالات : من تونس إلى تمبكتو قتل في الصحراء	1885
1	كميل دول : من مراكش إلى تمبكتو ذبحه إدلاؤه وهو نائم	1889
	إلى آخر السلسلة	
160	المجموع	

وكان الجدير أن لا يفوتنا ذكر رحالة آخر غفلت عنه قائمة جمس ويللارد أعلاه وهو الرحالة الفرنسي موريس المركيز الذي خطط لرحلته أن يبدأها من مدينة تونس إلى غات مروراً بغدامس في بلاد الطوارق ولما وصل مكاناً يسمي الوطية قرابة مائة وثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من بلدة سيناون فقتل هناك على أيدي الطوارق الازجريين ويرافقهم نفر من الشعامبة، ومن المشتركين في قتله هم :

محمد الضب احماد

عثمان منما اق محمد = قتله الموكيز نفسه حينما وقف عليه وقبل أن يفارق الحياة.

الحاج أحمد اق إدا

سيدي محمد اق محمد وأن ابيبغ

اغالى اق ازرغاف

معمر وهو أب البشير بن معمر

الخير ورفاقه لم أتوصل لمعرفة أسمائهم ولا لحصر عددهم بعد.

وكان ذلك في سنة 1897م.

استخلاص بالقول مما سبق

في الوقت الذي كان باستطاعتنا القول بأننا قد قطعنا شوطا بعيدا في مجال الحديث عن شعب الطوارق في عدد من المجالات ذات العلاقة بهولاء القوم ومناطقهم فأننا هنا نخلص[1] بالقول إلى ما سبق الإشارة إليه حول عدد من الأمور التي تناولناها بحديثنا سلفا فنقول :

كيل تماهق أو اموهاغ : هذا هو الاسم الأصلي لمجتمع الصحراء الكبرى شمالها وجنوبها فهم يعرفون بهذا الاسم بينهم وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادي على ما يبدو أخذ العرب يطلقون عليهم اسم الطوارق إذ أن الرحالة العرب يطلقون عليهم اسم البربر وهم محقون في ذلك لأنهم برابرة أصلا وهؤلاء الرحالة هم :

ابن حوقل وابن بطوطة وابن سعيد المغربي ومحمد الحسن الوزاني والبكرى هؤلاء جميعا كلما جاءت مناسبة لذكرهم ذكروهم باسم البرابرة.

والأقرب أن هذا الاسم جاء نسبة إلى تارجا أي منطقة فزان التي تسمي عند الطوارق بهذا الاسم بداية من الوادي الشمالي الشاطئ حتى مرزق.

يعيش هذا الشعب في مجالات الصحراء لكبري شاغلا شمالها وجنوبها بضم قبائل لا حصر لها وهي وثيقة الصلة ببعضها ووحيدة اللغة ونمط الحياة وشكل اللباس لذلك جاز اعتبارها أنها ذات شخصية خاصة. لذلك كان الشمال منه يتألم لما يصيب الجنوب منه من عوامل الجفاف القاهرة ومن معاملات ذات مرام سياسية بحتة مستهدفة قتل الروح القومية في سكان الجنوب عامة.

كان ارتباط الطوارق بالأسفار ونقل البضائع التجارية شمالا وجنوبا أمر ناشئ عن عوامل عديدة منها أنهم هم المسيطرون على مناطق الصحراء بصورة أساسية والتي يستحيل عبورها إلا بواسطتهم وبعلمهم ومنها أنهم هم الحائزين على

---

[1] الصواب : نستخلص.

وسائل النقل المطلوبة لاجتياز تلك الأرض ومنها أنهم أدلاء لاختبار انسب الطرق في مختلف فصول السنة والصالحـــة للسير عليهـــا في ظروف الأمن من استتبابه وحالة اضطرابه[1].

فتح الجمل ثانية أبواب مغلقة وراء حاجز هائل بين شمال أفريقيا وجنوبها في صبره المعتاد فتح أهوال هذه الصحراء وشدتها في كل طرف من أطرافها المترامية مع نقل البضائع المختلفة الأشكال والألوان وكذلك الأوزان متحملاً كل ذلك، فهذا الحيوان أثرى بواسطته سكان الشمال واستفاد بوجوده سكان الجنوب ومن اليسير علينا القول بأنه لو لم يكن هذا الحيوان قد دخل هذه القارة لبقي شمالها مجهولا لدى سكان جنوبها ولا تكدس المعدن الثمين عند الشماليين ولا استفاد سكان الجنوب بمعدنهم الذهب أبدا.

أن مناطق الصحراء في أجزائها الشمالية والوسطي تؤلف أراضى قابلة للاضطراب باستمرار فكلما ازداد أحفاد الهلاليون وبنى سليم ومن نسج على منوالهم من أبناء جلدتهم تقدما نحو شمال الصحراء الشمالية ازدادت الاضطرابات حدة وازدادت نيران العداوة إضراما فلولا وقوف سكانها الأصليون في وجه ذلك الزحف

---

[1] نصل إلى ختام هذا التحقيق والدراسة التي بينت الظروف المحيطة بشعب الصحراء الكبرى شعب الطوارق الذين يعرفون باسم ايموهاغ (Imohag) ولغتهم (تاماهاغ Tamahag) وهم متحدين فى دولة كبيرة فى الصحراء الكبرى وأن قبائل جدالة ولمتونه ومسوفة وتارغا التى عاشت في الصحراء الكبرى إلى القرن التاسع الهجري قامت من بينهم قبيلة لمتونه بأعباء الحكم وحكمت جميع القسم الصحراوي الى نهر النيجر. وقد كانت مهنتهم وحرفتهم الرعى والأسفار والتنقل عبر القوافل لنقل البضائع شمالا وجنوبا فمهنتهم حماية القوافل والغرباء ويحصلون على رسوم نظير ذلك فلكل عائلة لها قبيلة طارقية تحميها كما وضحنا سابقا وأن الشخص الذي يقدم الحماية يسمى عند الطوارق (أمد) أي الصديق فالحماية لا تكون مرافقتهم القوافل دائما ففى بعض الأحيان تكون الحماية معنوية أي بدون مرافقة ولكن يسمع الطوارق أن فلان محمى من فلان لا يستطيع ان يمسه أحد لان الامد محترم ومهاب وقوي في شعبه ولا يجرؤ أحد أن يسيء الى من يرعاه بحمايته وإذا وقع العكس فان الامد سوف يلحق بهم ويهزمهم. مشاهدات المحققة.

العدائي لامكن القول بأن الفئة الأصلية هذه سيصل بها الأمر إلى درجة الزوال حتى إلى أنهم لن يكونوا شيئاً مذكوراً غير أن قبائلهم المتماسكة وشدة بأسهم وبلادهم القاسية جعلهم باقين في بلادهم من عداد الشعوب المقروء لها الحساب حتى اليوم.

لا سبيل للارتياب في صحة أصالة الطوارق أو البربر الاسم الذي يعرف به جميعهم منذ عهد الرومان حتى اليوم وأنهم أقدم الأجناس البشرية التي وجدت بشمال أفريقيا وكذلك الصحراء الكبرى منذ زمن بعيد ورغم أن الآثار القديمة أفادت بان هذه الصحراء كانت قد قطنها أقوام من ذوى البشرة السوداء فانتشروا من السودان قبل حوالي خمسة آلاف سنة في العصر الحجري الأخير. ومع التسليم بذلك فإنه لا ينافى قدم كيل تماهق الطوارق بمجالات هذه الصحراء التي في إمكانها استيعاب ذوى البشرة السمراء والسوداء معاً.

اقر بعض العلماء آراء حول شعب الجرامنت الذي حكم مناطق فزان والصحراء الكبرى وسجلوا أقوالهم بأنهم لا يعرفون عنه أي شئ عن أصله ولا من حيث الجهة التي مضى إليها. وهذا أحد الدلائل التي تسمح لنا بالقول أن هذا الشعب لم يكن جاء من جهة ولم يكن قد مضى لأخرى وإنما المعقول هو أنه شعب كان في زمن ما قد استطاع أن يؤلف من نفسه حكومة عاشت قروناً طويلة ثم أدركه الوهن والانحطاط الذي أدرك غيرها من دول هذا العالم في جبهاته العديدة فبعد وصولها إلى درجة الضعف لم تستطع بعد القيام بمهامها كحكومة فعقب ذلك بطبيعة الحال أن انقرضت وليس من العقل في شئ أن يرحل شعب بعد حكومته وما أصابها بقي قائماً في بلاده وأرضه وأن الاحتمال الأقرب إلى الواقع أن ذلك القوم هو ما أطلق عليه اسم الطوارق الحاليين ومن انضم إليهم في فزان من ذوى البشرة الداكنة والشعر المفتل.

ألاحظ تحت هذا الرقم على تعريب كتاب : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير للمؤلف بوفيل فأقول : أن التعريب بأسلوبه الذي رأيناه قد يشكل حيرة في نفس قارئه بصفة لا يقوده إلى الحصول على المعرفة المقصودة أصلاً كما كان

يشكل انحرافا عن المعرفة ذاتها. وهنا نقدم مثلا واحدا على ذلك وهو عندما أخذ يعرب كلمة أولمدن وهي قبيلة لا تنقصها شهرة لأصالتها المعروفة لدى جميع الطوارق على الأقل إذ جاء يعربها معرب الكتاب بكلمتين هما علم الدين في حين لا نعلم اجعل اسم القبيلة علم الدين الذي يعني معرفة الدين أم كان يريد رأيه الديني الذي معناه لود الدين. فهذه الأحوال من الأمور المربكة والمعيقة لتقدم سير العلم والثقافة بوصفها المرض. ولولا أن هذا الاسم مكتوب أيضا بحروف إنجليزية كنت لا أتمكن من الاهتداء إلى فهم أنه كلمة أولمدن.

ولذلك كان يحسن في حق المعربين والمترجمين التقيد بحرفية أصل الكلمة الموضوعة اسما لقبيلة أو اسم لأي مكان، وبالخصوص مثل هذه الكتب المفيدة.

مارس الطوارق أعمالا تجارية مختلفة بين الشمال والجنوب الأفريقي ممارس مليئة بنشاط وبحزم بالغ الأمر الذي يسر لهم البقاء والعيش في الصحراء على ما كانت عليه من شدة لا يمكن التقليل منها ولهذا العمل الدؤب مكنهم من ثروات طائلة من الحيوانات بأصنافها وبالأخص الإبل الجمال[1] التي استخدموها فائضهم منها لنقل بضائع غيرهم من التجار بأجور كان لدخلها اثر في مجتمع الصحراء على وجه عام يضاف إلى ذلك الاتجار بمادة أخرى دائمة الطلب والإقبال

---

[1] **الجمال: يقصد بها الجمال الناقلة، فالجمل في الحقيقة هو الوسيلة الناقلة لتجارة ذات المكاسب والأرباح الطائلة التي استفاد منها كل من الشمال والجنوب إذا لازالت آثارها باقية إلى اليوم، فإذا صرفنا النظر عن تلك المكاسب فإن الجمل قد ساهم بقدر كبير في نقل العلم والمعرفة بين أمم القارة وشعوبها وإدماج ثقافات الطرفين في بعضها حتى أصبحت الشعوب الجنوب مهيئة لقبول كل جديد بسهولة ويسر كالدين والتقاليد وما إلى ذلك مما ساهم في نشر هذا الحيوان المبارك، فالجمال حيوانات لا تتأكد قدرتها على اجتياز منطقة الصحراء الفاصلة بين الجهة القاصدة منها والمقصودة إليها بالذات إلا إذا كانت في صحة تمكنها من السير وهي محملة بالأثقال إلا بعد استكمالها لأشهر الربيع الثلاثة في الشمال وأشهره في الجنوب أو راحة لا تقل عن خمسة أشهر، الشاوى اللاله البكاى، محاضرة حول التجارة الماضية وطرق القوافل عبر الصحراء الكبرى، غير منشورة، ورقة 4.**

عليها والقليلة التكاليف والعالية الأرباح مادة الملح[1] التي كان لها اثر بالغ الأهمية في اقتصاد بلاد الصحراء وتصاعده جعل سكانها في وضع مادي ممتاز.

يعتمد الطوارق لدى تنقلاتهم على خبراء إدلاء[2] من أولئك الذين توفروا على معرفة مسارات طرق الصحراء عن طريق الإسفار المتكررة بين أسواق الشمال والجنوب وإلى جانب ذلك حكم سكانهم الدائم بهذه المناطق.

---

(1) الملح: هو تجارة الملح ونقله مستمر حتى الآن ولازالت القوافل تتاجر به في تنبكت ولقد شاهدت ألواح من الملح مجلوبة من تادوني. ومادة الملح موجودة في تقازا وتادوني وبالرغم مما أصاب أسواق الملح من فتور وركود بعد أن كانت تباع بوزنها ذهبا سواء بسواء ثم أخذت قيمتها في التدنى إلى أن أصبح حمل البعير يباع بثمانين دوكه ذهبية كما جاء في كتابات الرحالة حيث قالوا: (وكان الملح الذي يستخرجونه يساوي وزنه ذهبا في تنبكتو ورغم التحول الذي أصاب اسواق هذه المادة وقيمتها الشرائية فإن القوافل لازالت نشطة كعادتها لنقل مادة الملح في كل من تادوني وبلما وتقازا، اما منجم= =امدغور الذي يعد ثالث مناجم ملح الصحراء الكبرى فقد انخفض نقل الملح منه من مدة ثلاثة وخمسين سنة وذلك لأسباب ضعف حركة القوافل الآزجريين والهقارين بالإتجار بالملح من سكان المناطق الواقعة في جنوب الصحراء لتوقف التجارة إلا عن طريق الشاحنات الآلية فقط وهذا بحق لمادة الملح أن تتبواء قيمتها مناجم واقعة داخل أفقر مناطق الصحراء الكبرى في اشلمال وكانت على حق في هذه القيمة التي لم ينالها غيرها من الأصناف التجارية حتى الآن، الشاوى اللاله البكاى، محاضرة حول التجارة الماضية وطرق القوافل عبر الصحراء، بحث غير منشور، ورقة 2.

(2) الأدلاء مفردها دليل، وهو يعتبر قائداً لكافةمن كان بقافلته من الناس فالأدلاء لا يخالفون إذا ما قرور إبدال الطريق بأخرى في كل وقت وحين ذلك إذا ما كانت حالة الأمن تستدعى ذلك ولهؤلاء الأدلاء الحق في إصدار أوامرهم لمواصلة القافلة سيرها ليلا نهاراً دون توقف لمدة يرون في ذلك سلامة القافلة ومن فيها من الناس ولهم حق الإشراف على ما بالقافلة من الماء فمواصلة السير حالة تقتضيها أمور منها الشعور باضطراب الأمن في مكان ما ويحاولون مواصلة السير لاجتيازه بالقافلة، تلك المناطق التي كانت الظنون قوية على اضطراب الأمن فيها ومنها ينقص الماء في منطقة بعيدة عن مصادر المياه لمسافة تستوجب سيرا متواصلا إلى ان تصل القافلة البئر المائي الواقع أمامها، يتاكد الألاء من أنهم في اتجاههم الصحيح على أمور طبيعية كالجبال المنتصبة على جوانب الطريق والأودية التي تشق الأرض تمر بها الطريق من الشمال إلى

وعلى هؤلاء الخبراء تقع مسئولية ما يجري للقافلة من انحراف عن الدرب المسلوك من أول بدايته إلى وصولها البلد المقصود. وتناط بهم أيضاً السيطرة على القافلة ومن فيها من الناس وجميع حركاتهم داخل القافلة وذلك فيما يتعلق بوجهتها وزمن ارتحالها ووقت حط رحالها ولهم حق إصدار أوامرهم في مواصلة سير القافلة ليلاً ونهاراً متى يرون ذلك أسلم للقافلة ولهم حق تغيير طريق البداية والعدول عنه متى تبين لهم ذلك.

أما السيطرة الأخرى كحرية المرور وما يتعلق بأمن القافلة والرسوم المفروضة وعوائد ذلك فهي من مشمولات نظراً لسكان أصحاب رعاية الأراضي التي تخترقها طرق العبور هذه ويستطيع ذلك في جميع المحاور التي تسلكها القوافل بداية من أول محور في الغرب ونهاية من طريق مرزق – بلما – اقذر – الهاوسا في الشرق.

أن من الأدلة الواضحة والمعتمدة لدينا بخصوص علاقة الطوارق ببعضهم إذا وضعنا اللغة والعادات واللباس ونمط الحياة والرقعة الجغرافية جانباً فأن وحدة

الجنوب، أما في حالة سير القافلة ليلاً فأنهم يجتهدون على دقتهم في المحافظة على الاتجاه دوما كما هم عرفوا ذلك من ممارستهم للأسفار عبر الصحراء حتى غدو يعرفون كل بقعة من الأرض مروعتها ثم يعتمدون على النجوم كالنجمة القطبية الشاملية المتجهة نحو الشمال المعروفة في لغة الطوارق باسم (النكشم) وكذلك نجم السهيل الذي يظهر في شرق الأفق الجنوبي ويغيب غربه ويسمي (وادت)، وقبل ظهور هذه النجمة بثلاثة أسابيع تظهر في الأفق نجمة تسمي بلغة الطوارق (وادت نيكلان) أي سهيل العبيد فعند زهور هذه النجمة تنطلق القوافل التي تشتمل تجارتها على أعداد كبيرة من العبيد (الرقيق) تتجه ببضاعتها تلك نحو الأسواق الشمالية حيث كانت في هذه الروف بالذات قد تمت شهراً من آخر فصل الصيف وإقبال شهر الخريف للطافة الجو لكى تجتاز الصحراء بالعدد الهائل من البشر بسلام، كما يعتمدون أيضا بظهور نجوم عديدة أخرى يتأكدون منها من جهة الشرق ومن جهة الغرب، كما يعتمدون أيضا على طلوع نجون أخرى، والشوى اللاله كان خبير في طرق القوافل، الشاوى اللاله البكاى، محاضرة حول التجارة الماضية وطرق القوافل عبر الصحراء، بحث غير منشور، ورقة 3.

كثير من أسماء قبائلهم تشهد بتلك العلاقة سواء كانوا في الشمال أم استقروا في الجنوب وكان ذلك سوى نتيجة المد والجزر الذي مارسته قبائل الطوارق في حركتها بين شمال وجنوب هذه الصحراء خلال أحقاب بعيدة من الزمن. وليس ذلك بغريب ولا هو من قبيل المستحيل على أقوام لهم من قدرة الحركة السريعة والحرية المطلقة ما يجعلهم يفعلون ذلك في أي وقت شاؤا ولديهم وسائل النقل الكفيلة لإتمام ذلك بسلام.

الطوارق كغيرهم من المجتمعات الأخرى من حيث ممارستهم للبيع والشراء ومن حيث مزاولتهم للاتجار بينهم وبين الآخرين إلا أنهم يختلفون عن غيرهم بعض الشئ فتراهم يجتنبون القيام بفتح محلات للتجارة المتنوعة كالمواد الغذائية والخضر ومجازر اللحوم وإنما كانت تجارتهم تتعلق بقطع بضائع غير المفصلة[1].

كما أن الطارقي حالما يعرض مبيعاته للبيع ويأتي راغب الشراء سائلاً عن ثمنها فيخبره الطارقي أن ثمنها كان كذا فإذا أراد الشاري خفض ذلك الثمن أصر الطارقي على ما أعلنه فلا يميل إلى الإنقاص في حين إذا أراد أن يشتري أي شئ اشتراه بالثمن الذي أعلنه مالكه ولا يميل إلى المساومة باعتبارها مملة ونوع من استجداء والإذلال.

---

[1] **عند تجوالنا في الصحراء الكبرى من الشمال إلى الجنوب نلاحظ ونرى تطابق طباع الطوارق في اللباس واللغة واللثام فاللباس موحد عندهم فالرجال قميص وسروال من القماش الأبيض ويضيف الذين حالتهم ميسرة ثوباً أزرق غامقاً من صنع السودان ويضعون النقاب على وجوههم وأما الشباب الذين لم يتزوجوا بعد لا يضعون اللثام، وأما النساء الطوارق جميعهم باختلاف قبائلهم يلبسون ثوب طويل يمسح الأرض ويضعن على رؤوسهن غطاء أزرق يتدلى من الجهتين فوق كل ذلك يرتدين رداء عربياً أو لحافاً أبيض يسمي العبروق وهذا بالنسبة للباس وأما العادات تختلف من قبيلة إلى أخرى فعادات الأفراح تختلف في بعض القبائل حسب ما رأيت في صحرائهم الليبية بعضهم لا يستعمل الأيمزد والطبل في الفرح فيعتمدون على الأكل والشرب في أفراحهم، للمشاهدات المحققة.**

وبالرغم من إعجابي بما جاء في كتاب المؤلف بوفيل تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير وواقعية وإخلاص هذا العالم ما كتبه لا يحول دون أن أبدى ملاحظة حول بعض ما نص عليه كتابه سالف الذكر قوله : كان الطوارق الأوائل الذين استقروا في الاير من جماعة اللمته التي قدمت من برنو وكان الذين سبقوهم من جماعته الجوبيرو التي كانت عاصمتهم في تين شامان بالقرب من الموقع الذي بنيت فيه أقدس من بعد وكانت الجماعتان من اللمته والجوبيرا وتعيشان بصفاء وعند وصول جماعة أخرى من الطوارق مثل كيل قرس الصنهاجة الذين اخرجوا جماعة الجوبيراوا واستوعبوهم كل ذلك في أوائل القرن الخامس عشر وأصبحت الاير عند ذلك مملكة مستقلة للطوارق عليها سلطان منهم، ولو كان سلطانهم الأول كما يزعم الطوارق في الاير عين من اسطنبول لترتب أن يكون التعيين من بزنطي مسيحي وليس تركي مسلم.

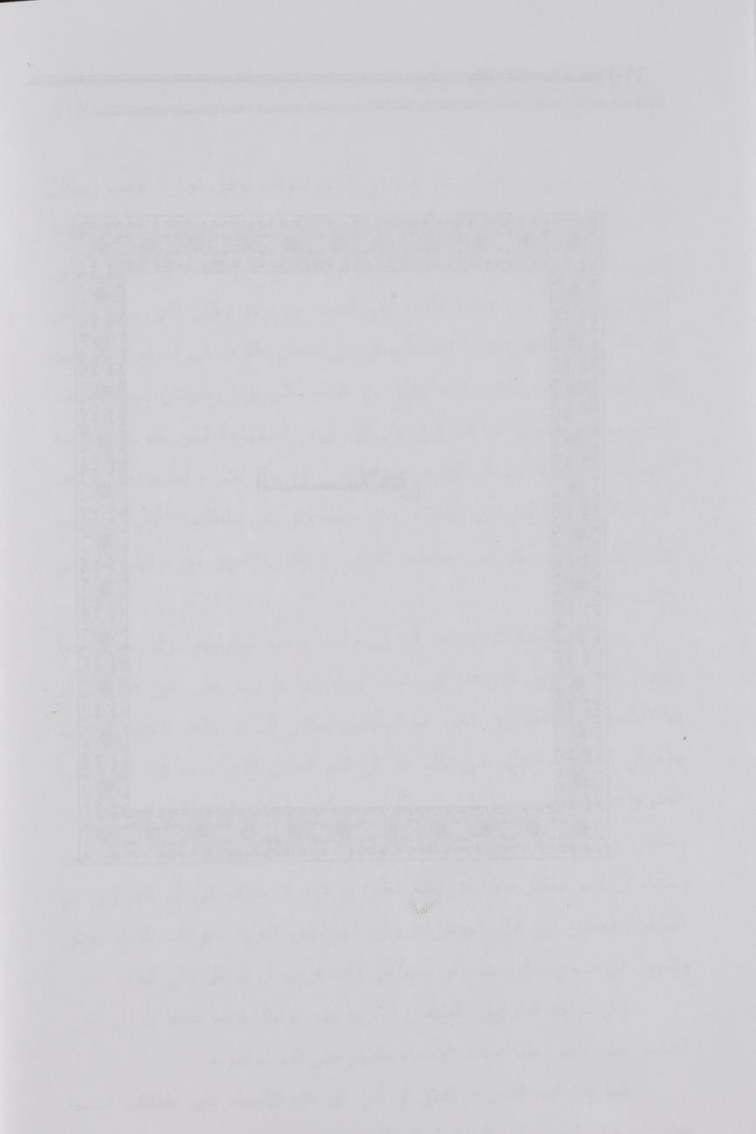
وبما أن اسمه كان يونس أو بون واسم زوجته ابرزاحيوا وابزوحيل وهما يشبهان كثيراً ايزابيل فإن هذا اقل ضعفاً وشكاً مما قد يبدو على غير هذا السؤال فهنا ألاحظ : أن الطوارق كانوا هم السابقون لسكني آل آير وليس الجوبيراوا كما جاء في الكتاب والدليل على ذلك هو أن اسم المكان الذي بنيت فيه البلدة التي اتخذوها عاصمة يسمي تين شامن وهذا اسم مركب من كلمتين هما تين ومعناها ذات وشامان ومعناها جواميس ومعناها الإجمالي في لغة الطوارق: ذات الجواميس وحيث أن اسم المكان معروف بلغة الطوارق فإنه لا خلاف في أن الطوارق هم السابقون لسكني آير قبل الجوبيراوا وأن الجواميس البرية حيوانات كانت تعيش وتتجول في صحراء آير منذ زمن بعيد إلى وقت قريب أن لم نقل حتى اليوم.

وأن تواجد الطوارق بالمناطق الآيرية يبدو تواجداً قديماً سابقاً لأوائل القرن الخامس عشر، يدل عليه امتداد الأسماء بلغتهم حتى تانوت جنوباً.

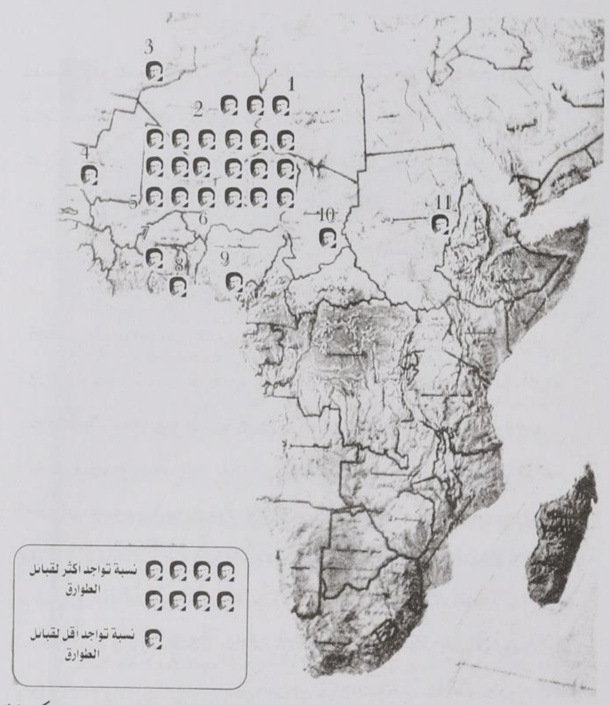
كما كان اسم أقدس أو اقدش أو أقدز كل هذه الأسماء على اختلافها البسيط تعني أسرة في لهجات لغة الطوارق المختلفة.



الملاحق



خريطة التوزيع السكاني لقبائل الطوارق في أفريقيا



واجد قبائل الطوارق في كل من الدول الآتية ولتحديد موقع الدولة الرجوع إلى الرقم المناسب في الخريطة (شكل 1)

1	ليبيا	7	بوركينا فاسو
2	الجزائر	8	بنين
3	المغرب	9	نيجيريا
4	موريتانيا	10	تشاد
5	مالي	11	السودان
6	النيجر		

الغنائم 33

تنقسم الغنائم بالنسبة على أساس عدد الرجال الذين شاركوا في الغزوة تحت لوائهم
وذلك بعد رجوع جميع الغزاة من دون ترتيب عن غير حلول جمال أثناء طريقهم
معركة كانوا قد أخذوه من بعضهم للجميع والمشترك لأصحابها مقابل كل
جمل اثنين أو ثلاث حسب المتفق عليه فإن لم يحصلوا سوى على قدر عدد الإبل
[illegible] وبقي العدد دون شيء وإذا كانت الأعداد فقط بأن الغزاة لم يحصلوا
حتى على شيء السوء إذ تبعاتهم فإنه في هذه الحالة سقط حقهم في أي مطالبة لما سبق
[illegible] الذين أبت الغزاة ويجعلون لرئيس القبيلة نصيبه من الغنيمة بقدر نفل
غاز ولو لم يكن ضمن الغزاة فعلا وللغازي جميع ما قتله من الأعداء أثناء
المعركة يقسم الغازي الذي الخطر مع من زوده بجمل امتطاه أثناء غزوه جميع
ما غنمه مناصفة ويسمون هذه المعاملة «أكلاج» وعند عودة الغزاة وقبيل اقترابهم
من أهلهم يرسلون جماعة منهم إلى الأهل يسمونهم «إيمبهان» لإعلام الناس برجوع الغزاة
وقد يأتي زمرة من الأشخاص في ملاقاتهم للحصول منهم على بعض الأشياء والمغنومة وتسمى
«تابدرست» أما الغنائم من الماشية وجميع الحيوانات فيسمونها «أجلاف» أما غيرها
من الغرض فيسمونها «إيبنكان» وليس من عادة الطوارق سبي الأحرار من أعدائهم ومن عادة
طوارق الشمال فيما إذا حصلت بينهم وبين جيرانهم «التبو» من خصام [illegible] حرب كبار
[illegible] دكا وارا يتأهبون لسبب غزو [illegible] فإن عرفهم لا يسمح بسبي أناس
من أحرار [illegible] يسمح بسبي أرقائهم اللذين هم من أصل زنجي فقط وذلك باعتبارها كافة
عرقية تجمع بينهم وبين [illegible] كما [illegible] حرب قبل [illegible] وهكذا فإن التبو يمتازون عند طوارق الشمال

ان الناس قد سخروا افكارهم لصناعة السلاح كأداة للقتال
وهي كلمة تختصر معانيها اللغوية الى ان اصبحت تعني اشياء اخرى
وقد تنافس هذا الانسان في تحسينها. ولا زال لم يكف عن تطوير
هذه الاداة حتى بلغ بها هذا الخطر عن مفهومها السابق
الى مفهوم دمار شامل لا يترك شيئا على الارض
ان الاسلحة بقدر ما هي صالحة للاستعمال [illegible] له رجا [illegible] تخضع
للتطور الجاري عليها بمرور الايام وما بقي الانسان على هذه
الارض فما نراه اليوم منها انما لا [illegible] في معركة ما ذلك

اذا ما استعملت بطريقة كاملة [illegible] معينة.
وهي ايضا منها انما لا يقدر كل انسان لها شرها.

كانت
فسواء بحرية في عصرية الماضيين او كانت حديثة

بعد ذلك. وسواء كانت موادها الاساسية من مادة
اليورانيوم او مواد اخرى قابلة للانفجار ثم التدمير بحيث

حتى تصبح ذات القوة الابادية للبشر ولكل شيء سواء.

اذ لم يتوقف صانع الاسلحة هذه عن تطويرها ما دام
ان تكون شديدة المفعول [illegible]

[illegible] على اخترته في
الانسانية على الاقل [illegible] لكي يطوروا [illegible]

وقد [illegible] هذه الصناعة [illegible] ذات قدر [illegible]

الخطورة [illegible].

النسخة الأولى (أ) من مخطوط الطوارق عبر العصور

المخطوطــات

1. الأرواني، محمد محمود، الترجمان في تاريخ الصحراء واروان، مكتبة المحققة.
2. أبي بكر، نوح بن الطاهر، حياة أسكيا الحاج محمد، مكتبة المحققة.
3. أعبيدي بن الطالب الداه، الدرر الوهاجة في قبائــل صــنهاجة، مكتبــة المحققة.
4. البكاى، الشاوى اللاله اماهين، حفنة في بحر التيفناغ، مكتبة المحققة.
5. بكنو، الأمين بن أحمد، نبذة من تاريخ أقدز، مكتبة المحققة.
6. التنواجيوي، محمد السالك، فوائد من غابر الأخبار في تــاريخ الــدول وأصول الأنساب، مكتبة المحققة
7. التواتي، عبد الرحمن، فهرسة لأشياخه، مكتبة المحققة.
8. الحبيب، عروة بن سيد محمد، تاريخ اروان، مكتبة المحققة
9. درامي، كادى، صحراء جمهورية مالى وشعرها العربي، مكتبة المحققة.
10. السعدى، موسى أحمد، زهور البساتين، مركز جهاد الليبيين للدراســات التاريخية.
11. الشفيع، محمد أحمد، مقالات في الطوارق، مكتبة المحققة.
12. عبد اللطيف، محمد عبد الرحمن، الطوارق شعب الــصحراء، مكتبــة المحققة.
13. عثمان بن عمر، قصة غات، مكتبة المحققة.
14. الكنتى، محمد مختار، الظرائف والتلائد في أخبــار الــشيخين الوالــد والوالدة، مكتبة المحققة.
15. مجهول، تاريخ سلاطين اهير، مخطوط، مكتبة المحققة.

16. مجهول، خبر السوق، مكتبة المحققة.
17. مجهول، رحلة إلى اقدز، مكتبة المحققة.
18. مجهول، نبذة من تاريخ جنى، مكتبة المحققة.
19. مجهول، تراجم علماء ياغرم، مكتبة المحققة.
20. محمود بن أحمد شغال، لمحات من تاريخ شنقيط، مكتبة المحققة.
21. مرحبا، محمد المفتي، التاريخ الخاص بالتواتر، مكتبة المحققة.
22. مرحبا، محمد المفتي، فتح الحنان المنان بجمع تاريخ السودان، مكتبة المحققة.

المصادر والمراجع العربية والمعربة

1. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
2. ابن خلدون، العبر ديوان المبتدأ والخبر، بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1988م.
3. ابن فودى، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، الرباط.
4. ابن منظور، لسان العرب، بيروت : مكتبة الحياة.
5. اتيلو مورى، الرحالة الكشف في ليبيا، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس : مكتبة الفرجاني، 1971م.
6. ادموند برنوس، الطوارق دعاة ومحاربي الرمال، مطبعة برجر، نوقرو، باريس، فرنسا، 1984م.
7. الأمين، نورى، صفحات مشرقة تاريخية وحضارية للملثمين ومقاومتهم ضد الاستعمار، كتاب تحت الطبع.
8. الأنصاري، عمر، الطوارق الزرق، الواقع والأسطورة، الساقي، (د-ت).
9. أيوب سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة اليبي، طرابلس : دار المصراتي للطباعة والنشر، 1969م.
10. البكاى، مانى، الشاوى، نبذة مختصرة عن قبائل طوارق آزجر بالجماهيرية العظمى حدودهم وعاداتهم وتقاليدهم الشعبية القديمة وأهمية موقعهم الاستراتيجي، بحث منشور، 2005م
11. البكرى، أبو عبد الله، المسالك والممالك، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، (د – ت).

12. بازال دافس، أفريقيا تحت أضواء جديدة، جمال محمــد احمــد، بيــروت، دار الثقافة، 1961م.
13. بوفيل، تجارة تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبــو لقمــة محمد عزيز، بنغازي: جامعة قاريونس 1988م.
14. التنبكتى، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميــد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.
15. تشايجي، عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازى، مراجعة محمد الاسطى، تقديم محمد الطاهر الحــراري، ط 2، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993م.
16. جامى، عبد القادر، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمــد الاسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974م.
17. الحشائشي، محمد عثمان، الرحلة الصحراوية عبر أراضى طــرابلس وبــلاد الطوارق قدمها وعلق عليها وراجع ترجمتها إلى العربية محمــد المرزوقــي، تونس : الدار التونسية للنشر، 1988م.
18. حمودة، إصلاح محمد البخاري، انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء تنبكت، غدامس نموذجاً، الزاوية: مطــابع الوحــدة العربيــة، 2004م.
19. الخازن، نسيبة، من الساميين إلى العرب، بيروت : منشورات دار الحياة.
20. الدناصورى، جمال الدين، جغرافية فزان، بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967م.
21. رولفس، غيرهارد، رحلة عبر أفريقيا، دراسة وترجمة عمــاد الــدين غــانم، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996م.
22. رايت جون، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب عبد الحفيظ الميــار، أحمــد

البازورى، طرابلس : دار الفرجاني، 1972م.

23. ريتشارد سن جيمس، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادى أبو لقمة، بنغازي : منشورات جامعة قاريونس، 1993م.

24. الزاوى الطاهر، تاريخ الفتح الإسلامي، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1980م.

25. زباديه، عبد القادر، مملكة سنغاى في عهد الاسقيين 1493-1592م، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.

26. السعدى، تاريخ السودان، باريس، نشر هوداس وبنوه، 1964م.

27. السويدى، محمد بدو الطوارق بين الثبات والتغير، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

28. شفيع، محمد احمد، الشعر في ندوة التواصل، قصيدة الملثم، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية عى جانبي الصحراء، مراجعة وتقديم عبد الحميد الهرامه، كلية الدعوة الإسلامية، 1999م.

29. الشنقيطي، أحمد الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط 34، بعناية فؤاد السيد، القاهرة : مطبعة السنن المحمدية، 1958م.

30. ضياف، نجمي، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999ف

31. طرخان، إبراهيم علي، إمبراطورية غانان الإسلامية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

32. العربي، إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

33. غوتيه، آميل فيليكس، ماضى شمال أفريقيا، تعريب هاشم الحسنى، طرابلس : مكتبة الفرجاني، 1970م.

34. غيث، امطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، 2005ف.
35. فرانسوا فرنيو بوان كاردينو، الصحراء، رويو لافون، باريس، 1977م
36. فريد ريكاسيكو، الطوارق بدو الصحراء، موندا لوزان، سويسرا، 1971م.
37. فيج جى دى، تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يونس نصر، القاهرة : دار المعارف، 1982م.
38. فيرو، شارل، الحواليات الليبية، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط2، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983.
39. فيرون ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدين الدناصورى، مراجعة نصرى شكرى، القاهرة : مؤسسة خيل العرب، 1963م.
40. فيليب ديول، أجمل صحراء العالم، مطبعة البان ميشال، 1955م.
41. قداح، نعيم، أفريقيا الغربيى في ظل الإسلام، ط 2، الجزائر : المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.
42. القشاط، ، محمد سعيد، التوارك عرب الصحراء الكبرى، ط 2، مركز أبحاث ودراسات شئون الصحراء، إيطاليا : كيدرى مكابع دينار، 1984م.
43. القشاط، محمد سعيد، أعلام الصحراء، دار الملتقى، بيروت، لبنان، 1997م.
44. القشاط، محمد سعيد، من القيادات الجهاد الأفريقي محمد كاويسن، الرياض، د.ت
45. الكعبازي، فؤاد، مراجعة عبد الرحمن العجيلي، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.
46. كعت، محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وآكابر الناس، باريس: نشر هوداس وبنوه، 1964م
47. لابون، ع. ف، مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمه، بنغازي، جامعة

قاريونس، 1993م.

48. الماحى، عبد الرحمن، الدعوة الإسلامية في أفريقيا والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

49. مارمول كارفجال، أفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرين، الرباط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984م.

50. الماعزى، الأمين محمد، حضارات الصحراء [2]، المطبعة الحديثة الفنية، ط 1، 2003ف.

51. مورى، مابر بنتشيو، تادررات اكاكاوس، الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني فؤاد الكعبازي، مراجعة عبد الرحمن العجيلي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.

52. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الدار البيضاء، (د – ت).

53. ناجي، محمد ومحمد نورى، طرابلس الغرب، ترجمة أكمل الدين محمد إحسان، طرابلس : دار مكتبة الفكر، 1973م.

54. الناصرى، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق : جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، الدار البيضاء، دار الكتاب 1955م، ج 1 وج 5.

55. النحوي، خليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس : المنظمة العربية للعلوم والثقافة، 1987م.

56. نور الدين الثنى، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس من خلال كتابة الرحالة والمؤرخين، طرابلس، 2003ف.

57. الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد: المنظمة العربية

للتربية والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984.

58. هنرى دى اوغسطين، معجم القبائل، ترجمة خليفة التليسي، (د–ت).

59. الوزان، حسن، وصف أفريقيا، ط 2، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، بيروت : الرباط، دار الغرب الإسلامي والشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1955م.

60. يوشع، بشير قاسم، غدامس ملامح وصور، بيروت: دار لبنان للنشر، 1973م.

الفـــــهرس

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

الحياة الثقافية

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية